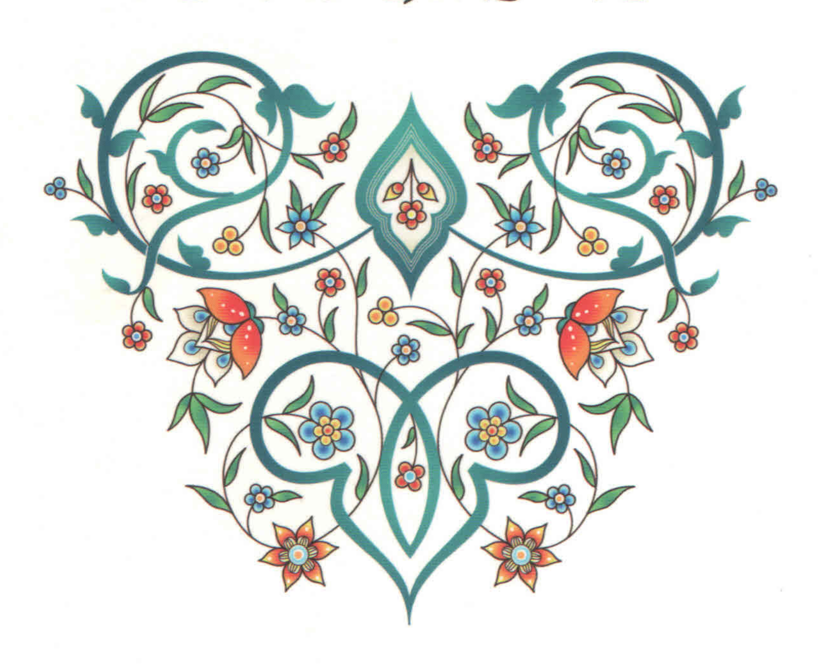
أ. د. إبراهيم بن عبدالله بن صالح الدويش

عائشة أم المؤمنين

رضي الله عنها

سيرتها كبرنامج تربوي تطبيقي للفتاة المعاصرة
خطوة بخطوة من ولادتها إلى وفاتها





عائشة أم المؤمنين

رضي الله عنها

© دار الميمان للنشر والتوزيع، ١٤٣٨هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الدويش، إبراهيم عبد الله
أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها. / إبراهيم عبد الله الدويش.-
الرياض، ١٤٣٨ هـ
٣٨٨ ص؛ ١٧×٢٤سم
ردمك: ٨-٢١-٨١٨١-٦٠٣-٩٧٨
١- عائشة أم المؤمنين، عائشة بنت أبي بكر الصديق، ت ٥٨هـ
٢- زوجات النبي أ. العنوان
ديوي ٢٣٩,٧ ١٤٣٨/٤٤٠٥

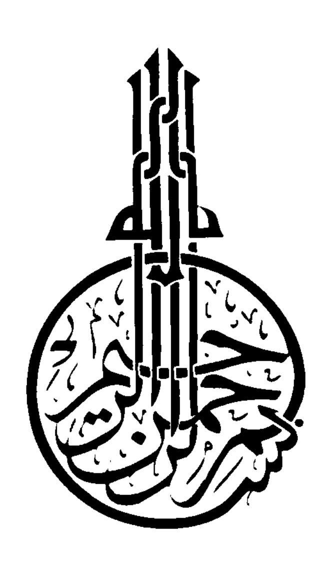
رقم الإيداع: ١٤٣٨/٤٤٠٥
ردمك: ٨-٢١-٨١٨١-٦٠٣-٩٧٨

جرى تنضيد الكتاب وتجهيزه للطباعة باستخدام برنامج **أدوبي إنديزاين**. وإدراج الآيات القرآنية بالرسم العثماني وفقًا لطبعة مجمع الملك فهد الأخيرة باستخدام برنامج **«مصحف النشر للإنديزاين»** الإصدار: **(متعدد الروايات)** وهي أداة برمجية plug-ins مطورة بواسطة **شركة الدار العربية لتقنية المعلومات** *www.arabia-it.com* الرائدة في مجال البرمجيات المتقدمة لخدمة التراث الإسلامي.
الصور مرخصة قانونيًا من *www.shutterstock.com*
الخطوط وتصميم الغلاف : **دار الميمان للنشر والتوزيع**

الطبعة الأولى ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م



البريد الإلكتروني: *info@daralmaiman.com*
موقعنا على الإنترنت: *www.daralmaiman.com*
تابعنا على تويتر: *@DarAlMaiman*
هاتف: +966 11 4627336
فاكس: +966 11 4612163
جوال : +966 566405291



إهداء

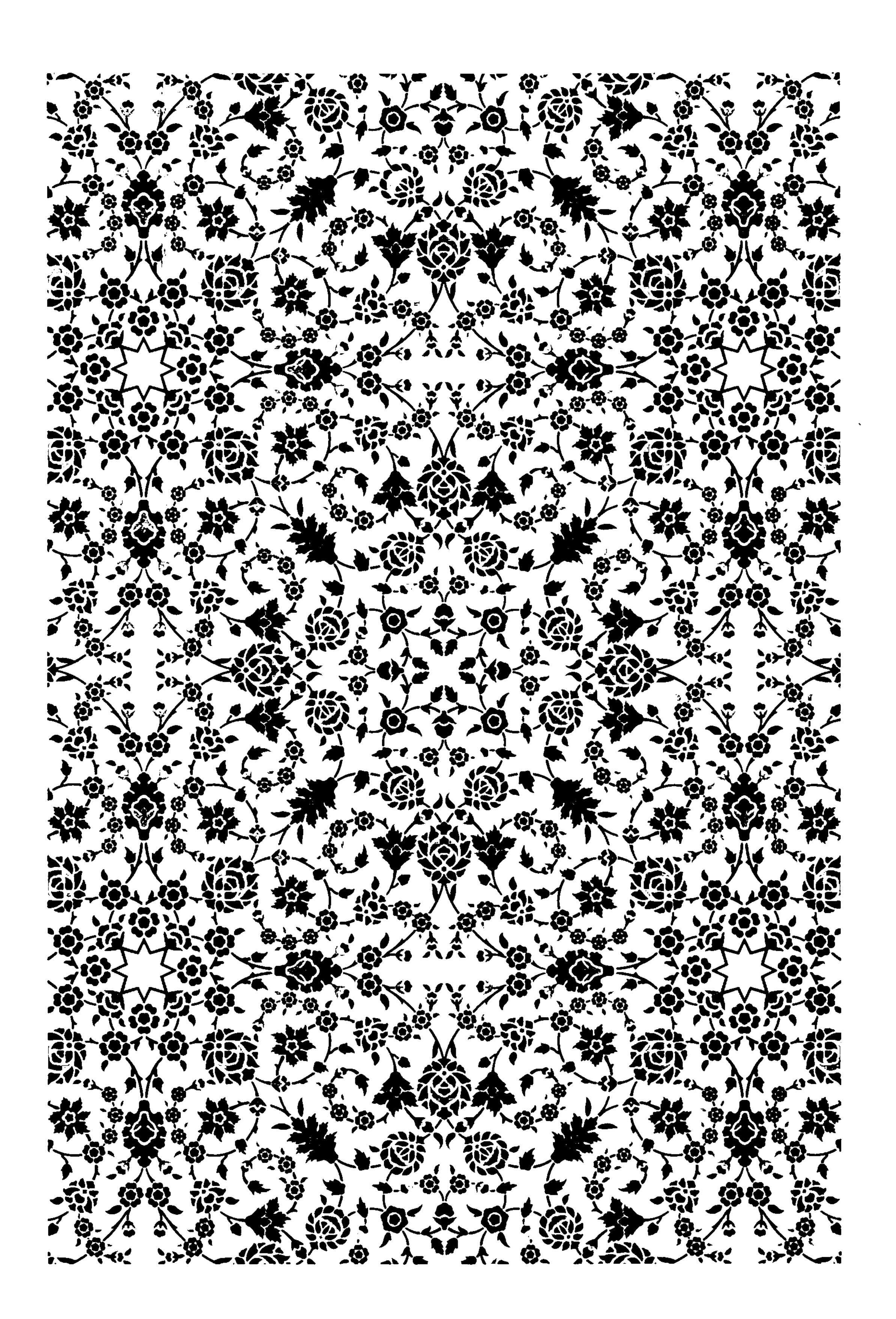
أهدي هذا العمل (مشروع عائشة) بكل مكوناته (برنامج تليفزيوني، وكتاب، وتطبيق الكتروني... الخ) لنبضات قلبي وثمرات فؤادي، زهراتي الخمس:

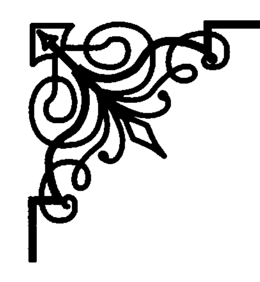
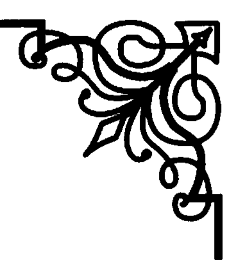
غالية.. ومها.. وهند.. وبسمة.. وسما

بناتي الأروع والأجمل، أنسي وبهجة حياتي، ولجميع نساء وبنات المسلمين، فلن أجد أروع ولا أعظم ولا أكمل أنموذجًا تطبيقيًا ولا قدوة تربوية من أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

أ.د. ابراهيم بن عبدالله بن صالح الدويش

٦ [illegible] ١٤٣٨هـ



مقدمة

حاولت مرارًا أن أتجاهل ذلك الشعور الذي ينتابني عند الحديث أو الكتابة عن هذه السيرة العظيمة؛ والتي بيني وبينها وشيجة ومحبَّة، وليست أي محبَّة، حبٌّ قلبيٌّ إيمانيٌّ عقديٌّ؛ ينبض به قلب الابن لأمِّه.

أم ليست كالأمهاتّ!

يا الله أيُّ مشاعر! أيُّ رهبة! أيُّ هيبة هذه التي تجتاحني الآن، وتتزايد معها أنفاسي، وتتسارع دقَّات قلبي، أشعر الآن كأني واقف على باب أميِّ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أحاول قرعه بأطراف أظافر أناملي أدبًا ورهبةً؛ لهول تلك اللحظة؛ لحظة اللِّقاء، فخلف الباب أمِّي التي تخفق قلوب الملايين شوقًا وحبًّا لها!

تمهَّل يا قارئي العزيز!

لا تَعْـذُلِ الْمُشـتاقَ عن أشْـواقه
حتَّـى يكون حشَـاكَ في أحشـائه![1]

---

(١) البيت للمتنبي، في ديوانه مع شرح العكبري (١/ ٦).

فســأكون مدّة هذه الصفحــات، وتلك الحلقات؛ مــع أمّ المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ عائشة: الاسم الذي له مكانته في قلوب المسلمين، ليس لأنّه اســم أمّهم أمّ المؤمنين فقط، بل لأنّ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا شخصيّة نسائيّة فذّة، جمعت خصالًا كثيرة، وحازت على الفضائل من جميع أطرافها، حتى أصبحت قدوة، ومعلِّمة للرجال والأجيال، ولا غرابة فقد عاشت في بيت النبي ﷺ؛ أعظم مربٍّ ومعلِّم ومؤدِّب عرفه التاريخ البشري على الإطلاق.

وقبل ذلك كانت قد ترعرعت في بيت صدِّيق الأمَّة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بيت نقيّ لمْ يُدَنِّسْه صنم، بالحكمة ازدانت، وبالأدب تجمّلت، فلا عجب إذًا أن تنشأ تلك الزهرة بعقلٍ سريع النضج، وفصاحةِ لسانٍ يشيد بها كل من استمع إلى حديثها، فاقت قريناتها عقلًا وحكمةً ورزانةً، وحظيت بنصيب وافر من الفضائل والمكرمات.

وينشأ ناشئُ الفتيان منّا
على ما كان عوَّده أبوه[1]

فقد نشــأت في بيــت أبيها؛ بيــت الفضائل والمكرمــات، والعلم والمعرفة، والجود والكرم، وعاشــت في كنف أبيهــا في ثراء مقتصد، ثم انتقلت إلى بيت فقيــر، لكنَّه غنيّ بالفضائل والمكرمات، بيت كان أشــدّ جودًا، وأعظم كرمًا، وأعلى علمًا وخُلقًا ومعرفة؛ كان تنقل الفتاة بين هذين

(١) البيــت [من الوافر] لأبي العــلاء المعري، انظر: ديــوان اللزوميات (٢/ ٤١٣) من قصيدة مطلعها:

قد اختل الأنام بغير شك فجدوا في الزمان والعبوه

البيتين الكريمين سببًا في غرس هذه الأمور في نفسها وسلوكها؛ حتى صارت طبعًا لها، تجري بعروقها مجرى الدّم، بل صارت في الفضائل مثلًا سائرًا في الأمة، وفي العلم بكل فنونه بحرًا لا ساحل له، حتى قال أبو موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في وصفها: «مَا أَشْكَلَ عَلَيْنَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثٌ قَطُّ فَسَأَلْنَا عَائِشَةَ إِلَّا وَجَدْنَا عِنْدَهَا مِنْهُ عِلْمًا»(١).

وقال معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «والله ما سمعت قطُّ أبلغ من عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ليس إلا رسول الله ﷺ»(٢).

وقال عروة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما رأيت أحدًا أعلم بفقهٍ ولا طبٍّ ولا شِعرٍ من عائشة»(٣).

وقال الزهري -رحمه الله-: «لو جمع علم النّاس كلّهم، ثمّ علم أزواج النّبيِّ ﷺ لكانت عائشة أوسعَهم علمًا»(٤).

إذًا فهي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بحر لا ساحل له في كل فنٍّ من فنون العلم، بحر في القرآن وعلومه، وفي الحديث وفهمه، وفي الفقه ومقاصده، وفي الفرائض

---

(١) رواه الترمذي في المناقب، باب من فضل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ح: ٣٨٨٢) وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب». وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣٠٤٤).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٨٣).

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٨٨٣).

(٤) رواه الحاكم في المستدرك (٤/ ١٢)، وذكره ابن عبد البر في الاستيعاب (٤/ ١٨٨٣)، والذهبي في سير أعلام النبلاء (٢/ ١٩٩).

وتطبيقاتها، كما أن لها باعًا طويلًا في الطبّ، وفي الشـعر، وفي النسـب، وغير ذلك.

وهي جبل أشـم في الفضائل والمكرمـات، ويُضرب بها المثل في الجود والكرم.

خِـلٌّ إذا جئتَـهُ يومًـا لتسـألَهُ
أعطـاك مـا ملَكَـتْ كفَّـاهُ واعتـذرا
يخفـي صنائِعَـهُ واللـه يُظْهرها
إن الجميـل إذا أخفَيْتَـه ظَهَـرَا(١)

لقد ظهر وجلجل اسـم عائشـة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا في الكون عبـر كل هذه السنين، ليس لأنها عائشـة فقط، بل لتكامل شخصيتها بشكل عجيب، في العلم جبـل، وفي الفتيا إمام، وفي العبادة رأس، وفي الأخلاق قدوة، وفي الصبر مدرسة، وفي الجود والكرم مثال.

أمَّا في الأسرة؛ فهي زوجة من طراز فريد!

وفي الإنسانية ليس لها شبيه! فحبُّها للأيتام غريب، لقد سمت روحها في كل مكان، وطافت في سماء العزيمة والإيمان، واستقرَّت رَضِيَٱللَّهُعَنهَا مع الكبار والأعلام.

(١) البيتان لسـهل بن هارون. ينظر: أدب الدنيا والدين (ص: ٢٠٤)، تفسـير القرطبي (٣/ ٣٣٤)، غرر الخصائص الواضحة (ص: ٣٣٨).

سيرة عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا مدرسة لكل فتاة؛ بل منهج تربوي لكل من أرادت التميز.

فتميّز عائشة العجيب جعلها قدوة ومثلًا أعلى، وأنموذجًا تطبيقيًّا للفتاة المعاصرة.

إنها تلك الصورة الرائعة التي قدَّمها الإسلام عن المرأة المتميِّزة، فقد كانت عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا مثالًا لريادة المرأة في التاريخ الإسلامي، ولا زالت رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا إلى اليوم مصدر إلهام لكلِّ امرأة وفتاة أرادت أن تكون عظيمة.

عظيمة بدينها وثقافتها.

عظيمة بعطائها، ومشاركاتها.

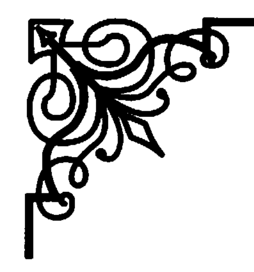
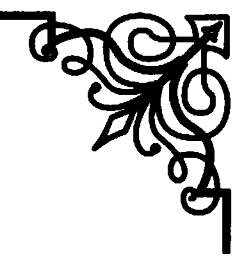
ليس لكلِّ أنثى، فقط لتلك الراغبة في التقدّم، نقدِّم هذه السيرة العطرة، وحتى يسهل الإفادة والاقتداء بسيرة عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا، فسيتم عرض حياتها بالتفصيل عبر التسلسل العمري لمراحل حياتها كأي إنسان؛ من الولادة حتى الممات، حسب ما يلي:



وهنا وجـــب التنبيه: أننا حرصنـــا على خروج هذا الكتاب شـــاملًا وجامعًا لكلِّ المعلومـــات الواردة عن أمِّنا عائشـــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وعلى مدار ســـنوات العمل في المشـــروع جمعًا وحصرًا وتمحيصًـــا وغربلةً وتوثيقًا ومراجعةً وصياغةً وتعليقًا وتطبيقًا على واقعنا المعاصر...

وأمَّا في (برنامج عائشـــة) فقد ذكرنا فيه ما سمح به أسلوب البرنامج ووقته تلفزيونيًّا فقط، ســـائلين الله -عزَّ وجـــلَّ- أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، إنه سميع مجيب.

فبسم الله نبدأ، وبه نستعين:

[١]

عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قدوة[١]

عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا خرِّيجة بيتين عظيمين من بيوتات هذه الأمَّة، حيث عاشت طفولتها في بيت والدها الصديق ثاني رجل في الأمة، وأعلم رجل فيها بعد رسول الله ﷺ، وهو بيت علم ومجد وفضل، وبذل وسخاء وقِرى الضيف، فتكحلت عيناها بما تشاهد في هذا البيت من مكرمات وفضائل.

وأَخَذتُ عن أَبَوَي دينَ مُحمدٍ
وَهُما على الإِسْلامِ مُضْطَجِبانِ[٢]

فلقد أراد الله - تعالى - أن تنشأ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا نشأة مباركة، لتألف الخير، وتصير علمًا من أعلامه. ثم اختار الله لها التوفيق والخير

---

(١) إنما بدأنا بحلقة (عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قدوة) و(في بيت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) قبل حلقة (عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا طفلة) للإشارة إلى أن الهدف الأهم من البرنامج هو إبراز جانب القدوة من سيرة أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فهي قدوة في شؤونها كلها، بدءًا بعيشها وبساطة بيتها.

(٢) القصيدة الوضاحية في مدح السيدة عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، لابن بهيج الأندلسي (ص: ٤٣).

كلـه، فانتقلت إلى بيت أعظم مربٍّ، وأفضـل معلِّم ومؤدِّب عرفه التاريخ البشـري على الإطلاق، لتتربى في مدرسـة الكمال النبوي المطهر؛ فقد كان ﷺ يحوطهـا بمزيد من الرعاية والتوجيه؛ لِمَا توسَّـم فيها من مخايل الذَّكاء والنجابة، ولقربها منه جسدًا وقلبًا، فهي زوجته، وأحبّ الناس إليه.

مَـنْ ذا يُفَاخِرُني وينكـرُ صُحْبَتي
ومُـحَـمَّـدٌ فـي حِـجْـرِه رَبَّـانـي[1]؟

وقد كانت عائشـة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بحرصها وذكائها وفطنتها وحبها له ﷺ، تقتدي بفعله، وتنهج طريقته، وتسير بسيرته، حتى برزت شخصيَّتها كقدوة، ومربية، ومعلمة؛ لتصبح سـيرتها ومناقبها مدرسـة يُحتذى بها، فحياتها كأنثـى بتفاصيلها أنموذج رائـع للمرأة وللفتاة المعاصرة، عائشـة نجمة تتألق، يُسـتهدى بها في ظلمة الليل، خاصَّة في مثل هذا الواقع المعاصر، هي شـخصية فذة، هي إنسـانة عظيمة، يكفي القول: هي عائشة المواقف الرائعة، والسـلوك الراقي الحكيم، والتناغم الجميل بين علمها وفطنتها، وبين أناقتها وروعتها.

سنسـتمتع بمرافقة عائشـة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا خلال رحلـة حياتها الممتعة، المليئة بالأحداث المعبرة، والمواقف المشرفة.

سنبتسم مع مرح عائشة ولطافتها.

(١) المصدر السابق (ص: ٤٢).

وسنبكي مع آلام عائشة وأحزانها.

وســنتعلّم من فقهها وعلمها، ونحاول أن نعمــل كعملها وجدِّيتها، ونجري ونلعب كسباقها، ونرتقي بذواتنا مع طموحها وعزيمتها، لن نترك شيئًا في سيرتها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

سنبدأ من بيتها المتواضع، وحجرتها المباركة، -فهي قدوة في بساطة بيتها، فقد كانت حجرتها من الطين، وسقفها من جريد النخل.

يا الله! مــن يُصدق أن البيت الذي حدثت فيــه كل هذه الأحداث، البيت الذي حوى كل هذه الخصائــص والمميزات، البيت الذي يتغنَّى به التاريخ، ويفتخر به كل مســلم هو: غرفة واحدة فقط، حجرة صغيرة تقدَّر مساحتها تقريبًا: (خمسة أمتار في أربعة).

يا الله زوجة خير البشر، حليلة أفضل الناس، حبيبة أكرم الخلق؛ بيتها حجرة واحدة متواضعة صغيرة بجوار مسجد النبي ﷺ؟!

لقد ضربت عائشــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا المثل الأعلى في هجر الترف، وتحمّل خشــونة العيش، إيثارًا لِمَا عند الله تعالى، فهي تعلم بأن خشونة العيش لم تكن بخلًا من زوجها ﷺ الذي خيّره الله أن يقلب له جبل أحد ذهبًا، لكنه اختار ﷺ الحياة الحقيقة عند الله عز وجل.

هي قدوة بطفولتها، فقد كانت عائشة في طفولتها مثل جميع الأطفال؛ كثيرة اللعب، دائبة الحركة، لها صواحب تلعب معهن، تركب الأرجوحة،

لكن ملامح شــخصيتها بــدت في صغرها، لمعت مواهبهــا وقدراتها في طفولتها، ومما يدل على نبوغها وذكائها، وقوة ذاكرتها؛ منذ كانت صغيرة، قولها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «لَقَدْ أُنْــزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ بِمَكَّةَ، وَإِنِّــي لَجَارِيَةٌ أَلْعَبُ: ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ۝٤٦ ﴾ [القمر: ٤٦]»[١].

موقف فيه فطنة، فكيف كانت تتذكر مثل هذه الأمور رغم أنها كانت صغيرة؟!

عائشــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قدوة بنتًا، فقد كانت علاقتهــا بأبويها علاقة متينة، علاقة رائعة، قائمة على الحبّ والثقة والتقدير، لكنهما أبوان كغيرهما من الآباء والأمهات في تربية الأبناء والبنات، قد يقع منهما الغضب والشــدة، وكانت تتوجّس من غضــب أبويها، ومن ردّ فعلهما، فمرة أقيمت الصلاة، ومرَّ أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فســمع أصوات شــجار بيــن أزواج النبي ﷺ فَقَالَ أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اخْرُجْ يَا رَسُــولَ اللهِ إِلَى الصَّــلَاةِ، وَاحْثُ فِي أَفْوَاهِهِنَّ التُّرَابَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَتْ عَائِشَــةُ: الْآنَ يَقْضِــي النَّبِيُّ ﷺ صَلَاتَهُ، فَيَجِيءُ أَبُو بَكْرٍ فَيَفْعَلُ بِي وَيَفْعَلُ، فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ ﷺ صَلَاتَهُ، أَتَاهَا أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ لَهَا قَوْلًا شَدِيدًا»[٢].

(١) رواه البخــاري في تفســير القرآن، بــاب قولــه: ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ۝٤٦ ﴾ [القمر: ٤٦] (ح: ٤٨٧٦).

(٢) رواه مســلم في الرضاع، باب القســم بين الزوجات، وبيان أن السنة أن تكون لكل واحدة ليلة مع يومها (ح: ١٤٦٢).

تأملن - يا بنات - خوف عائشة من أبيها، الممزوج بالتقدير والطاعة له، فكانت العلاقة مع أبويها تقوم على الحب والثقة والتقدير.

أيضًا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **قدوةٌ زوجةً**، وفي موقف طريف ورد أن أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جاءَ يَسْتَأْذِنُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَسَمِعَ عَائِشَةَ وَهِيَ رَافِعَةٌ صَوْتَهَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَذِنَ لَهُ، فَدَخَلَ، فَقَالَ: يَا ابْنَةَ أُمِّ رُومَانَ وَتَنَاوَلَهَا (أي: يريد أن يضربها) أَتَرْفَعِينَ صَوْتَكِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: فَحَالَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا. فَلَمَّا خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ، أخذ النَّبِيُّ ﷺ، يَقُولُ لَهَا يَتَرَضَّاهَا: «**أَلَا تَرَيْنَ أَنِّي قَدْ حُلْتُ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَكِ**» قَالَ: ثُمَّ جَاءَ أَبُو بَكْرٍ، فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ، فَوَجَدَهُ يُضَاحِكُهَا، قَالَ: فَأَذِنَ لَهُ، فَدَخَلَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللهِ أَشْرِكَانِي فِي سِلْمِكُمَا كَمَا أَشْرَكْتُمَانِي فِي حَرْبِكُمَا»[1].

فتعالوا نحلِّل هذا الموقف بعض التحليل، ونتلمس فيه بعض ملامح القدوة:

موقف أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في تأديب ابنته محمود ورائع، ولكن الأروع تفهّم عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لما حصل، وسرعة استدراكها للموقف مع صغر سنها؛ مما يدل أنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كانت تعيش متقدمة على سنِّها.

والأكثر روعةً هو موقف النبي ﷺ، وحلمه الكبير، وسعة صدره،

---

(١) رواه أبو داود في الأدب، باب ما جاء في المزاح (ح: ٤٩٩٩)، قال الألباني في الصحيحة (٦/ ٩٤٥): «هذا إسناد رجاله ثقات رجال الشيخين غير العيزار، فإنه من رجال مسلم وحده».

وحنكتــه في القضاء على المشــكلة في مهدها قبــل أن تتطور؟! فما كان منه ﷺ إلا أن حال بينهما، فاســتجاب أبو بكرٍ لتدخل النبي ﷺ، فأعرض عنها وخرج. فما إن خرج الصدِّيــق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتى جعل النبي ﷺ يحتوي المشــكلة، ويترضى زوجته وحبيبته، فالخلافــات الزوجية لا تُحل بتبادل الاتهامــات والمحاكمات لمعاقبة الجانــي، إنما يحلّها الــودّ والتفاهم، والاحتــرام والتراحم، فإذا وُجدت هذه المعانــي الجميلة لانت العريكة، وخُفض الجناح، وكان النجاح بتذليل العقبات.

قال لهــا الحبيب ﷺ مداعبًــا: «أَلَا تَرَيْنَ أَنِّي قَدْ حُلْــتُ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَكِ»، فتراضى الزوجان، ثــم دخل عليهما أبو بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثانية، ليجد مفاجأة غير متوقَّعة! لقد رأى الضحك والبســمة تعلو القسمات! فما الذي حدث بين خروجه وعودته؟! أبهذه السرعة انطفأت النار؟! أبهذه السرعة تمت السيطرة على المشكلة؟! فأدلى الصدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بدلوه في هذا الجو المرح، دون أن ينبش في تفاصيل المشــكلة كأي والدٍ عاقلٍ لبيبٍ، فقال: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَشْرِكَانِي فِي سِلْمِكُمَا كَمَا أَشْرَكْتُمَانِي فِي حَرْبِكُمَا!».

إنَّ هذا الموقف يبرز ما عليه عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من نضج وعقل وتفهم في تهدئة العواصف، حيث ســارعت بالرضا وقطعت دابر المشكلة، ولم تقف عند التفاصيل والأســباب، بل طوت تلك الصفحة مباشرة لتفتح مع زوجها وحبيبها ﷺ صفحة أخرى، فاســتطاعت تحويل المشكلة الطارئة إلى طاقة تجدد دماء الحياة الزوجية.

وهكـــذا فليكن حل الخلافـــات الزوجية، موقف فيـــه رفع صوت، فيـــه محاولة ضرب من والد الزوجة، وتدخل مـــن الزوج لإنقاذ الموقف، ثم الملاطفة والمزاح والتصالح، وأخيرًا: الابتســـامة والضحك، كل هذه الأحوال فـــي موقف واحد في بيت عائشـــة، فكيف بعشـــرات المواقف والأحداث؟!

لاحظوا الروعة في ســـرعة احتواء المشـــكلة، والمبـــادرة في حلّها فور وقوعها دون أن تتضخم وتتكبر، ولذا ســـرعان ما رجعَت العلاقةُ مرَّةً أخرى بين عائشـــة وزوجها رغم حجم المشكلة، رقة وتلطف الرسول ﷺ من جهة، وســـرعة رضا عائشة، ولينها وانكسارها لزوجها من جهة أخرى، كل هذا ساعد على فتح صفحة جديدة، وانتهاء المشكلة، وتحوّل الحادث لتجديد الحبّ بين الزوجين.

عائشـــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **قدوة في حيائها، فقد بلـــغ الحياء عندها** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **مبلغًـــا لا يخطر على بـــال، فقد قالت: «كُنْـــتُ أَدْخُلُ بَيْتِي الَّـــذِي دُفِنَ فِيهِ رَسُـــولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبِي، فَأَضَعُ ثَوْبِي، فَأَقُولُ: إِنَّمَا هُوَ زَوْجِي وَأَبِي، فَلَمَّا دُفِنَ عُمَرُ مَعَهُمْ فَوَاللَّهِ مَا دَخَلْتُ إِلاَّ وَأَنَا مَشْدُودَةٌ عَلَيَّ ثِيَابِي (أي: مستترة) حَيَاءً مِنْ عُمَرَ»[1].**

---

(١) رواه أحمد (ح: ٢٥٦٦٠)، والحاكم في المستدرك (ح: ٤٤٠٢)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٦): «رجاله رجال الصحيح». وقال محققو المســـند (٤٢/ ٤٤١): «إسناده صحيح على شرط الشيخين».

فمن اعتنائها الكبير وحساسيتها الشديدة في أمر الحياء صارت تستحي حتى من الأموات، فما بالنا بالأحياء؟!

عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **قدوة في الكرم**، وفي سخاء نفسها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، لنتأمل هذا الموقف، فعَنْ أُمِّ ذَرَّةَ قَالَتْ: بَعَثَ ابْنُ الزُّبَيْرِ إِلَى عَائِشَةَ بِمَالٍ فِي غِرَارَتَيْنِ[1]، قالت: أُراه ثمانين، أو مائة ألف درهم، قالت: فدعت عائشة بطبق وهي يومئذ صائمة، فجلست تُقسمه بين الناس، فأمست وما عندها من ذلك درهم، فلما أمست قالت: «يا جارية هلمّي فطوري» فجاءتها بخبز وزيت، فقالت لها أمُّ ذرة: أمَا استطعت يا عائشة مما قسمت اليوم أن تشتري لنا لحمًا بدرهم نفطر عليه، قالت عائشة: «لا تعنِّفيني لو كنت أَذْكَرْتِنِي لفعلت»[2].

يا الله! هكذا تقولها عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بكل بساطة، كم يهزّ هذا الموقف الوجدان؟! أيعقل أن يصل التجلي والإيمان بالإنسان أن ينسى حتى نفسه؟!

تجود بالنفس إن ضنّ البخيل بها
والجود بالنفس أغلى غاية الجود[3]

(١) مفردها: الغرارة، وهي وعاء من الخيش ونحوه يوضع فيه القمح ونحوه. معجم ديوان الأدب (٣/ ٩٦)، المعجم الوسيط (٢/ ٦٤٨).

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات (٨/ ٦٧)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٤٧).

(٣) البيت لمسلم بن الوليد الملقب بصريع الغواني. انظر: ديوانه (ص: ٢١).

أكانـــت من الأغنياء حتى تنفق كل ما تملكـــه على المحتاجين؟ نعم كانت من الأغنيـــاء، لكنَّه ليس غنى كثـــرة الأموال، إنَّـــه الغنى الحقيقي: غنـــى النفس، فلم تكن عائشـــة ذات مالٍ، إلا أن ما رزقهـــا الله به تجود به عن طيب نفـــسٍ، لا لأنه يفيض عن حاجتها، كلَّا واللـــه، فقد وصفها ابن اختها عروة بن الزبير بقوله: «أنها تصدَّقت بسبعين ألفًا؛ وإنها لترقع جانب درعها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا»[1].

عائشـــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قدوة أيضًا في عبادتها، ومن يتتبع ســـيرتها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا سيرى بوضوح قوة شـــخصيَّتها الإيمانيَّة، فهي بحقّ أنموذج ومنهج تربويّ وعمليّ لكل مســـلم ومســـلمة، فمما يُروى عنها أنها ركعت ثَمَانِي رَكَعَاتٍ وَقَالَتْ: «لَوْ نُشِرَ لِي أَبُو بَكْرٍ مَا تَرَكْتُهُنَّ، (يعني: لو عاد أبو بكر للحياة مرّة ثانية ما تركتهنّ) وَقَالَتْ: رَكَعْتُهُنَّ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ» يعني: سأحافظ عليهن.

وفي رواية: «لن أَزَال أصلي ثَمَاني رَكْعَات مثله»[2].

أي: مثل الحبيب ﷺ، إذن فهـــي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تُعلن أنها لن تترك صلاة الضحـــى حتى ولو عاد أبوهـــا أبو بكر للحياة فلن تنشـــغل به عن ركعات الضحى الثمان، هكذا كانت منزلة صلاة الضحى عند عائشة، فكيف بمنزلة الصلوات المفروضة عندها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٨٧).

(٢) رواه البخـــاري في التاريخ الأوســـط (١/ ١٧٢)، والحديث أصلـــه في موطأ مالك (ح: ٣٠)، والسنن الكبرى للنسائي (ح: ٤٨٤).

هي أيضًا قدوة في سعة علمها وطموحها، يروي عروة بن الزبير، عن أبيـــه قال: «ما رأيت أحدًا من الناس أعلم بالقرآن، ولا بفريضة، ولا بحلال ولا حرام، ولا بشعر ولا بحديث العرب، ولا بنسب؛ من عائشة»[1].

وقد كانت رَضِيَٱللَّهُعَنهَا من أعلم الناس بأســباب نــزول كثير من آيات القرآن، واســتنباط الأحكام منها. وأوتيت لسانًا سؤولًا لا يفتر من الأسئلة للنبــي ﷺ، اختصرت الكثير من المســائل والأحــكام، ووفّرت الكثير من اجتهادات أهل العلم، فقد كانــت ذات قلب زكي، وعقل ذكي، لا تتوقف عن مراجعة النبي ﷺ، أو الاستفهام عمَّا يغلق عليها رَضِيَٱللَّهُعَنهَا.

عائشــة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا قدوة في التجمّل والتزيّن، فهي كغيرها من النســاء تحب التجمل والزينة، هكذا هي فطرة المرأة وطبيعتها، زوجة مثالية كانت كثيرًا ما تتزيَّن، وتحبَّ التجمل واللباس والطيب، ولبس القلائد والخواتم، وما شابهها من أدوات الزينة، لكن لم تكن تُبالغ في زينتها، أو تسرف بالمال لاقتناء مثل هذه الأدوات، أو الإكسسوارات، أو الثياب.

كأنَّ عائشــة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا تقول للنســاء: إن التجمُّل والزينة فن، وذوق، وبساطة، وليس تفاخرًا وتنافسًا ومبالغة في صرف الأموال.

وهكذا لو أردنا اســتعراض تفاصيل حياتها رَضِيَٱللَّهُعَنهَا، واســتعراض ملامــح القدوة فيهــا؛ لطال بنا العــرض، وطال بنا الوقــوف، ولن ننتهي

(١) حلية الأولياء (٢/ ٤٩).

بســهولة، لكن حســبنا أننا وبكل فخر ســنعيش في هذا الكتاب مع دقائق وتفاصيل حياة عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا:

عائشة طفلةً، بكل طفولتها وبراءتها.

عائشة بنتًا بكل شقاوتها ومرحها.

عائشة أختًا بوفائها، ودفء أخوتها.

عائشة زوجةً بفنٍّ تعاملها وحنكتها.

عائشة حبيبةً بعواطفها ورومنسيتها.

عائشة أمًّا بحنانها ونصحها.

عائشة غيورًا، عائشة عابدةً، عائشة فقيهةً، عائشة كريمةً، عائشة حييةً، عائشة سياسيةً، عائشة ووداعها لحبيبها ﷺ، عائشة مثقفةً، عائشة وصديقاتها، عائشة والمرح، عائشة والمشــاكل الزوجية، عائشة وكيفية قراءتها للقرآن، إلى أن نصل للنهاية: عائشة إلى الرفيق الأعلى رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا وأرضاها.

تقول عائشــة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا متحدثةً بنعم الله وفضله عليها: «لقد أُعطِيت تســعًا ما أُعطِيتْها امرأة إلا مريم بنت عمران: لقد نزل جبريل بصورتي في راحته حتى أمر رسول الله ﷺ أن يتزوجني، ولقد تزوجني بكرًا وما تزوَّج بكرًا غيري، ولقد قُبِض ورأســه لفي حجري، ولقــد قبرته في بيتي، ولقد حفَّت الملائكة بيتي، وإن كان الوحي لينــزل عليه وهو في أهله فيتفرَّقون

عنه، وإن كان لينزل عليه وإني لمعه في لحافه، وإني لابنة خليفته وصديقه، ولقد نزل عذري من الســماء، ولقد خُلِقت طيبةً وعند طيِّب، ولقد وُعِدت مغفرةً ورزقًا كريمًا»[1].

قال الشاعر ابن بهيج الأندلسي:

إنِّي خُصِصْتُ على نِســاءِ مُحَمَّدٍ
بِـصِـفـاتِ بِـرٍّ تَـحْـتَـهُـنَّ مَـعـانـي
وَسَــبقْتُهُنَّ إلــى الفَضَائِــلِ كُلِّها
فالسَّــبْقُ سَــبقي والعِنَــانُ عِنَانــي
مَــرِضَ النَّبِيُّ وماتَ بيــنَ تَرَائِبي
فـالْـيَـوْمُ يَـوْمـي والــزَّمـانُ زَمـانـي
زَوْجــي رَســولُ الله لَــمْ أَرَ غَيْرَهُ
الـلــهُ زَوَّجَـــنـــي بِـــهِ وحَـبَـانـي
وأتــاهُ جِبريــلُ الأَميــنُ بِصُورَتي
فـأَحَـبَّـنـي الْـمُـخْـتـارُ حِـيـنَ رآنـي
أنا بِكْــرُهُ العَــذْراءُ عِنْدِي سِــرُّهُ
وضَـجـيـعُـهُ فـي مَـنْـزِلـي قَـمَـرانِ

(١) رواه أبــو يعلى الموصلي في مســنده (٨/ ٩٠) قال الذهبي في ســير أعلام النبلاء (٢/ ١٤١): «وإســناده جيد». وذكره الهيثمي فــي مجمع الزوائد (٩/ ٢٤١) وقال: «وفي الصحيح وغيره بعضه، وفي إسناد أبي يعلى من لم أعرفهم».

وَتَكَلَّـم اللـهُ العظيـمُ بِحُجَّتـي
وَبَـرَاءَتِـي فـي مُـحْـكَـمِ الـقُـرآنِ[1]

إذًا هكذا هي سـيرة عائشـة رَضِيَاللَّهُعَنهَا منهج تربـوي تطبيقي رائع لكل فتاة معاصرة، فرصة لتعيش مع هذه الإنسـانة العظيمة، ومع تكامل الشـخصية في حياتها، فأمتنا اليـوم تعيش أزمة قـدوات؛ خاصَّة على مسـتوى الفتيات والبنات، فاستعراضنا لسيرة عائشة بهذا الشكل منذ أن كانت طفلة إلى أن توفِّيت حتى تستشـعر الفتيات روعة وجمال عائشـة كقدوة، ولتأخـذ كلُّ فتاة جميع زوايا ومراحل وتفاصيل ودقائق حياتها؛ وسنحاول أن نقف -بمشيئة الله- على كل فضل من فضائلها، وعلى كل خصلة من خصالها.

هذه هي عائشة رَضِيَاللَّهُعَنهَا، وهذا شيء من جوانب القدوة فيها.

سؤال تطبيقي:

لماذا وكيف نعيش القدوة في حياة عائشة رَضِيَاللَّهُعَنهَا؟

الإجابة باختصار:

أولًا: استشـعارنا بقيمة القدوة وأثرها في حياتنا، وعائشـة أنموذج تربوي تطبيقي لكل فتاة بما وهبها الله من منزلة ومكانة وخلق، وتكامل في شخصيتها، وحدة في ذكائها، واحتوائها للعلم بسرعة مذهلة.

(١) القصيدة الوضاحية في مدح السيدة عائشة أم المؤمنين رَضِيَاللَّهُعَنهَا (ص: ٤٢).

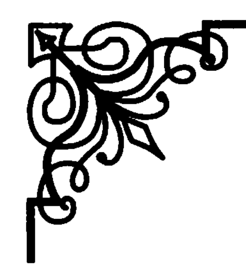
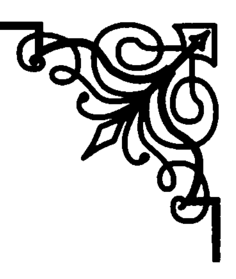
ثانيًا: وضوح حياة عائشـــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بكل تفاصيلها ودقائقها، ونقلها كل الدقائق بحياتها وحياة المصطفى ﷺ باعتبارها أمًّا للمسلمين، وزوجة للنبي الكريم ﷺ.

ثالثًا: زواجها المبكر بالنبي ﷺ، واستثماره ﷺ شباب عائشة وفطنتها وحفظها، فأعدَّها لتكون خير مصدر يرجع إليه المســـلمون من بعده، ولذا خصَّها الله بنزول الوحي على النبي ﷺ وهو في لحاف عائشـــة دون غيرها من نسائه[١].

رابعًا: قوَّة شخصية عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وجرأتها في إبراز رأيها، ونقدها للآراء مهما كان مخالفها، بل كانت تنتقـــد بعض النصوص التي ترى أنها تعارض القواعد الثابتة في الدين؛ إما بسبب وهم من الراوي، أو عدم فهمه النصوص على الوجه الصحيح.

---

(١) إشارة إلى ما رواه البخاري في كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب فضل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ونصه: قال ﷺ: «يَا أُمَّ سَـــلَمَةَ لَا تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ، فَإِنَّهُ وَاللَّهِ مَا نَزَلَ عَلَيَّ الْوَحْيُ وَأَنَا فِي لِحَافِ امْرَأَةٍ مِنْكُنَّ غَيْرِهَا».

[٢]

في بيت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

ســنتعرف على بيت عائشــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ســنحاول أن نلتقط صورًا تقريبية للبيت كمــا جاء في بعض الروايات، لكن لا أخفيكم أشــعر الآن بشــعور غريب، أشــعر بمشــاعر فيَّاضة وأنا أتخايل أني في وسط حجرة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأهمّ بالحديث عن هذا المكان، وعن هذا البيت الصغير، أشعر بروحانية عجيبة، وأشعر برهبة وهيبة! ما أصعب أن تختلط المشاعر بالشعائر! وأن تختلط الدموع بالخشوع!

أُحــس أن العبارات تخوننــي، وأن الكلمات تُعجزنــي، وأطرافي الآن ترتعش، أشــعر بالعبرة تخنقني، كأني الآن أشمُّ روائح الحبيبين تعبق في هذا المكان، أكاد أســمع همس الحبيبين: عائشــة ومحمد ﷺ، أسمع مسامرتهما، أُنسهما ببعضهما، أكاد أشعر بحركاتهما، بأثر خطواتهما على أرض هذه الحجرة المباركة.

إنها مشاعر محب، فلا أحد يلومني بحبهما.

تعالوا نتعرف على ذلــك البيت الذي كان مســرحًا لحياة امرأة من

أعظم النساء، وأعلمهن على الإطلاق.

البيت الذي عاشـــت فيه هذه المرأة العظيمة فـــي طفولتها وفتوتها، وشـــبابها ونضجها، البيت الذي رغم تواضعه إلا أنه أصبح مهبطًا ومسرحًا لوحي الســـماء، تتنزل فيه الآيات، وتُروى فيه الحكم النبوية، والتوجيهات الإسلامية؛ لصناعة الحياة السعيدة بكل تفاصيلها.

تعالوا نتعرف على البيت الذي اعتاد الأمين جبريل -عليه الســـلام- دخوله، والتنزل فيه، واللقاء بمحمد ﷺ.

البيـــت الذي اجتمعت فيه معجزات وكرامـــات عَزّت على غيره من البقاع.

البيت الذي حدثت في زواياه أحداث غيّرت مجرى التاريخ!

تعالوا نتعرف على البيت الذي عاش أروع وأجمل وأعظم قصَّة حب في الدنيا.

البيت الذي واكب فصول حياة زوجية ســـعيدة، ومواقفها المتميزة؛ هي الأساس والمنهج للحياة الأسرية المثالية.

هذا البيت الذي يضمُّ اليوم في تاريخنا المعاصر أجساد ثلاثة عظماء من عظماء الدنيا؛ أحدهم نبي مرســـل ﷺ، أفضل من وطئت قدماه الثرى، وأعظم وأكرم البشر وخيرهم على الإطلاق زوج عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

والثانـــي أبو بكر الصديـــق عبد الله بن أبي قحافة القرشـــي التيمي، والد عائشـــة، أحد أعاظم العرب، وسيد من سادات قريش، العالم بأنساب القبائـــل وأخبارها، ومن كبار الأغنياء، وأوّل رجل في الأمة بعد النبي ﷺ، وخير الناس بعد الأنبياء والمرســـلين، وأول من آمن برســـول الله ﷺ من الرجال، وأول الخلفاء الراشدين المهديين.

ثم الفاروق عمر بن الخطاب، أحد الأبطال في الجاهلية والإسلام، وما زال المسلمون أعزة منذ أسلم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه، وثاني رجل في الأمة بعد النبي ﷺ، والصديق، وثاني الخلفاء الراشدين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين

كيف هو - يا ترى - هذا البيت؟

ما صفته؟

وكم مساحته؟

وكم عدد حجراته وأبوابه؟

وما محتوياته؟

وما نوع الأثاث فيه؟

يا الله! من يُصدق أن البيت الذي حدثت فيه كل هذه الأحداث..

البيت الذي حوى كل هذه الخصائص والمميزات..

البيت الذي يتغنى به التاريخ، ويفتخر به كل مســلم هو: غرفة واحدة فقط، حجرة صغيرة لا تتجاوز مساحتها تقريبًا خمسة أمتار في أربعة.

تقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ما زلت أضع خماري، وأتفضل في ثيابي حتى دفن عمر، فلم أزل متحفظة في ثيابي حتى بنيت بيني وبين القبور جدارًا[١]، عجيب! كم بقي لها إذًا من مساحة هذه الحجرة؟!

وممــا يدل على أن هــذا البيت حجــرة واحدة وصغيــرة، ما رواه البخاري وغيره: أنّ عمر بن الخطاب لما أرسل إلى عائشة يسألها أن يُدفن مع صاحبيه، قالت: «كنت أريده لنفسي، فلأوثرنّه اليوم على نفسي»[٢].

وعن مالك بن أنس قال: قُســم بيتُ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لقسمين: قسم كان فيه القبر، وقسم تكون فيه عائشة وبينهما حائط[٣].

يا الله! زوجة خير البشــر، حليلة أفضل الناس، وحبيبة أكرم الخلق؛ بيتها حجرة واحدة متواضعة صغيرة بجوار مسجد النبي ﷺ؟!

نعم بيت عائشة مكوَّن من غرفة واحدة فقط، لا تتجاوز خمسة أمتار فــي أربعة أمتار، أو أقل، حتى أن زوجها كان إذا أراد أن يُصلي في الحجرة

(١) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ٢٧٧)، وتاريخ المدينة لابن شبة (٣/ ٩٤٥).
(٢) رواه البخــاري في الجنائز، باب ما جاء في قبر النبي ﷺ، وأبي بكر، وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (ح: ١٣٩٢).
(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٢٢٤).

وعائشــة نائمة معترضة بينه وبين القبلة، غمزها لتَكُفَّ قدميها ليتمكن من السجود[1].

حجرة عَائِشَــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بنيت من الطين، ملاصقة للمســجد النبوي في المدينة، وكَانَ بَابُهَا مِنْ جهَةِ الشَّــامِ، وكان لها باب واحد من الخشب، وسقفها من جريد النخل.

أمَّا ارتفاع الســقف فكما يصفه الحســن البصري بقوله: «كنت وأنا مراهق أدخــل بيوت أزواج النبــي ﷺ في خلافة عثمان فأتناول ســقفها بيدى!»[2].

يعني: قد لا يتجاوز ارتفاع الحجرة عن المترين أو يزيد قليلًا.

كان بابها يفتح على الروضة التي وصفها الرســول ﷺ بأنها «**روضة من رياض الجنة**»[3]، وكان قبره ﷺ جنوب هذه الحجرة، وكانت عائشــة بعد وفاته ﷺ تقيم في الجزء الشمالي من هذه الحجرة.

---

(١) رواه أبو داود في الصلاة، باب من قال المرأة لا تقطع الصلاة (ح: ٧١٢)، والنسائي في الطهارة، باب تــرك الوضوء من مس الرجل امرأته من غير شــهوة (ح: ١٦٧)، وصححه الألباني.

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد (ح: ٤٥٠)، وصححه الألباني.

(٣) هي ما بين بيته ﷺ ومنبره. رواه البخاري في فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب فضل ما بين القبر والمنبر (ح: ١١٩٥)، ومســلم فــي الحج، باب ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة (ح: ١٣٩٠).

في الأدب المفرد للبخاري بســند صحيح، أن مُحَمَّد بْن أَبِي فُدَيْكٍ، روى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ هِلَالٍ، أَنَّــهُ رَأَى حُجَرَ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ جَرِيدٍ (أي: جريد النخل)، مَسْتُورَة بِمُسُوحِ الشَّعْرِ (أي: جلود الشعر)، فَسَأَلْتُهُ عَنْ بَيْتِ عَائِشَةَ، فَقَالَ: كَانَ بَابُهُ مِنْ وِجْهَةِ الشَّامِ، فَقُلْتُ: مِصْرَاعًا كَانَ أَوْ مِصْرَاعَيْنِ؟ قَالَ: كَانَ بَابًا وَاحِدًا، قُلْتُ: مِنْ أَيِّ شَيْءٍ كَانَ؟ قَالَ: «مِنْ عَرْعَرٍ، أَوْ سَاجٍ»[1]، نوع من أنواع الخشب.

كانت الحجرة تتصل من الشــمال بحجــرة فاطمة بنت محمد؛ بنت النبي ﷺ، وكان في بيتها كوَّة (نافذة)، وكان إذا قام النبي ﷺ للخروج اطّلع من الكوّة إلى ابنته فاطمة فيعلم خبرها.

هذا ما وقفت عليه من الروايات المقبولة في وصف بيت عائشة.

أمَّا أثاث بيتها، فليس في هذه الحجرة ســوى فراشها الذي ينام عليه رسول الله ﷺ، وقد سُئلت: ما كان فراش رسول الله ﷺ في بيتك؟ قالت: «مِنْ أَدَمٍ[2] حَشْوُهُ لِيفٌ»[3]، أي: جلد حيوان حشوه من ليف.

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (ح: ٧٧٦)، وصححه الألباني.

(٢) رواه البخــاري في الرقاق، باب كيف كان عيش النبــي ﷺ وأصحابه، وتخليهم من الدنيا(ح: ٦٤٥٦)، ومسلم في اللباس والزينة، باب التواضع في اللباس، والاقتصار على الغليظ منه واليســير في اللباس والفراش وغيرهما، وجواز لبس الثوب الشعر، وما فيه أعلام (ح: ٢٠٨٢).

(٣) رواه البخــاري فــي الرقاق، باب كيــف كان عيش النبــي ﷺ وأصحابه، وتخليهم مــن الدنيا(ح: ٦٤٥٦)، ومســلم في اللباس والزينة، بــاب التواضع في اللباس، =

ويرقّ قلبها الحنون ذات يوم لمرأى حبيبها ﷺ وهو ينام على الفراش الخشـــن، فأرادت أن تصنع له فراشًا أكثر لينًا حتى ينعم بنوم هانئ، فها هي تقول: «كَانَ لِرَسُـــولِ اللهِ ﷺ فِرَاشٌ رَثٌّ غَلِيظٌ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَجْعَلَ لَهُ فِرَاشًا آخَرَ لِيَكُونَ أَوْطَأَ لِرَسُـــولِ اللهِ ﷺ، فَجَاءَ فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا عَائِشَـــةُ؟» قُلْتُ: رَأَيْتُ فِرَاشَـــكَ رَثًّا غَلِيظًا، فَـــأَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ هَذَا أَوْطَأَ لَـــكَ. قَالَ: «أَخِّرِيهِ عَنِّي، وَاللهِ لَا أَقْعُدُ عَلَيْهِ حَتَّى تَرْفَعِيهِ» قَالَتْ عائشـــة: فَرَفَعْتُ الْأَعْلَى الَّذِي صَنَعَتُ»[١].

فبقي فراشها من طبقة واحدة حشوه من الليف، أي: كان فيه خشونة.

وفي الحجرة مصباح له فتيلة توضع في الزيت، يمكن لفأرة أن تجترَّها بيسر، فقد «استيقظ النبيُّ ﷺ يومًا، وَقَدْ أَخَذَتِ الفأرة الْفَتِيلَةَ، فَصَعِدَتْ بِهَا إِلَى السَّقْفِ لِتُحَرِّقَ عَلَيْهِ السقف»[٢].

وكان هذا المصباح لا يوقد كل ليلة بل كانت تمر الليالي ولا يُستخدم، تقول عائشـــة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «كَانَتْ تَأْتِي عَلَيْنَا أَرْبَعُونَ لَيْلَـــةً وَمَا يُوقَدُ فِي بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِصْبَاحٌ وَلَا غَيْرُهُ»[٣].

= والاقتصار على الغليظ منه واليســير في اللباس والفــراش وغيرهما، وجواز لبس الثوب الشعر، وما فيه أعلام (ح: ٢٠٨٢).

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (ح: ٩٩٣٣).

(٢) رواه أحمد (ح: ١١٧٥٥)، وضعفه الألباني، وقال الأرنؤوط وزملاؤه في تحقيقهم للمسند (١٨/ ٢٧٨): «صحيح لغيره..».

(٣) رواه الحاكم في المستدرك (ح: ٧٠٨٠)، وقال صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

وربما كان ببيت عائشة بعض الماعون الذي لا يخلو منه بيت، فحين كسرتْ عائشـــة صحفة -أو قصعة- لإحدى نســـائه ﷺ من فرط غيرتها، ألزمها النبي ﷺ بأن ترســـل قصعتها إلى ضرتها، وتأخذ هي المكســـورة، وربما هذا يدل علـــى أن القصعة كانت من الفخار، وأن ارتطامها بالأرض لم يهشـــمها بالكلية، بل أتى على جانب منها يمكـــن معه إصلاحها، ولم يكن في بيت عائشـــة حمام ومســـتراح لقضاء الحاجة، بل كانوا يخرجون ليلًا، وكان النســـاء يخرجن مع رفيقات لهن لقضاء الحاجة، وكان هذا من الليل إلى الليل، كما حدث في حادثة الإفك حيث قالت: «لما خَرَجْتُ مَعَ أُمِّ مِسْـــطَحٍ قِبَلَ الْمَنَاصِعِ[1]، وَكَانَ مُتَبَرَّزَنَا، وَكُنَّا لاَ نَخْرُجُ إِلاَّ لَيْلاً من الليل إِلَى اللَّيل، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الْكُنُفَ (أي: الحمامات[2]) قَرِيبًا مِنْ بُيُوتِنَا. قَالَتْ: وَأَمْرُنَا أَمْـــرُ الْعَرَبِ الأُوَلِ فِي الْبَرِّيَّةِ قِبَلَ الْغَائِطِ، وَكُنَّا نَتَأَذَّى بِالْكُنُفِ أَنْ نَتَّخِذَهَا عِنْدَ بُيُوتِنَا»[3].

يقـــول القاســـم بن محمـــد بن أبـــي بكر: قلـــتُ ذات يـــوم لعمّتي عائشـــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يا أمَّه! اكشِـــفي لي عن قبر النبي ﷺ وقبر صاحبيه، فإني

(١) المناصـــع: هي المواضع التي يتخلى فيها لقضاء الحاجة، واحدها: منصع؛ لأنه يبرز إليهـــا ويظهر. قال الأزهـــري: أراها مواضع مخصوصة خـــارج المدينة. النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٦٥).

(٢) الكنف بضمتين جمع: كنيف، وهو الســـاتر، والمراد به هنـــا المكان المتخذ لقضاء الحاجة. فتح الباري لابن حجر (٨/ ٤٦٥).

(٣) رواه البخاري في الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضًا (ح: ٢٦٦١)، ومسلم في التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف (ح: ٢٧٧٠).

أريـــد أن أراهما، وكانـــت القبورُ الثلاثة ما زالت داخـــل بيتها، وقد غطَّتها بما يســـترها عن العين، فكشفت لي عن ثلاثة قبور، لا مُشرِفة ولا لاطِئة[١]، قد مُهِّدت بصغار الحصى الحُمر، مما كان في باحة المســـجد، فقلتُ: أين قبرُ رسول الله ﷺ؟ فأشارت بيدها، وقالت: هذا، ثم تحدَّرت على خدَّيها دمعتان كبيرتان، فبادرتْ فمســـحتْهما حتى لا أراهمـــا، كان قبرُ النبيﷺ مُقدَّمـًا على قبر صاحبيه، فقلت: وأين قبر جـــدِّي أبي بكر؟ قالت: هو ذا، وكان مدفونًا عند رأس النبي ﷺ، فقلتُ: وهذا قبرُ عمر؟ قالت: نعم، وكان رأسُ عمـــر -رضوان الله عليه- عند خصر جدِّي قريبًا من رِجل النبي عليه الصلاة والسلام[٢].

اليوم توجد الحجرة النبوية في الجزء الجنوبي الشـــرقيِّ من مسجد الرسول ﷺ، وهي محاطة بمقصورة، ويحيط بالحجرة النبوية أربعة أعمدة أقيمت عليهـــا القبَّة الخضراء التي تميَّز بها المســـجد النبويّ، أمَّا الروضة

(١) قال القاري في مرقاة المفاتيح (٢/ ٣٧٩): «لا مشرفة»: مرتفعة غاية الارتفاع، وقيل: أي: عالية أكثر من شبر، «ولا لاطئة» بالهمزة والياء، أي: مستوية على وجه الأرض، يقـــال: لطأ بالأرض، أي: لصق بها..، قال ابن الملك: أي: مســـوَّاة مبســـوطة على الأرض.

(٢) أصل القصة رواها أبو داود في الجنائز، باب في تسوية القبر (ح: ٣٢٢٠)، والحاكم في المســـتدرك (١/ ٥٢٤) وفيه زيادة تحديد القبور، وقـــال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإســـناد ولم يخرجاه»، وصححه النووي فـــي المجموع (٥/ ٢٩٦)، وابن الملقن في البدر المنير (٥/ ٣١٩)، وحســـنه إسناده الأرنؤوط وزملاؤه في تحقيقهم لسنن أبي داود (٥/ ١٢٦).

الشـــريفة فهي بيـــن المنبر وقبر الرســـولﷺ، ويبلغ طولهـــا (٢٢) مترًا، وعرضها (١٥) مترًا.

أخيرًا: هذا هو بيت عائشـــة من الطِّين، مسقوف من الجريد، تدخله الشـــاة الداجن، أو الفأرة؛ بكل يُســـر، ربما تتقاطر فيه قطرات المطر حين تتلبَّد السماء بالغيوم، وتهطل الأمطار!

وهذا البيت المتواضع في أثاثه، والضيِّق في مســـاحته كان لعائشـــة كالفضاء في اتســـاعه وزينته، فلم تتذمر منه يومًا، بل عاشت فيه مع حبيبها محمدﷺ بكل ســـعادة وحبور، صابرة راضية، ومتحمِّلة كل لأواء العيش وشظفه، ومضايقه من الفقر والجوع.

شـــاركت حبيبهاﷺ مُرَّ الحياة وحُلْوها، وقد كانت يمر عليها الشهر والشهران ولا توقد في بيتها نار للطهي!

ويسألها ابن أختها عروة بن الزبير بكل استغراب قائلًا: يَا خَالَةُ مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟ قَالَتْ: «الْأَسْوَدَانِ: التَّمْرُ، وَالْمَاءُ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِﷺ جِيرَانٌ مِنْ الْأَنْصَارِ، كَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ، وَكَانُوا يَمْنَحُونَ رَســـولَ اللَّهِﷺ مِنْ أَلْبَانِهِمْ، فَيَسْقِينَا»[1].

وعَنْهـــا رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قَالَتْ: «مَـــا أَكَلَ آلُ مُحَمَّدٍﷺ أَكْلَتَيْـــنِ فِي يَوْمٍ إِلَّا

(١) رواه البخـــاري في الهبة وفضلها والتحريض عليهـــا، باب فضل الهبة (ح: ٢٥٦٧)، ومسلم في أوائل الزهد والرقائق، باب منه (ح: ٢٩٧٢).

إِحْدَاهُمَا تَمْرٌ»[1].

وعَنْها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «تُوُفِّيَ رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ وَمَا فِي بَيْتِي مِنْ شَيْءٍ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ، إِلَّا شَطْرُ شَعِيرٍ فِي رَفٍّ لِي، فَأَكَلْتُ مِنْهُ حَتَّى طَالَ عَلَيَّ، فَكِلْتُهُ فَفَنِيَ»[2].

وعَنْها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «مَـا كَانَ لِإِحْدَانَا إِلَّا ثَوْبٌ وَاحِدٌ تَحِيضُ فِيهِ، فَإِذَا أَصَابَهُ شَيْءٌ مِنْ دَمٍ قَالَتْ بِرِيقِهَا، فَقَصَعَتْهُ بِظُفْرِهَا»[3].

وهكذا كانت عائشـة، قد رفعت لواء الصبر والرضا بشظف العيش، وأيقنت أنه:

على قَدْر فضل المرء تأتي خطُوبُهُ
ويُحمـد منـه الصبـرُ ممـا يصيبُـهُ
فمَن قـلَّ فيمـا يتقيـه اصطبارُهُ
لقـد قـلَّ فيمـا يرتجيـه نصيبُـهُ[4]

(١) رواه البخاري في الرقاق، باب: كيـف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه، وتخليهم من الدنيا (ح: ٦٤٥٥)، ومسلم في أوائل الزهد والرقائق (ح: ٢٩٧٢).

(٢) رواه البخاري في فرض الخمس، باب: أداء الخمس من الدين (ح: ٣٠٩٧)، ومسلم في أوائل الزهد والرقائق (ح: ٢٩٧٣).

(٣) رواه البخاري في الحيض، باب: هل تصلي المرأة في ثوب حاضت فيه؟ (ح:٣١٢). قوله: (قالت بريقها) بلّته بريقها. وقوله: (فقصعته بظفرها) أي: دلكته وحكته به.

(٤) البيتان في المستطرف في كل فن مستظرف (ص: ٣١٦) غير منسوب.

وبالرغم من أنَّه بيت متواضعٌ، إلا إنهــا تعلمت من حبيبها وزوجها رســول اللهﷺ ألا يحتوي ذلك البيت الصغير علــى أيِّ مخالفة لأمر الله تعالى.

فيومًــا ما، دفعتها المحبــة التي تمكنت من قلبها لرســول الله ﷺ، والرغبة في نيل رضاه، لأن تشتري له وسادةً صغيرةً، يجلس عليها ويتكئ.

وبينما هي تُمنِّي نفســها برؤية ثغره الباســم لدى عودته، تُفاجأ بأن الحبيب ﷺ قام على الباب ولم يدخل، فعرفت عائشة الكراهة في وجهه، وأصابتها الدهشــة، وكأنها حدّثت نفسها ســرًّا: ماذا جنيتُ؟ هل اقترفت خطأً ما في حقِّ زوجي الحبيب، وأغلى الناس عندي؟

لكنّها سرعان ما بادرت بسؤاله بأسلوب الزوجة الرصينة التي تعرف كيف تسأل زوجها عن ســبب تغيره، فقالت: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُــولِهِ فَمَاذَا أَذْنَبْتُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا بَالُ هَذِهِ النُّمْرُقَةِ؟»(١) فَقَالَتْ: اشْــتَرَيْتُهَا لَكَ تَقْعُدُ عَلَيْهَا وَتَوَسَّــدُهَا. فَقَالَ رَسُــولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّــوَرِ يُعَذَّبُونَ، وَيُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَــا خَلَقْتُمْ. ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ الصُّوَرُ لَا تَدْخُلُهُ الْمَلَائِكَةُ»(٢).

---

(١) النُّمْرُقَة: الوسادة الصغيرة. انظر: الصحاح (٤/ ١٥٦١) (نمرق).

(٢) رواه البخــاري في النكاح، باب هل يرجــع إذا رأى منكرًا في الدعوة (ح: ٥١٨١)، ومســلم في اللباس والزينــة، باب لا تدخل الملائكة بيتًا فيــه كلب ولا صورة (ح: ٢١٠٧).

لقد بان لها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن سبب غضبه ﷺ لتلك الصور لذوات الأرواح التي حرمها الله تعالى، وما كان لذلك البيت المبارك أن يحتوي على ما يغضب الله تعالى.

وبهذه المثالية في الرضا والصبر على لأواء العيش عاشت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وبهذا البيت المتواضع والأثاث المتواضع نامت عائشة وهي عروس، ونامت وهي زوجة، ونامت وهي أرملة، إلى أن فاضت روحها إلى ربها، فرضي الله عن أمنا الطاهرة المطهرة وأرضاها.

سؤال تطبيقي:

ما الذي نستفيده من وصف بيت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وحالها؟

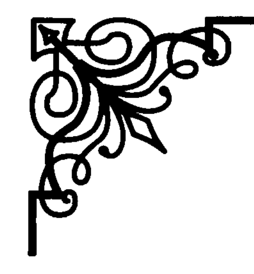
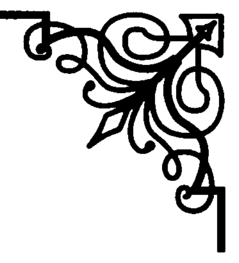
الإجابة باختصار:

أولًا: لقد ضربت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا المثل الأعلى في هجر الترف، وتحمل خشونة العيش، إيثارًا لما عند الله تعالى، فهي تعلم بأن خشونة العيش لم تكن بخلًا من زوجها ﷺ الذي خيّره الله أن يقلب له جبل أحد ذهبًا، فاختار ﷺ الحياة الحقيقة.

ثانيًا: تعلمنا من وصف بيت عائشة أن الحياة مهما طالت بصاحبها فهي قصيرة، وأنه مهما اهتمَّ لها وجمع لها، فهو صائر إلى دار الخلد، وسيلقى فيها الجزاء صابرًا كان أو جزعًا.

ثالثًا: لست هنا أدعو للتزهد والتقشف، بل للقناعة والرضا والتي هي أساس السعادة الزوجية، بل أس الحياة كلها.

رابعًا: سـيرة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ليست مجرد ترجمة ومواقف، بل هي منهج وقدوة للجميع، وخاصة للفتاة المعاصرة.

[٣]

عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا طفلة

ولدت أم المؤمنين عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا في مكة المكرمة بعد المبعث بأربع سنين، أو خمس سنين(١)، وقد أرضعتها زوجة أبي القعيس، كما قالت: «اسْتَأْذَنَ عَلَيَّ أَفْلَحُ أَخُو أَبِي القُعَيْسِ بَعْدَمَا أُنْزِلَ الحِجَابُ، فَقُلْتُ: لاَ آذَنُ لَهُ حَتَّى أَسْتَأْذِنَ فِيهِ النَّبِيَّ ﷺ، فَإِنَّ أَخَاهُ أَبَا القُعَيْسِ لَيْسَ هُوَ أَرْضَعَنِي، وَلَكِنْ أَرْضَعَتْنِي امْرَأَةُ أَبِي القُعَيْسِ، فَدَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَفْلَحَ أَخَا أَبِي القُعَيْسِ اسْتَأْذَنَ فَأَبَيْتُ أَنْ آذَنَ لَهُ حَتَّى أَسْتَأْذِنَكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَمَا مَنَعَكِ أَنْ تَأْذَنِي عَمُّكِ؟»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيْسَ هُوَ أَرْضَعَنِي، وَلَكِنْ أَرْضَعَتْنِي امْرَأَةُ أَبِي القُعَيْسِ، فَقَالَ: «ائْذَنِي لَهُ فَإِنَّهُ عَمُّكِ تَرِبَتْ يَمِينُكِ»(٢).

---

(١) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٨/ ٢٣١).

(٢) رواه البخاري في تفسير القرآن، باب قوله: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ ۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾﴾ [الأحزاب: ٥٥] (ح: ٤٧٩٦)، ومسلم في الرضاع، باب تحريم الرضاعة من ماء الفحل (ح: ١٤٤٥).

تربَّت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تسع ســـنين في بيت أبيها أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وتســـع ســـنين أخرى في بيت النبوة، فكانت طفولتها فـــي بيت الصدق، وصباها في بيت النبوة.

مَــنْ ذا يُفَاخِرُني وينكــرُ صُحْبَتي
ومُـحَـمَّـدٌ فـي حِـجْـرِه رَبَّـانـي؟[1]

ثم عاشت بعد وفاة النبي ﷺ إلى أن توفِّيت في خلافة معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليلة الثلاثاء، الســـابع عشر من رمضان، ســـنة ثمان وخمسين من الهجرة، وكان عمرها ستًّا وستِّين سنة.

لقد بدت ملامح شخصيّتها في صغرها، فلمعت المواهب والقدرات في طفولتها، ومما يدل على نبوغها وذكائهـــا، وقوة ذاكرتها منذ أن كانت صغيرة قولها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «لَقَـــدْ أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ بِمَكَّـــةَ، وَإِنِّي لَجَارِيَةٌ أَلْعَبُ قول الحق -عز وجل-: ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ ﴾ [القمر: ٤٦]»[2].

لقد كانت عائشـــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في طفولتها مثل جميـــع الأطفال؛ كثيرة اللعب، دائبة الحركـــة، لها صواحب تلعب معهـــنَّ، وكانت تلعب معهنَّ

(١) القصيدة الوضاحية في مدح السيدة عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، لابن بهيج الأندلسي (ص: ٤٢).

(٢) رواه البخـــاري في تفســـير القرآن، بـــاب قولـــه: ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ ﴾ [القمر: ٤٦] (ح: ٤٨٧٦).

بأرجوحة بين شـــجرتين، حتى تزوجت وانتقلت لبيـــت النبوة، وكان من حســـن خلق النبي ﷺ أنه يُراعي صغر سن عائشـــة، بل يمكِّنها من اللَّعب والمرح مع صويحباتها، كان يُقدر حداثة ســـنِّها، وحاجتها إلى اللعب في مثل هذا السنّ، فكان يُسرِّب لها صويحباتها يلاعبنها، وكانت تقول: «كُنْتُ أَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ (وفي رواية مســـلم: وَهُنَّ اللُّعَبُ) عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وكان لي صواحب يلعبن معي، فكان النبي ﷺ إذا دخل يتقمعن منه، (أي: يدخلن البيت، ويستترن منه، ثم يذهبن، وفي رواية ينقمعن)، فيسربهن إلي (أي: يرســـلهن واحدة بعد الأخرى)، فيلعبن معـــي»[1]. «وَزُفَّتْ إِلَيْهِ وَهِيَ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ، وَلُعَبُهَا مَعَهَا»[2].

وتقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «وَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُـــولَ اللـــهِ ﷺ يَقُومُ عَلَى بَابِ حُجْرَتِي، وَالْحَبَشَةُ يَلْعَبُونَ بِالْحِرَابِ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَسْتُرُنِي بِرِدَائِهِ لِأَنْظُرَ إِلَـــى لَعِبِهِمْ مِنْ بَيْنِ أُذُنِـــهِ وَعَاتِقِهِ، ثُمَّ يَقُومُ مِنْ أَجْلِي، حَتَّـــى أَكُونَ أَنَا الَّتِي أَنْصَرِفُ»، -ثم تقول- «فَاقْدُرُوا قَدْرَ الْجَارِيَةِ الْحَدِيثَةِ السِّنِّ، الْحَرِيصَةِ عَلَى اللهْوِ»[3].

---

(١) رواه البخاري في الأدب، باب الانبساط إلى الناس(ح:٦١٣٠)، ومسلم في فضائل الصحابة، باب في فضل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ح: ٢٤٤٠).

(٢) رواه مسلم في النكاح، باب تزويج الأب البكر الصغيرة (ح: ١٤٢٢).

(٣) رواه أحمـــد (ح: ٢٥٣٣٣)، والحديث بنحوه عند البخاري فـــي النكاح، باب نظر المرأة إلى الحبش ونحوهم في غير ريبة (ح: ٥٢٣٦)، ومســـلم في صلاة العيدين، باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد (ح: ٨٩٢).

كان ﷺ يُضاحكها، ويُعجب بكلامها؛ ويراعي حداثة ســنِّها، فذات مرة: كانت تلعب باللُّعب، فجاءها الرسول ﷺ فرفع الستر وقال: «ما هذا يا عائشـــة؟» فقالت: لعب يا رســول الله قال: «ما هذا الذي أرى بينهن»؟ قالت: فرس يا رســول الله، قال: «وما الذي عليه؟» قالت: جناحان، فقال: «فرس له جناحان»؟! فقالت: ألم يكن لســليمان بن داود خيل لها أجنحة؟ ضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه»[1].

هذا الرد المقنع من عائشـــة الصغيرة يدل على سرعة بديهتها، وسعة ثقافتها، وذكائها المتوقد، فأعجبه ﷺ سرعة إدراكها للأمور في سن مبكرة، وخلال فتــرة قصيرة صــارت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عالمة مثقفة، اســتوعبت ثقافات مجتمعهــا، بل وكثيرًا من ثقافــات الأمم الأخرى من الوفــود التي كانت تحضر لرسول الله ﷺ من جميع الأنحاء.

تفوقت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا على كثير من الرجال، حفظت سنة النبي ﷺ وحدَّثت الأمة بأحوال رســول الله ﷺ الدقيقة والجليلــة امتثالًا بأمر الله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ٣٤ ﴾ [الأحزاب: ٣٤].

والمراد بالحكمة في الآية: السنة النبوية، ولعل هذا من أعظم الحِكَم

(١) رواه أبو داود في الأدب، باب في اللعب بالبنات (ح: ٤٩٣٢)، وصحح سنده العراقي في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين (٣/ ١٣٢٩)، وأحمد شاكر في تحقيق المسند (١٤/ ٢٦٤)، والألباني في آداب الزفاف في السنة المطهرة (ص: ٢٧٥).

التي من أجلها أوحى الله -عزَّ وجلَّ- لنبيه ﷺ بالزَّواج من عائشة بسنٍّ مبكرة، فأدركت تسع سنين من أواخر عمره ﷺ حفظ الله بها الكثير من دينه بحفظ عائشة رضي الله عنها سنَّة النبي ﷺ وأحواله؛ ولذا قدر الله عزَّ وجلَّ بحكمته وسابق علمه أن تكبر عائشة وهي طفلة، نعم كبرت حقيقة بعقلها وعلمها، ووعيها وفقهها، وإدراكها للأمور، وتجاربها.

ويُروى أنه «لَمَّا مَاتَتْ خَدِيجَةُ حَزِنَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِعَائِشَةَ فِي مَهْدٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ تَذْهَبُ بِبَعْضِ حُزْنِكَ، وَإِنَّ فِي هَذِهِ لَخَلَفًا مِنْ خَدِيجَةَ، ثُمَّ رَدَّهَا فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْتَلِفُ إِلَى بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ وَيَقُولُ: «يَا أُمَّ رُومَانَ، اسْتَوْصِي بِعَائِشَةَ خَيْرًا، وَاحْفَظِينِي فِيهَا» فَكَانَ لِعَائِشَةَ بِذَلِكَ مَنْزِلَةٌ عِنْدَ أَهْلِهَا وَلَا يَشْعُرُونَ بِأَمْرِ اللَّهِ فِيهَا»(١).

وأصل هذا في الصحيحين كما تروي عائشة رضي الله عنها أن رسول اللَّه ﷺ قال لها: «أُرِيتُكِ فِي الْمَنَامِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، جَاءَنِي بِكِ الْمَلَكُ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ؛ فَيَقُولُ: هَذِهِ امْرَأَتُكَ، فَأَكْشِفُ عَنْ وَجْهِكِ فَإِذَا أَنْتِ هِيَ،

(١) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٨/ ٦٢)، والحاكم في المستدرك (ح: ٦٧١٦)، وسكت عنه، وكذا سكت عنه الذهبي، وهو إضافة إلى كونه مرسلًا فيه عبد الواحد بن ميمون. قال البخاري في التاريخ الكبير (٦/ ٥٨): «منكر الحديث». وقال النسائي في الضعفاء والمتروكون (ص: ٦٨): «ليس بثقة». وقال ابن حبان في المجروحين (٢/ ١٥٥): «يروي الموضوعات عن الأثبات يحدث عن عروة بن الزبير بما ليس من حديثه فبطل الاحتجاج بروايته». ينظر: لسان الميزان (٤/ ٨٣).

فَأَقُولُ: إِنْ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمْضِهِ[1]»[2].

زَوْجِـي رَسُـولُ الله لَـمْ أَرَ غَيْرَهُ
الـلـهُ زَوَّجَـنـي بِـهِ وحَـبَـانـي
وأتـاهُ جِبريـلُ الأَمِيـنُ بِصُورَتي
فأَحَبَّني الـمُـخْـتـارُ حِـيـنَ رآنـي[3]

تلقَّــى النبيُّ ﷺ هذه البشــرى ولكنــه مع ذلك انتظــر ولم يخطب عائشـــة حتى جاءته خولة بنت حكيم تلك المـــرأة العاقلة زوجة عثمان بن مظعون رضي الله عنهم أجمعين، فذكرت عائشة رضي الله عنها، ورشحتها للنبي ﷺ، فخطب النبي ﷺ عائشة من أبي بكر وهي بنت ست[4]، وبنى بها ﷺ وهي

(١) يحتمـــل أن يكون ذلـــك قبل البعثة فلا إشـــكال فيـــه، وإن كان بعدهـــا ففيه ثلاث احتمالات: أحدهـــا: التردد هل هي زوجته في الدنيـــا والآخرة، أو في الآخرة فقط. ثانيها أنه لفظ شـــك لا يُراد به ظاهره، وهو أبلغ في التحقق، ويسمى في البلاغة مزج الشك باليقين. ثالثها: وجه التردد هل هي رؤيا وحي على ظاهرها وحقيقتها، أو هي رؤيا وحي لها تعبير، وكلا الأمرين جائز في حق الأنبياء. قال الحافظ معقبًا على هذه الوجوه: «الأخير هو المعتمد». ينظر: فتح الباري لابن حجر (٩/ ١٨٢).

(٢) رواه البخاري في مناقب الأنصار، باب تزويج النبي ﷺ عائشـــة، وقدومها المدينة، وبنائه بها (ح: ٣٨٩٥)، ومســـلم -واللفظ له- فـــي فضائل الصحابة، باب في فضل عائشة رضي الله عنها (ح: ٢٤٣٨).

(٣) القصيدة الوضاحية في مدح السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، لابن بهيج الأندلسي (ص: ٤٢).

(٤) وفي صحيح مســـلم (ح: ١٤٢٢): «ســـبع». قال الحافظ في الإصابة (٨/ ٢٣٢): =

بنت تسع[1]، وتوفي عنها وهي بنت ثماني عشرة سنة.

زواج عائشة وهي صغيرة أثار الكثير من القيل والقال في الأزمنة المتأخرة، وليس المجال هنا مجال الردّ، لكن يكفي أن أنطلق من القاعدة الفقهية الجميلة: «الحكم على الشيء فرع عن تصوره»، ومن تصور واقع العرب قديمًا، واستقصى الماضي من مسألة زواج الفتيات مبكرًا عرف يقينًا أنها كانت من عاداتهم.

بل لا نذهب بعيدًا ففي زمن أجدادنا وجداتنا، وفي كل الدول حتى الغربية منها، كانت الفتاة تتزوج وربما أنجبت في سن الثانية عشرة،

= «الصّحيح أنّ النبي ﷺ تزوجها وهي بنت ست، وقيل: سبع، ويجمع بأنها كانت أكملت السّادسة ودخلت في السّابعة، ودخل بها وهي بنت تسع، وكان دخوله بها في شوال في السنة الأولى».

(١) رواه أحمد (ح: ٢٥٧٦٩)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (ح: ٣٠٠٦)، والطبراني في المعجم الكبير (٢٣/ ٢٣، ح: ٥٧)، والحاكم في المستدرك (٢/ ١٨١) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه»، قال الذهبي: «على شرط مسلم». وقال في تاريخ الإسلام (١/ ٦٤٤): «إسناده حسن». وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٩/ ٢٢٧): «رواه أحمد، بعضه صرح فيه بالاتصال عن عائشة، وأكثره مرسل، وفيه محمد بن عمرو بن علقمة وثقه غير واحد. وبقية رجاله رجال الصحيح». وحسَّن الحافظ إسناده في فتح الباري (٧/ ٢٢٥)، وقال الأرنؤوط ومن معه في تحقيقهم للمسند: «إسناده حسن، من أجل محمد بن عمرو، وهو ابنُ عَلْقَمَة بن وقَّاص، وقد روى له البخاري مقرونًا، ومسلمٌ متابعة، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين غير يحيى، وهو ابن عبد الرحمن بن حاطب، فمن رجال مسلم، وهو ثقة».

أو الرابعة عشرة، فمن عاداتهم تزويج الفتاة إذا بلغت، واحتملت أعباء الزواج، بل ربما شعروا بالخوف والقلق إذا بلغت ابنتهم سن التاسعة أو العاشرة أو الحادية عشرة ولم يتقدم إليها أحد للخطوبة، وقد كان المعيار قديمًا: تحملهن للزواج، وهو يتوقف على نضجهن الجسدي والجنسي والعقلي، وليس لمجرد نزول الحيض فقط، ويكفي المنصف دليلًا أن أشار الله - تعالى - لهذه العادة في زمانهم فذكر عدة الفتاة المطلقة التي لم تحض، أي: كانت متزوجة قبل نزول الحيض، يعني: وهي صغيرة، ذكرها في سورة الطلاق الآية الرابعة: ﴿ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ ﴾ [الطلاق: ٤]، لكن الأمور اختلفت الآن، تغير الزمان، وتغيرت العادات بل والشخصيات بتغير الظروف والأحوال والبيئة، والتي أيضًا بتغيرها قد تتغير الفتاوى المتعلقة بتلك العادات حسب المقاصد والمصالح والمفاسد، فواضح أن المسألة في ذلك الزمان جدًّا عادية بينهم، ولذا لم تُستغرب، بدليل أنه لم نجد نقلًا أو رواية أو نصًّا اعترض عليها، أو أن أحدًا عابها، فرغم ورود عشرات الروايات عن زواج عائشة وهي صغيرة وبأكثر من سند إلا أننا لم نقف على أي اعتراض لا من المسلمين، ولا من الكافرين، ولا من اليهود الذين بلغتهم أخبار ذلك الزواج آنذاك، وقد كانوا بالمرصاد لكل ما يظن أن فيه نيلًا من الرسول ﷺ، بل إنه أُقيم لعائشة عرسًا معلنًا اجتمعت فيه نساء الأنصار، ومِن قبل ذلك كانت موافقة الأب والأمِّ.

ومما يؤكد هذا ورود روايات ثابتة بأنه كان قد تقدَّم لعائشة قبل النبي ﷺ وهي في ذلك السنِّ الصغيرة: جبير بن المطعم بن عدي، وكان

حينئذ لم يزل مشركًا، ثم أسلم بعد ذلك، وأيضًا الذي أشار على النبي ﷺ بهذا الزواج ابتداءً المرأة الحكيمة العاقلة خولة بنت حكيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بعد موت خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، كل ذلك نجده مفصلًا في مصادر السنة الصحيحة والموثوقة، فتزويج الفتاة الصغيرة عادة درجوا عليها[1]، كما دلت عليه سنة نبينا ﷺ، فجعل للبكر الرأي، ولها الاعتراض على الزواج لو شاءت، كما في حديث ابن عباس: «أَنَّ جَارِيَةً[2] بِكْرًا أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ، فَذَكَرَتْ أَنَّ أَبَاهَا زَوَّجَهَا وَهِيَ كَارِهَةٌ فَخَيَّرَهَا النَّبِيُّ ﷺ»[3].

---

(١) وهذه بعض أمثلة من التاريخ الأوروبي فقط تؤكد على أن تزويج الفتيات كان مشتهرًا في الأزمنة القديمة في سن قريبة من سن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، بل أحيانًا في أقل من سنها:

(أ) في القرن الحادي عشر الميلادي تزوجت أوراكا ملكة قشتالة وليون وعمرها (٨) سنين فقط. انظر: ص: ١٦١ من كتاب *T. Earenfight, Queenship in Medieval Europe (Palgrave Macmillan, 2013).*

(ب) في القرن الثاني عشر تزوج فيليب أغسطس الثاني ملك فرنسا إيزابيلا وعمرها (١٠) سنين فقط. انظر: ص: ٢٤٠ من كتاب *C. Hartley, A Historical Dictionary of British Women (Taylor & Francis, 2013).*

(ج) سن جوانا ملكة صقلية وقت الزواج (١١) سنة. ينظر: المرجع السابق، ص: ٢٤٦ لنفس الكتاب السابق.

(د) سن إيزابيلا ملكة إنجلترا وقت الزواج (٨) سنين. انظر: ص: ٣١ من كتاب *K. Green, and C. Mews, Virtue Ethics for Women 1250-1500 (Springer) Netherlands, 2011.*

(٢) الجارية هي الفتاة الصغيرة. انظر: شمس العلوم للحميري (٢/ ١٠٤٨).

(٣) رواه أحمد (٤/ ٢٧٥)، وأبو داود في النكاح، باب في البكر يزوجها أبوها ولا يستأمرها (ح: ٢٠٩٦)، وابن ماجه في النكاح، باب من زوج ابنته وهي كارهة =

أيضًا ما ترويه عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا نفسها أنها سألت النبي ﷺ عن الجارية ينكحها أهلها أتُستأمر أم لا؟ قال: «نعم تُستأمر»، فقالت: إنها تستحي يا رسول الله ﷺ، فقال: «ذاك إذنها إذا هي سكتت»[1].

وهناك ردود أخرى كثيرة على مسألة تزويج عائشة وهي صغيرة؛ شرعية وعلمية وطبية، لكن ليس هذا مكانها، فرويدكم رويدكم واتقوا الشبهات التي تُثار بين الحين والحين لتشويه صورة النبي محمد ﷺ، ولا ينطلي عليكم مكر مَن حَمَلَ لواء الإساءات المتكررة لحبيبنا ﷺ.

لقد حازت الطاهرة المطهرة الفضل من كل جوانبه، نالت عائشة بزواجها من النبي ﷺ الشرف والمجد من سائر أبوابه، إنها الزهرة التي نشأت ونبتت في حقل الإسلام، سقيت بمداد الوحي على يد صديق الأمة ابتداء، ثم بعد ذلك على يدي رسول هذه الأمة ﷺ، فنشأت في بيت أهلُه كلُهم مسلمون، وليس في الصحابة من أسلم أبوه وأمه وأولاده وأدركوا النبي ﷺ، وأدركه أيضًا بنو أولاده إلا بيت أبي بكر من جهة الرجال والنساء.

قَالَتْ عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا: «لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ قَطُّ إِلاَّ وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ، وَلَمْ

= (ح: ١٨٧٥)، وصححه الألباني.

(١) رواه البخاري في الحيل، باب في النكاح (ح: ٦٩٧١)، ومسلم في النكاح، باب استئذان الثيب في النكاح بالنطق، والبكر بالسكوت (ح: ١٤٢٠).

يَمْرُرْ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلاَّ يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ طَرَفَيِ النَّهَارِ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً»(١). وهذا يبيِّن مدى ما يربط أبا بكر بالنبي ﷺ من علاقات حميميَّة، وصلات وثيقة.

السؤال التطبيقي:

كيف نستثمر طفولة عائشة ومواقفها وأحداثها في واقعنا المعاصر؟

أولًا: أثبتت طفولة عائشة أن مرحلة الطفولة لكل الناس هي مرحلة التأسيس والبناء للقدرات.

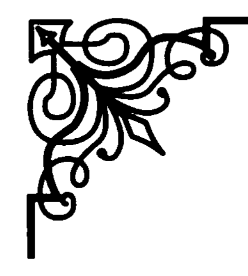
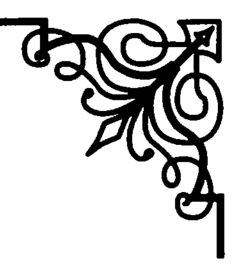
ثانيًا: أهمية اللَّعب للصغار، وأنه مظهر من مظاهر النمو العقلي للصغير؛ فتطور ألعابه يُعَبِّر عن درجة نضجه العقلي والوجداني، وهو نشاط روحي نقي للطفل.

ثالثًا: الدين لا يقاس بالعقل فقط، بل أيضًا بالوحي الثابت بالقرآن والسنة الصحيحة، فمن أهم صفات المؤمنين: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ [البقرة: ٣].

رابعًا: العادات والأعراف تختلف باختلاف الزمان، وما لم يثبت منها بالنص الشرعي الصحيح، فلا تثريب على الناس فيه بتغير الزمان والظروف والأحوال والبيئة، والتي ربما بتغيرها تتغير الفتاوى المتعلِّقة بالأعراف حسب المقاصد والمصالح والمفاسد.

(١) رواه البخاري في الصلاة، باب المسجد يكون في الطريق من غير ضرر بالناس (ح:٤٧٦).

خامسًا وأخيرًا: عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قدوة، وحياتها مدرسة منذ طفولتها، فلا بد أن تُدرس للأجيال بكل الوسائل والأساليب خاصة للفتيات.

[٤]

عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا بنتًا

كيف كانت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا في مرحلة الفتوة؟

وكيف كانت كبنت في بيت أبويها؟

وكيف كانت علاقتها بأبيها وبأمِّها؟

وكيف كانت علاقتها بإخوتها وأخواتها؟

أسـئلة كثيرة قد تدور في ذهن الكثير مـن الفتيات والبنات، وكيف تجاوزت عائشة أم المؤمنين هذه المرحلة التي تُتهم فيها الفتيات بالمراهقة وما أشبهها من عبارات؟

وكيف نستفيد من تجاربها رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا؟ ومن مواقفها في حياتنا؟

عائشـة ولدت ككل الناس، وعاشـت طفولتها بين أسرتها وأبويها، وبين جدران بيت مـن الطين في رحاب مكة المكرمـة، ثم انتقلت لبيت زوجها في المدينة النبوية -على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم-.

وهي كغيرها من النســـاء مرَّت بمرحلة الفتوَّة، فكانت فتاة صالحة، وبنتًا بارّة، ومن فضل الله عليها أن نشأت في بيت كل أهله مسلمون؛ حيث تقول: «لم أعقل أبويّ إلا وهما يدينان الدين، ولم يمرّ علينا يوم إلا ويأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار، بكرة وعشية»[1].

كانت هذه المرحلة لعائشة (كبنت) ما بين التسع سنوات إلى الثامنة عشـــر هي أروع سنواتها، حيث درست في أرقى وأعظم مدرسة، المدرسة المحمدية، فقد انتقلت إلى بيت زوجها، بعد أن تأسســـت وتربت في بيت أبي بكر الصديق رضوان الله عليهم أجمعين.

وكانت عائشـــة ذات صفـــات خِلْقِيَّة جميلة، فكانت بيضاء مشـــربة بحمرة؛ ولهذا يقال لها: الحميراء[2]، نحيلة الجســـم في شبابها، ومع مرور الأيام امتلأت وبدنت، وحملت اللحم، كما قالت: خَرَجْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ وَأَنَا جَارِيَةٌ لَمْ أَحْمِلِ اللَّحْمَ وَلَمْ أَبْدُنْ، فَقَالَ لِلنَّاسِ: «تَقَدَّمُوا» فَتَقَدَّمُوا، ثُمَّ قَالَ لِي: «تَعَالَيْ حَتَّى أُسَـــابِقَكِ» فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ، فَسَكَتَ عَنِّي، حَتَّى إِذَا حَمَلْتُ اللَّحْمَ وَبَدُنْتُ وَنَسِـــيتُ، خَرَجْتُ مَعَهُ فِي بَعْضِ أَسْـــفَارِهِ، فَقَالَ لِلنَّاسِ: «تَقَدَّمُوا» فَتَقَدَّمُوا، ثُمَّ قَالَ: «تَعَالَيْ حَتَّى أُسَـــابِقَكِ» فَسَابَقْتُهُ، فَسَبَقَنِي، فَجَعَلَ يَضْحَكُ، وَهُوَ يَقُولُ: «هَذِهِ بِتِلْكَ»[3].

---

(١) رواه البخـــاري في الصلاة، باب المســـجد يكون في الطريق مـــن غير ضرر بالناس (ح:٤٧٦).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ١٤٠).

(٣) رواه أحمد (ح: ٢٦٢٧٧)، وصححه الألباني.

وكان شعر عائشة طويلًا وهي صغيرة، ثم أصابها مرض شديد فتمزق معه شعرها وصار تحت المنكبين، وكان عمرها حينئذ ست سنين، ثم تحسن شعرها في الطول، كما قالت: تزوجني النبي ﷺ وأنا بنت ست سنين، فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحارث بن خزرج، فَوُعِكْتُ [أي: أصابتها الحمى] فَتَمَزَّقَ شَعَرِي فَوَفَى جُمَيْمَةً[1]. والجميمة: تصغير جمة، وهي الشعر النازل إلى الأذنين ونحوهما[2]، أي: صار إلى هذا الحد بعد أن كان قد ذهب بالمرض.

كان أبوها أبو بكر الصديق وأمها أم رُومان - زينب، وقيل: دعد؛ بنت عامر بن عويمر - يُحبانها كثيرًا، كانت علاقتها كبنت بأبويها علاقة متينة ورائعة، قائمة على الحب والثقة والتقدير، لكنهما أيضًا كغيرهما من الآباء والأمهات في تربية الأبناء والبنات، قد يقع منهما الغضب والشدة، وربما الضرب أحيانًا، كانت عائشة تتحمل ذلك بصبر وأدب جمٍّ كبير في صغرها وبعد أن كبرت.

وكان برها بأبيها عجيبًا، وطاعتها لأبيها لأبعد الحدود، تتحمل بصدر رحب غضبه وتأنيبه، بل حتى ضربه ولكماته إلى درجة أنها لا ترفع

(١) رواه البخاري في مناقب الأنصار، باب تزويج النبي ﷺ عائشة، وقدومها المدينة، وبنائه بها (ح: ٣٨٩٤)، ومسلم في النكاح، باب تزويج الأب البكر الصغيرة (ح:١٤٢٢).

(٢) يقال للشَّعر إذا سقط عن المنكبين: جُمَّة، وإذا كان إلى شحمة الأذنين: وَفْرَة. انظر: شرح النووي على مسلم (٩/ ٢٠٧)، فتح الباري (٧/ ٢٢٤).

طرْفها إليه، رغم أنها كانت متزوجة، بل أصبحت أمًّا للمؤمنين، بل وزوجة لأشــرف الخلقﷺ، كل ذلك لم يجعل عائشة تنظر لنفسها أو مكانتها، بل واللــه ما زادها إلا برًّا وطاعة لأبويها، ففي الصحيحين عَنْ عَائِشَــةَ قالت: (سَقَطَتْ قِلَادَةٌ لِي بِالْبَيْدَاءِ[1] وَنَحْنُ دَاخِلُونَ الْمَدِينَةَ، فَأَنَاخَ النَّبِيُّ ﷺ وَنَزَلَ، (أي: قبل أن ندخل المدينة)، فَثَنَى رَأْسَــهُ فِي حَجْــرِي رَاقِدًا، أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ فَلَكَزَنِي لَكْزَةً شَدِيدَةً وَقَالَ: حَبَسْتِ النَّاسَ فِي قِلَادَةٍ! فَبِي الْمَوْتُ (أي: كاد ينزل بي الموت من شدة الوجع من لكزة والدها[2]) لِمَكَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ أَوْجَعَنِي)[3].

وفي رواية: (فَلَقِيتُ مِنْ أَبِي مَا اللَّهُ بِهِ عَلِيمٌ مِنْ التَّعْنِيفِ وَالتَّأْفِيفِ في تلك الحادثة)[4].

تأملوا موقف عائشــة البنــت الصغيرة هنا، فهي بين بــرِّ أبيها، ووفاء زوجها، توازن عجيب، صبــر وتحمل فريد، لا تريد أن تزعج زوجها الذي نام على حجرها، وفي نفس الوقت تتحمل شدة اللكز والضرب من أبيها!

(١) البيداء: المفازة التي لا شيء بها، وهي هنا اسم موضع مخصوص بين مكة والمدينة. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ١٧١).

(٢) ينظر: مطالع الأنوار على صحاح الآثار (١/ ٤٢٥).

(٣) رواه البخاري في تفسـير القــرآن، باب قولــه: ﴿ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ [النساء: ٤٣] (ح: ٤٦٠٨).

(٤) رواه أحمد (ح: ٢٦٣٤١). وقال الأرنؤوط وزملاؤه في تحقيقهم للمسند: «حديث صحيح، وهذا إسناد حسن..».

سـبحان الله! جمعت بين رضا والدها وزوجها معًا، والله لا يُضيع أجر الصابرين، وفي هذا الموقف ما هي سوى لحظات حتى رجع أبو بكر معتـذرًا ومعجبًا بابنته وبصبرهـا وتحملها، وكونها صارت سـببًا لنزول الآيات، حيث نزلت رخصة التيمم لعموم المسلمين بسبب هذه البنت؟!

لقد اختارت عائشـة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا الصمت احترامًا لمقام الأبوة الكريمة، رغم أنها كانت تشعر بعدم الرضا من تصرف والدها، وما وقع منه من العتاب بالقول، والتأنيب بالفعل، فهي تدرك إنما هي لحظات غضب من أبي بكر، فكانت كغيرها من البنات في هذه المرحلة تواجه من أبويها الغضب والتعنيف كما يحصل في كثير من البيوتات، كانت تتوجس من غضب أبويها، ومن ردِّ فعلهما، فمرة «..أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَمَرَّ أَبُو بَكْرٍ عَلَى ذَلِكَ، فَسَـمِعَ أَصْوَاتَهُمَا (أي: صوت عائشة وزينب)، فَقَالَ: اخْرُجْ يَا رَسُولَ اللهِ إِلَى الصَّلَاةِ، وَاحْثُ فِي أَفْوَاهِهِنَّ التُّرَابَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: الْآنَ يَقْضِي النَّبِيُّ ﷺ صَلَاتَهُ، فَيَجِيءُ أَبُو بَكْرٍ فَيَفْعَلُ بِي وَيَفْعَلُ، فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ ﷺ صَلَاتَهُ، أَتَاهَا أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ لَهَا قَوْلًا شَدِيدًا، وَقَالَ: أَتَصْنَعِينَ هَذَا؟!»[1].

فانظروا لخوفها من أبيها الممزوج بالتقدير والطاعة له رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فقد كانـت العلاقة مع أبويهـا قائمةً على الحبّ والثقـة والتقدير، والشـفقة والحنان، وكان أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُحب عائشـة كثيـرًا، ويُعزها

(١) رواه مسـلم في الرضاع، باب القسـم بين الزوجات، وبيان أن السنة أن تكون لكل واحدة ليلة مع يومها (ح: ١٤٦٢).

ويُكرمهــا، ويتفقد أحوالها، ففي صحيح البخـــاري عن البراء قال: دخلت مع أبي بكر على أهله، فإذا عائشة ابنته مضطجعة قد أصابتها حمّى، فرأيت أباها فقبّل خدّها وقـــال: «كيف أنتِ يا بنيّـــة»[١]، وكان يقول لها: «انْظُرِي حَاجَتَكِ، فَاطْلُبِيهَا إِلَيَّ»[٢].

وكانت عائشـــة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا ترى في أبيها خير صحابة رسول الله ﷺ، وهو يرى فيهـــا الابنة البارّة، وزوجة النبي الكريم ﷺ، ويســـألها في أمور الدين، ويأخذ بقولها، ففي صحيح البخاري عَنْ عائشـــة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا، قَالَتْ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي بَكْـــرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ، فَقَالَ: فِي كَمْ كَفَّنْتُمُ النَّبِيَّ ﷺ؟ قَالَتْ: «فِي ثَلاَثَةِ أَثْوَابٍ بِيضٍ سَـــحُولِيَّةٍ[٣]، لَيْسَ فِيهَا قَمِيصٌ وَلَا عِمَامَةٌ» وَقَالَ لَهَا: فِي أَيِّ يَوْمٍ تُوُفِّيَ رَسُـــولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَتْ: «يَوْمَ الِاثْنَيْنِ» قَـــالَ: فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ قَالَتْ: «يَوْمُ الِاثْنَيْنِ» قَالَ: أَرْجُو فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّيْلِ، فَنَظَرَ إِلَى ثَوْبٍ عَلَيْهِ، كَانَ يُمَرَّضُ فِيهِ بِهِ رَدْعٌ مِنْ زَعْفَرَانٍ، فَقَالَ: اغْسِـــلُوا ثَوْبِي هَذَا وَزِيدُوا عَلَيْهِ ثَوْبَيْنِ، فَكَفِّنُونِي فِيهَا، قُلْتُ: إِنَّ هَذَا خَلَقٌ، قَالَ: إِنَّ الحَيَّ أَحَقُّ بِالْجَدِيدِ مِنَ المَيِّتِ، إِنَّمَا هُوَ لِلْمُهْلَةِ فَلَمْ يُتَوَفَّ حَتَّى أَمْسَـــى مِنْ لَيْلَةِ الثُّلاَثَاءِ، وَدُفِنَ قَبْلَ

---

(١) رواه البخاري معلقًا بصيغة الجزم في مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة (ح: ٣٩١٨).

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٨/ ١٤٥).

(٣) بفتح السين وضمها، والفتح أشـــهر، وهو رواية الأكثرين، قال ابن الأعرابي وغيره: هي ثياب بيض نقية، لا تكون إلا من القطن. وقال آخرون: هي منســـوبة إلى سحول مدينة باليمن تحمل منها هذه الثياب. انظر: النهاية (٢/ ٣٤٧)، وشـــرح النووي على مسلم (٧/ ٧).

أَنْ يُصْبِحَ»[1].

وقد روى أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الحديث عن ابنته عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا[2]، ولعل كلماته لها في آخر حياته وهو على فراش الموت يبين حجم ومقدار الحبِّ والارتباط العميق بين عائشة وبين أبيها، حيث قال لها: «وَاللَّهِ يَا بُنَيَّةُ مَا مِنْ النَّاسِ أَحَدٌ أَحَبُّ إِلَيَّ غِنًى بَعْدِي مِنْكِ، وَلَا أَعَزُّ عَلَيَّ فَقْرًا بَعْدِي مِنْكِ»[3].

وهكذا كان الحب بين عائشة وأبيها رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا جميعًا.

وهكذا قضت عائشة البنت هذه المرحلة بين طاعة زوجها وبين بر الوالدين! فهي مع صغر السن راعت العلاقة بوالديْها وأرحامها، مع الحفاظ على حقوق الزوج في آن واحد، وليس هذا بالأمر السهل؛ فكثير من الزيجات اليوم تفشل في زماننا بسبب رجحان كفة على حساب أخرى! لكن عائشة استطاعت كفتاة بعقلها وصبرها إدارة هذا الموضوع الشائك؛ التوازن بين بيت أهلها وبيت زوجها، وجعله من أسباب السعادة والهناءة في حياتها دون تكلف، بل ببساطة وقناعة، فكانت علاقة عائشة البنت بأبويها أبي بكر وأم رومان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا علاقة متينة قوية، هي تستعين بهما بعد الله في حل وتخطي مشاكل الحياة كأي بنت، فكانت تستشيرهما، وترجع إليهما

(١) رواه البخاري في الجنائز، باب موت يوم الاثنين (ح: ١٣٨٧).

(٢) ينظر في ذلك: الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة للزركشي، (ص: ٧٥).

(٣) رواه مالك في الموطأ (ح: ٤٠).

في الملمات وفي الضوائـــق؛ خاصة أمها أم رومان، فهي أم عاقلة حكيمة، وكان اسمها زينب.

وفي حادثة الإفك لم يتجاوز عمر عائشـــة الخمس عشرة سنة، ولما علمت عائشة بالخبر، ضاقت عليها الأرض بما رحبت، وقبل أن تقوم بأي خطوة اتجهت مباشـــرة إلى والديها حتى تتأكد مـــن صحة الخبر أوَّلًا، ثم تســـمع لرأي والديها، تقول عائشـــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في هذا الصدد: «دَخَلَ عَلَيَّ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ فَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: «كَيْفَ تِيْكُمْ؟» فقلْتُ: أَتَأْذَنُ لِي أَنْ آتِيَ أَبَوَيَّ، وَأَنَا حِيْنَئِذٍ أُرِيْدُ أَنْ أَسْتَيْقِنَ الخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا، قالت: فَأَذِنَ لِي، فَجِئْتُ أَبَوَيَّ. فَقُلْتُ: يَا أُمَّتَاهُ! مَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ؟...»إلخ الرواية في حادثة الإفك[1].

لقد جمعت عائشة كبنت صغيرة العقل والحكمة في التصرف، هي تريد الذهاب إلـــى والديها، وفي نفس الوقت لا تخـــرج من بيت زوجها إلا بعد أن تســـتأذن منه ﷺ، ثـــم انظر إلى جواب أم رومـــان الذي ينضح حكمة ودقة في تقدير الأمور، حيث أجابتها بقولها: «يَا بُنَيَّةُ هَوِّنِي عَلَيْكِ، فَوَاللَّهِ لَقَلَّمَا كَانَتْ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةً عِنْـــدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا لَهَا ضَرَائِرُ إِلَّا كَثَّرْنَ عَلَيْهَا»[2].

(١) رواه البخاري في الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضًا (ح: ٢٦٦١)، ومسلم في التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف (ح: ٢٧٧٠).

(٢) رواه البخاري في المغازي،باب حديث الإفك (ح:٤١٤١)، ومسلم في التوبة، باب في حديث الافك وقبول الله توبة القاذف (ح:٢٧٧٠).

قالت لها ذلك حرصًا منها لتخفيف الفاجعة على ابنتها عائشة، مع علمها بأن الذين تولوا كبر التهمة هم المنافقون، لكن أرادت أن تخفف عليها الأمر، موقف يُوضح مدى قوّة العلاقة بين فتاة عاقلة وأمٍّ مربية فاضلة، فقد كانت أمها سمعت الخبر منذ شهر أو يزيد، لكنها لم تتدخل أو تبادر حتى كانت عائشة هي المبادرة؛ وفي هذا درس بليغ للأمهات اليوم!

ومما يدل على نضج عائشة ورجاحة عقلها في هذه المرحلة العمرية كفتاة: تعاملها مع مصيبتها والاتهام لها بعرضها بصبر عجيب وتعقل كبير، فلما جاء النبي ﷺ إلى بيت أبي بكر في أثناء اشتعال فتيل أزمة الإفك، وبلوغها ذروتها، وتكلم مع عائشة بعد أن حاصره المنافقون حصارًا لا هوادة فيه، وكانت جالسة في جلسة عائلية جمعت أربعة: الرسول ﷺ وأبا بكر وعائشة، وأمها أم رومان، فلم تبادر عائشة أو تتقدّم على أبويها، بل قالت لأبيها لما سألها النبي ﷺ عن الأمر: أَجِبْ رَسُولَ اللَّهِ فِيمَا قَالَ. قَالَ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ.

فالتفتت إلى أمها وقالت لها: أَجِيبِي رَسُولَ اللَّهِ فِيمَا قَالَ، فقَالَتْ: والله يا بنية لا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ. وحينئذ تكلمت عائشة وهي فتاة لم تتجاوز الخامسة عشر من عمرها برأيها دون تردد، وأدلت بحجتها بكل شجاعة وقوة، وبكل أدب واحترام رغم غضبها، رغم شعورها بالألم والظلم[1].

(١) من المرجع والموضع السابق بتصرف.

كما كانت أيضًا علاقتها بإخوتها وأخواتها علاقة مودة وتراحم ووفاء عجيب، وسأفرد عنوانًا خاصًا لهذا الموضوع وهو: (عائشة أختًا).

فقد كانت رغم سن فتوتها وكبنت تُراعي حقوق الجميع بكل محبة، وبكل احترام، وبكل تواضع وتواصل، وخلق عظيم ووفاء.

وفي هذه المرحلة كانت كغيرها من البنات لها صديقات صويحبات تأنس بهن، وتلعب معهن، وكانـــت بصلاحها وأخلاقها قدوة لصديقاتها، تقول إحدى صويحبات عائشة، واسمها: رُمَيْثَةَ، أَصْبَحْتُ عِنْدَ عَائِشَةَ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا قَامَتْ فَاغْتَسَلَتْ (أي: توضأت)، ثُمَّ دَخَلَتْ بَيْتًا لَهَا (أي: حجرتها) فَأَجَافَتِ الْبَابَ، قلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، مَا أَصْبَحْتُ عِنْدَكَ إِلَّا لِهَذِهِ السَّـــاعَةِ، قَالَتْ: فَادْخُلِي، قَالَتْ: فَدَخَلْـــتُ، فَقَامَتْ فَصَلَّتْ ثَمَانِيَ رَكَعَاتٍ، لَا أَدْرِي أَقِيَامُهُنَّ أَطْوَلُ أَمْ رُكُوعَهُنَّ أَمْ سُـــجُودُهُنَّ؟ ثُمَّ الْتَفَتَتْ إِلَيَّ فَضَرَبَتْ فَخِذِي، فَقَالَتْ: يَا رُمَيْثَةُ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُصَلِّيهَا وَلَوْ نُشِرَ لِي أَبَوَايَ عَلَى تَرْكِهَا مَا تَرَكْتُهَا»[1].

فقـــد كانت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تحب نافلة الضحى حبًا جمًا، لا يُشـــغلها عنها حتى جلســـات الصديقات، بل انظرن -يا بنـــات- كيف أعطت صاحبتها فائدة إيمانية، فالصاحب ساحب كما يقولون.

(١) رواه النســـائي في السنن الكبرى (ح: ٤٨٤). وأبو يعلى في مسنده (ح:٤٦١٢). قال الأرنؤوط وزملاؤه في تعليقهم على المســـند (٤١/ ٥٢٢): «والماجشـــون - وهو يعقوب بن أبي سلمة - حسن الحديث وباقي رجاله ثقات».

ما أروع سـيرة عائشـة بنتًا! فهي أنموذج أمثل لـكل بنت، في برِّها وعلاقتهـا بأبويها، وفي وفائها لإخوتها وأخواتها، وأسـرتها وصديقاتها، وتأثيرها الإيجابي على صديقاتها، ومن حولها، فهي أنموذج حتى بمرحلة الفتـوة في خلقها، وصلاحها، وصبرها، وعبادتها، رضي الله عن عائشـة وأرضاها.

السؤال التطبيقي:

ما هي العوامل التي أنجحت عائشة كفتاة رغم خطورة هذه المرحلة؟ وكيف تستفيد البنات في هذه المرحلة العمرية من عائشة بنتًا؟

الإجابة باختصار:

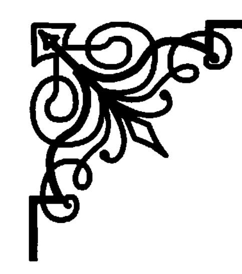
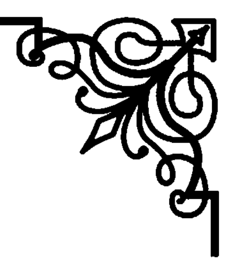
أولًا: عائشـة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا رغم أنها زوجة أشرف الخلق، وأمٌّ للمؤمنين بما فيهم أبواها وأسرتها، لكنها كانت تمرّ بمراحلها العمرية كأي فتاة، فقد أثبتت المواقف أن عائشة الابنة ابنة مهما بلغت، فالمجد والشرف ما زادها إلا طاعةً وبرًّا، وتواضعًا واحترامًا.

ثانيًا: عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كانت تتحمل، وتتميز بالصبر العجيب، والتعقل الكبير، رغم خطورة هذه المرحلة العمرية على الفتيات!

ثالثًا: كانت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تستشـير أبويها كثيـرًا، فبذكائها عرفت كيف تستفيد من أخلاق وصفات الكبار ممن حولها من العظماء كزوجها وأبيها وأمها..، وغيرهم.

رابعًا: بروز شـــخصيتها الإيمانية، وقوة علاقتها بربها كان له أثر كبير في تصرفاتها.

خامسًـــا وأخيرًا: تأثيرهـــا الإيجابي على الآخريـــن ممن حولها من أخوات وصديقات وغيرهم، بشخصيتها القوية ورأيها السديد، وأخلاقها الرائعة.

[٥]
عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أختًا

كم هو رائع أن يبني الإنسان في هذا الزمان جسور تواصل، ووشائج محبة ووفاء بينه وبين شـقيقه، أو شـقيقته! وإخوانه وأخواته، مهما كانت منغصات وعقبات ما قد تحصل عادة بين الإخوة والأخوات، وهذا لا يخلو منه بيت كما نعلم!!

والسؤال: كيف نؤسس علاقة حميمية بيننا وبين إخواننا وأخواتنا؟

كانت عائشـة أختًا تفيض حبًّا وحنانًا لإخوتها وأخواتها، فأسست منهجًا لعلاقة حميمية متينة بينها وبينهم.

فقد كان لأبي بكـر ثلاثة بنين: عبد اللـه، وعبد الرحمن، ومحمد. وثلاث بنات: أسماء، وعائشة، وأم كلثوم؛ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

عبد الله هو: أكبـر أبناء أبي يكر من الذكور، مـات في خلافة أبيه، ولا عقـب له، وأمـه قتلة أو قتيلة بنـت عبد العزى، تزوجهـا أبو بكر في الجاهلية، واختلف في إسلامها.

وعبد الرحمن هو: شقيق عائشة.

ومحمد أمه أسماء بنت عميس.

وأما البنات فعائشة شقيقة عبد الرحمن، وأسماء شقيقة عبد الله، وهي أكبر بناته، وأما أم كلثوم فقد توفي أبوها وهي في بطن أمها حبيبة بنت خارجة.

ومع ذلك فقد استطاعت عائشـــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن تغرس علاقة حميمية من الدرجة الأولى بين إخوتها وأخواتها، قامت

أولًا: على الحب والتقدير.

ثانيًا: على الاحترام المتبادل.

ثالثًا: على التعاون والتكاتف.

فكانت عائشـــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حريصة علـــى تعليم إخوتهـــا وأخواتها، فعن ســـالم مولى شدّاد قال: دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَـــةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ تُوُفِّيَ سَـــعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فَدَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ فَتَوَضَّأَ عِنْدَهَا فَقَالَتْ: يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ أَسْـــبِغِ الْوُضُوءَ؛ فَإِنِّي سَـــمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ**»(١).

وحينما تعرّض أخوها عبد الرحمن لمطاردة من قبل السلطة وحاكم الوقت آنذاك كما في صحيح البخاري عَنْ يُوسُـــفَ بْنِ مَاهَكَ، قَالَ: «كَانَ

(١) رواه مسلم في الطهارة، باب وجوب غسل الرجلين بكمالهما (ح: ٢٤٠).

مَــرْوَانُ عَلَى الْحِجَازِ، اسْــتَعْمَلَهُ مُعَاوِيَــةُ، فَخَطَبَ فَجَعَلَ يَذْكُــرُ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَــةَ لِكَيْ يُبَايَــعَ لَهُ بَعْدَ أَبِيهِ، فَقَــالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ شَــيْئًا، (يعني: أنه اعترض) فَقَالَ: خُذُوهُ؛ فَدَخَلَ بَيْتَ عَائِشَةَ فَلَمْ يَقْدِرُوا»[1]، فلجأ عبد الرحمن إلى أخته عائشة، ودخل بيتها، لم يجرؤوا على اقتحامه إعظامًا لعائشة، ومراعاة لمكانتها وحرمتها.

لقد وقفت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مع أخيها الشقيق عبد الرحمن، ودافعت عنه، مع أن الخصمَ هنا صاحبُ جاه وســلطة، بل بطــش وقوة! وقد كان دفاعها وردها حكيمًا رزينًا، وبمنهج علمي شرعي مدعم بالدليل والبرهان، وفي مثل هذه المواقف يتجلّى دور الأخت مع أخيها بشــكل واضح، حبًّا له، وخوفًا عليه وشفقة، وقد قال الشاعر:

وليــس أخي مــن وَدَّني بلســانه
ولكن أخــي من ودَّنــي فــي النوائب

وممــا يُبين عمق العلاقة بينها وبين شــقيقها عبد الرحمن أنها كانت تسعى للصلح بينه وبين أزواجه، فلما تزوج بليلى بنت الجودي (كانت ابنة ملك دمشق) التي أعجب بها، وتغزل فيها بقوله:

تَذَكَّــرْتُ لَيْلَى وَالسَّــمَاوَةُ دُوْنَهَا
فَمَــا لابْنَــةِ الجُــوْدِيِّ لَيْلَــى وَمَــا لِيَا

---

(١) رواه البخاري في تفســير القرآن، باب ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأحقاف: ١٧] (ح: ٤٨٢٧).

وَأَنَّـــى تُـعَـاطِـي قَـلْـبَـهُ حَـارِثـيَّـةٌ
تَدَمَّـــنُ بُصْـــرَى أَوْ تَحِـــلُّ الجَوَابِيَـــا
وَأَنَّـــى تُلاَقِيْهَـــا بَلَـــى وَلَعَلَّهَـــا
إِنِ النَّـــاسُ حَجُّـــوا قَابِـــلاً أَنْ تُوَافِيَا[١]

حتى آثرها على نســـائه؛ حتى جعلن يشـــكينها إلى عائشـــة، عاتبته عائشـــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا على ذلك فقال: والله كأني أرشف بأسنانها حَب الرمان، فأصابها (أي: زوجته) وجعٌ سقطت أسنانها، فجفاها حتى شكته إلى عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فقالت له عائشـــة: يـــا عبد الرحمن لقد أحببـــتَ ليلى فأفرطت، وأبغضتَها فأفرطت، فإمَّا أن تنصفها، وإما أن تجهّزها إلى أهلها[٢].

لاحظوا هذا الموقف الأســـري: زوجات عبد الرحمن طرفي نزاع؛ زوجته ليلى طرف، والطرف الآخر بقية أزواج عبد الرحمن، وعند الحاجة للمساعدة كلّ طرف يستنجد بأم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حتى تنصفه من أخيها عبدالرحمن!! وهذا يدل على محبتهن لعائشة، وعلى ثقتهن بنزاهتها وحصافتها، ويؤكد أيضًا على قوة محبتها وعلاقتها بأخيها.

فإنه لما توفي عبد الرحمن وهـــو خارج إلى مكة فجأة، فدفن هناك، وكانت عائشـــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا غائبة، فعندما قدمت مكة حاجَّة زارت قبر أخيها عبد الرحمن، وقالت: أما والله لو شهدتك لم أبك عليك، ولو كنتُ عندك

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٧٢).
(٢) البداية والنهاية (٨/ ٩٧).

لم أنقلك من موضعك الذي متّ فيه، ثم تمثلت بشعر متمِّم بن نويرة في أخيه مالك:

وكنّا كنَدْمانَيْ جَذِيمَة حِقْبَةً
مِن الدهرِ حتى قِيل لن يَتَصَدَّعا
فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكًا
لِطُولِ اجْتِمَاعٍ لَمْ نَبِتْ لَيْلَةً مَعَا(1)

إذًا فبر عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لم يرتبط بحياة أخيها عبد الرحمن فقط، بل استمرّ حتى بعد وفاته، فقد أعتقت عنه بعد موته رقابًا في سبيل الله حبًّا وبرًّا بعبد الرحمن، بل وعرفانًا بجميله، هذه العلاقة المتينة كانت بينهما متبادلة، حتى عبد الرحمن كان بارًّا بعائشة أيما بر، كان يخدمها، ويقوم بطلباتها، يزورها في الشدائد عند المحن، ويواسيها في المصائب، وهو الذي خرج بعائشة بعد حجة الوداع بأمر من النبي ﷺ، وأعمرها من التنعيم(2).

وهو صاحب المسواك عندما وقف بجانب أخته عائشة في مرض رسول الله ﷺ؛ حيث أخذت الصدّيقة المسواك منه وليّنته، ثم أعطته

(1) رواه الترمذي في الجنائز، باب ما جاء في الرخصة في زيارة القبور (ح: ١٠٥٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ٢٩، ح: ١١٨١١)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٥٤١)، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٦٠) وقال: «رواه الطبراني في الكبير، ورجاله رجال الصحيح»، وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (ص: ١١٨).

(2) رواه مسلم في الحج، باب بيان وجوه الإحرام، وأنه يجوز إفراد الحج والتمتع والقران، وجواز إدخال الحج على العمرة، ومتى يحل القارن من نسكه (ح: ١٢١٣).

للرسول -عليه الصلاة والسلام- فاستنّ به[1].

وكانت علاقة عائشة - أيضًا - بأخيها محمد بن أبي بكر: علاقة متينة وطيدة، هو الذي صحبها بعد واقعة الجمل إلى البصرة، ومنها إلى المدينة، سهر في خدمتها.

ولما قُـتِل محمد في مصر، خلّف ابنًا وبنتًا، ضمتهما عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وشملتهما بحســن الرعاية، وقامت بتربيتهما وتنشئتهما أحسن قيام، حتى أصبـح أحد أبنائه درة مضيئة في جبين الدهر، علامة التابعين، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة.

وهو: القـــاسم بن محمد بن أبي بكر، التابعيُّ الجليل، فبفضل الله، ثـم بفضل تربية عمته له جمع المجد من أطرافــه، مع أن والده خلفه يتيمًا حيث قُتِل بمصر، فرجع الطفل القاســم بن محمد بصحبة أسرته مرة ثانية إلى المدينة، وقد قال عن نفسه واصفًا معاناته: «لما قُـــتِل أبي بمصر جاء عمي عبد الرحمن بن أبي بكــر، فاحتملني أنا وأختي الصغيرة، ومضى بنا إلى المدينة، فما إن بلغناها حتى بعثت إلينا عمّتي عائشة، فحملتنا من منزل عمّنا إلى بيتها، وربّتنا في حجـرها، ما رأيتُ والدةً قط، ولا والدًا أكثر منها برًّا، ولا أوفر منها شفقة».

---

(١) رواه البخاري في المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته (ح: ٤٤٤٩)، ومســلم في فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب في فضل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ح: ٢٤٤٣).

ولما كبر الصبيَّانِ دعت عائشة أخاها عبد الرحمن، فلما دخل عليها حيَّته، ثم تكلمت وحمــدت اللهَ عز وجل، وأثنت عليــه بما هو أهله، ثم قالت: أي أخي! إني لــم أزل أراك معرضًا عني منذ أخذتُ هذين الصبيين منك، وضممتُهما إليَّ، وواللهِ ما فعلتُ ذلك تطاولًا عليك، ولا ســوء ظنّ بك، أو اتِّهامًا لك بالتقصير في حقِّهما، لكنك رجل ذو نســاء، عندك عدة زوجات، وهما صبيان صغيران، لا يقومان بأمر نفسيهما، فخشيتُ أن يرى نساؤُك منهما ما يســتقذرنه، فلا يطبن بهما نفسًا، ووجدتُ أني أحقُّ منهن بالقيام على أمرهما في هذه الحال، وهاهما الآن قد شــبَّا، وأصبحا قادرين على القيام بأمر نفسيهما، فخذهما، وضمَّهما إليك، وطِب بهما نفسًا.

يقول القاسم بن محمد: فأخذنا عمي عبدُ الرحمن، وضمَّنا إلى بيته.

أيتها الأخت -أيها الأخ- هكذا كانت عائشــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مع أشقائها، ومع إخوانها، حتى وإن اختلفت الأمهات وتعددت الزوجات، هكذا كان التعامل بين الإخوة والأخوات، ما أروعك يا عائشة مدرسة وقدوة! فرضي الله عنك!

أرأيتم -أيها الإخوة والأخوات- بُعدَ نظر عائشــة؟ أسمعتم بلاغتها وهي تكلم أخاها: «والله ما فعلتُ ذلك تطاولًا عليك، ولا ســوء ظنّ بك، ولا اتهامًا لك بالتقصير...».

يا الله! ما أروع العلاقة بين الإخوة والأخوات! اعتذارٌ لطيف، وتبريرٌ رقيق بلغة عذبة، أما الغاية فاســتمرار نهر المحبة بين الإخوة والأخوات،

ووضع النقاط على الحروف لتصفوَ النفوس، ولئلا يكون للشـــيطان بينهم مدخل.

أيها الأشقاء: عائشة إنسان، وما فعلته مع أخيها في هذا الموقف من صراحة وشـــفافية يمكن لأي منا أن يفعله مع شـــقيقه أو شقيقته إن حصل تنافر أو تدابر! لا يحتاج الأمـــر إلا إلى قليل من التنازل، وكثير من الحب، والكثير الكثير من التعقل وتجاوزِ مغريات الحياة.

إن عائشـــة كأخت تفتح أمام أعيننا صفحة أســـرية عظيمة وغنيّة، بل إنهـــا تُقدم لنا منهجًا تطبيقيًّا رائعًا في روعة العلاقة بين الإخوة والأخوات، وهنـــا قصة عجيبة يظهر فيها مدى حب الصديقة عائشـــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إخوانها وأخواتها، وبرها بهم؛ حتى صرحت أن لو كان لها الدنيا بأســـرها لتنازلت لهم عنها، فقد ذكـــرت: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيـــقَ كَانَ أَعْطَاهَا مَالًا -عبارة عن نخل-، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ: وَاللَّـــهِ يَا بُنَيَّةُ مَا مِنْ النَّاسِ أَحَدٌ أَحَبُّ إِلَيَّ غِنًى بَعْدِي مِنْكِ، وَلَا أَعَزُّ (أي: أشق وأصعب) عَلَيَّ فَقْرًا بَعْدِي مِنْكِ، وَإِنِّي كُنْتُ نَحَلْتُكِ (أي: أعطيتك) عِشْـــرِينَ وَسْقًا[1]، فَلَوْ كُنْتِ جَدَدْتِيهِ وَاحْتَزْتِيهِ (أي: قبضتيـــه) كَانَ لَكِ، وَإِنَّمَا هُـــوَ الْيَوْمَ مَالُ وَارِثٍ، وَإِنَّمَـــا هُمَا أَخَوَاكِ وَأُخْتَاكِ، فَاقْتَسِمُوهُ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ.

قَالَتْ عَائِشَـــةُ: يَا أَبَتِ وَاللَّهِ لَوْ كَانَ كَذَا وَكَذَا لَتَرَكْتُهُ، إِنَّمَا هِيَ أَسْمَاءُ فَمَنْ الْأُخْرَى؟!

(١) الوسق، بالفتح: ستون صاعًا. النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ١٨٥).

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: ذُو بَطْنِ بِنْتِ خَارِجَةَ، أُرَاهَا جَارِيَةً[1].

وصدقت فراسة الصديق، فولدت أم كلثوم.

هكذا كان الصديق وقافًا عند حدود الله! وهكذا كانت عائشة بارة بأبيها وإخوانها وأختيها!

درسٌ عملي، وقصة واقعية، نحتاج لتذاكرها وذكرها في زمن الماديات، وليس لتنازل أم المؤمنين حدود، كما ليس لبرّها موانع: «يَا أَبَتِ وَاللَّهِ لَوْ كَانَ كَذَا وَكَذَا لَتَرَكْتُهُ»!.

لقد كان المهم بعد الامتثال لحكم الله في الميراث، كان المهم عندها اجتماع قلوب الإخوة والأخوات، حبهم، والاحترام المتبادل بينهم! وكم من الخصومات اليوم بين الإخوة والأخوات في الميراث، فهمسة رقيقة للإخوة والأخوات أحبُّوا بعضكم، ولا تجعلوا الدنيا تفرق بينكم، وتوغر صدوركم!

وتأملن - يا بنات ويا أخوات - علاقة عائشة بأختيها: أسماء، وأم كلثوم، كانت علاقة رائعة، مليئة بالودّ والتقدير والمحبة، أسماء أكبر من عائشة، ومن حبها وتقديرها لأسماء أنها اكتنت بأحد أبناء أسماء؛ وهو

(١) رواه مالك في الموطأ (ح: ٤٠)، وعبد الرزاق في مصنفه (٩/ ١٠١، ح: ١٦٥٠٧)، والبيهقي في السنن الكبرى(٦/ ٢٨٠، ح: ١١٩٤٨)، وصححه ابن الملقن في البدر المنير (٧/ ١٤٣)،، والألباني في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٦/ ٦١).

عبد الله بن الزبير، فقد كانت تحبه حبًّا، وتعتني به وتربيه.

أما علاقتها بأختها الصغيرة من أبيها (أم كلثوم) فتفوق العلاقة العادية بيـــن الأخت وأختها تآلفًـــا ورحمة، إلى درجة أنها كانـــت تقوم برعايتها، وتوفير كل ما يسعدها.

وقد عاشت الطفلة اليتيمة (أم كلثوم) في كنف أختها عائشة بعد وفاة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وربتها على التقوى، وعلى الصلاح، وعلى العلم والفقه، هي لم تعاصر أباها ولا شـــاهدته، لكن الله عوضها عنه بأم المؤمنين أختًا وأمًّا وأبًا ومعلمة، حتى عندما بلغت أم كلثوم مبلغ النســـاء خطبها عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لنفســـه بعد أن أشـــار عليه أحد الصحابة تكريمًا لأبيها وصديقه أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إلا أن عائشـــة المحنكة الحكيمة لم تشأ ذلك، لعلمها أن أختها لن تتحمل شدة وشظف العيش مع عمر، رغبت لها زوجًا أكثر لينًا منه، وصرفت أختها عنه بحكمة وتدخّلٍ ولباقة، فتدخل المغيرة بن شعبة في الموضوع، فعدل عمر عن الزواج بها، وترك خطبتها.

وتزوجـــت أم كلثوم بالصحابـــي الجليل طلحة بن عبيـــد الله أحد المبشرين بالجنة.

وقفة لكل الإخوة والأخوات؛ عائشة أختًا تتجلى وتتألق:

فقـــد كانت لأخيهـــا عبد الرحمـــن المدافعة المواســـية، والمعلمة الناصحة، فبرّته حيّـــا وميتًا.

وكانت لأختها أسماء بارة محبة.

وكانت لأخيها محمد وفيَّة.

وكانت لأختهـــا (أم كلثوم) الصغيـــرة نِعمَت الأم الحنـــون، ربّتها واحتضنتها يتيمة، وأكرمتها كل الإكرام.

فيا أيها الأكارم: الزائر لردهات المحاكم اليوم والله يُصعق وهو يرى ظلم الأخ لأخته وأخيه، أو عندما يسطو أحد الإخوة على أموال الورثة، أو على حقوقهم، متجاوزًا أحكام الشـــريعة، متناسيًا حقوق الأخوّة، متماديًا في أكل مال اليتيم! بصراحة نتأسى لبعض العلاقات بين الإخوة والأخوات في واقعنا المعاصر!!

عذرًا فحديثنا عن عائشـــة أختًا يُثير فينا الرحم ووصلها، ويُحرك في دواخلنا الحميمية بين إخوة البطن الواحد والأب الواحد، هذه هي عائشة أختًا بارّة بإخوتها في حياتهم ومماتهم، ليســـت من نســـج الخيال، بل هي مواقف حياتية، أحداث جرت، كتبها التاريخ بكل وفاء وصدق، إنها عائشة الراقية ذات الخلق الرفيع، تتعامل وفق منهـــج رباني إيماني يعكس معنى الرحم والأخوة، ويؤســـس لدور المرأة في صناعة الحياة وتماسك الأسرة والمجتمع، وفي صناعة الحب والوفاء بين الإخوة والأخوات.

عائشـــة أنت مدرســـة، عائشـــة أنت قدوة وأســـوة لنا، ولكل بنت، فرضي الله عنك يا أم المؤمنين!

السؤال التطبيقي:

ما هي الأسس التي استطاعت من خلالها عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن تؤسس لهذه العلاقة الحميمية العجيبة بينها وبين إخوانها وأخواتها؟

الإجابة:

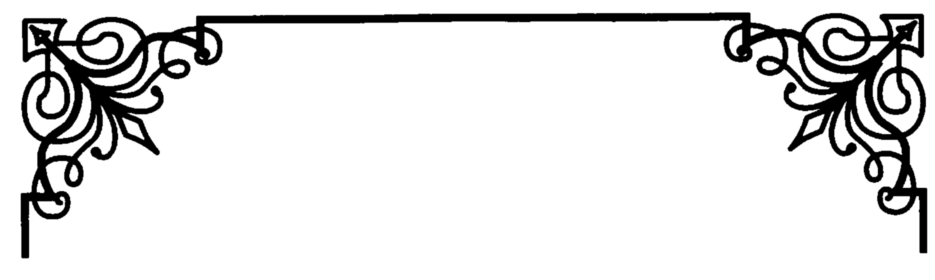
أولًا: إنسانيتها الراقية، وخلقها العظيم.

ثانيًا: علمها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بعظم وأهمية صلة الرحم، وحقوقهم، وفضل رعايتهم، والبر بهم.

ثالثًا: صبرها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وسلامة صدرها العجيبة، وعفوها، وتنازلها الدائم من أجل جمع القلوب، واجتماع الكلمة.

رابعًا: استشـــعارها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا للمسؤولية الأســـرية، ومبادرتها لبذل المعروف مع إخوتها، وأزواجهم وأولادهم.

خامسًـــا وأخيرًا: رجاحـــة عقلها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وعـــدم تعجلها للأمور، وفقهها، وحكمتها مما جعلها مرجعًـــا لأخوتها عند كل خلاف، أو ملمة، أو حدث.



[٦]
عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زوجةً

عائشة أنقى وأطهر وأفضل فتاة عرفها التاريخ.

عائشة الطاهرة المطهرة المبرأة من فوق سبع سموات بنص الآيات.

عائشة العالمة العاقلة الحكيمة.

عائشة الزوجة القلب الحنون.

عائشة الوفاء، والصبر، والتضحية.

عائشة زوج قدوتنا وأسوتنا وحبيبنا ﷺ، هنا سنقف مع (عائشة زوجةً)

ففي الســـنة الرابعة من النبوة ولدت عائشـــة في بيـــت يملؤه الحب والوئــام، كانت فتاة تنعم بالغنى والتنعم والرفاهيــة في بيت والدها، نظرًا لغنى أبيها أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومكانته ووجاهته.

كانت تعيش مع أسرة رائعة: أبوها أبو بكر الصديق، وأمها أم رُومان، وجدهــا من أبيها أبــو قحافة، وجدتها مــن أبيها: أم أبي بكــر، وإخوانها

الذكـــور: عبد الله، وعبد الرحمـــن، ومحمد، وهو أصغرهـــم، وأختاها: أســـماء، وأم كلثوم، وأســـماء تزوجها الزبير بن العوام، وأم كلثوم تزوجها طلحة بن عبيد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

كان أبوهـــا أوّل من آمن بالنبـــي ﷺ وصدقه، وابْتَنَى مَسْـــجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ، كَانَ يُصَلِّي فِيهِ، وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ، فَيَقِفُ عَلَيْهِ نِسَـــاءُ الْمُشْرِكِينَ وَأَبْنَاؤُهُمْ، يَعْجَبُونَ مِنْهُ، وَيَنْظُـــرُونَ إِلَيْهِ، كَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلًا بَكَّاءً لَا يَمْلِكُ عَيْنَيْهِ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ(١).

إذًا فقد كانت عائشـــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قبل زواجها فتـــاة صغيرة، تعيش مع أســـرة صالحة وغنية ومتماسكة وسعيدة، ثم انتقلت لبيت زوجها الفقير؟! لبيت زوجها محمد ﷺ، فكيف تحملت؟ وكيف تكيّفت؟ وكيف رضيت؟ حقًّا إنها تجربة ثريَّة لكل عروس، ولكل فتاة مقبلة على الزواج، فكيف كان عشّ الزوجيّة الجديد؟!

سكنت العروس عائشـــة في حجرة ضيقة، حجرة ملاصقة لمسجد النبيﷺ، بعضها مبني من الجريد والطين، وبعضها من حجارة مرصوصة فوق بعضها، لها مصراع واحد من الخشب، عُرفت هذه الحجرة المباركة بمهبط الوحي؛ لكثرة نـــزول الوحي فيها على النبي ﷺ، حتى ولو كان مع عائشة في لحاف.

(١) رواه البخـــاري في الصلاة، باب المســـجد يكون في الطريق مـــن غير ضرر بالناس (ح:٤٧٦).

وأمَّا أثاث بيت العروس ففراش بسيط، حشوه ليف[1]، ليس بينه وبين الأرض إلا الحصير، هكذا انتقلت عائشة ابنة أغنى الناس، وزوج خير الناس، وأحب نساء الأرض إلى رسول الله ﷺ إلى هذه الحجرة الضيقة المتواضعة، وعاشت فيها راضية صابرة.

لقد كانت هذه الحجرة ببنائها البسيط، وأثاثها المتواضع؛ منطلقًا لأروع قصة حب في الحياة، لو نطقت جدران تلك الحجرة؛ لحكت حكاية الحب، والمشاعر، وأخبرتنا عن أخبار العروس وصاحبها ﷺ.

لا نقلل من قيمة السكن وسعته، فهو يمثل العنصر المهمّ في حياة الإنسان واستقراره، وسعادته، فالرسول ﷺ نفسه يقول: «**أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنيء**»[2]، لكن حال هذه الحجرة تؤكد أن السكن النفسي أولًا وقبل كل شيء، وقد اختار ﷺ الزهد في الدنيا وآثر الآخرة، ورضيت عائشة كزوجة وصبرت في تلك الحجرة الهادئة الساكنة، فتعالوا نسمع الحكاية، حكاية ارتباط قلبين،

---

(١) رواه البخاري في الرقاق، باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه، وتخليهم من الدنيا (ح: ٦٤٥٦)، ومسلم في اللباس والزينة، باب التواضع في اللباس، والاقتصار على الغليظ منه واليسير في اللباس والفراش وغيرهما، وجواز لبس الثوب الشعر، وما فيه أعلام (ح: ٢٠٨٢).

(٢) رواه ابن حبان (الإحسان، ح: ٤٠٣٢)، صححه الألباني في الصحيحة (ح:٢٨٢) وقال: «صحيح على شرط الشيخين». وقال الأرنؤوط في تحقيقه لصحيح ابن حبان: «إسناده صحيح على شرط البخاري».

واجتماع إنسانين، إنها الرواية لروعة الحياة ولجمالها، دون تفاصيل مملة، رواية البساطة والزهد والقناعة، بعيدًا عن التعقيدات الحياتية، والزخارف المادية؛ إنها أنموذج لحياة زوجية سعيدة للمعنى العميق والحقيقي للحياة، وليس صورتها وبهرجها!

خطـب النَّبِي ﷺ عَائِشَـةَ من أَبِـي بَكْرٍ، وتذكر عائشـة قصة خطبة النبي ﷺ لها بتفاصيلها الدقيقة؛ فتقول:

لَمَّـا تُوُفِّيَتْ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَـتْ خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمِ بْـنِ أُمَيَّةَ بْنِ الْأَوْقَصِ امْـرَأَةُ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ وَذَلِكَ بِمَكَّةَ: يَا رَسُـولَ اللهِ أَلَا تَزَوَّجُ؟ قَالَ: «مَنْ؟»، قَالَتْ: إِنْ شِـئْتَ بِكْرًا، وَإِنْ شِـئْتَ ثَيِّبًا، قَالَ: «فَمَنِ الْبِكْرُ؟»، قَالَتْ: ابْنَةُ أَحَبِّ خَلْقِ اللهِ إِلَيْكَ عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ: «وَمَنِ الثَّيِّبُ؟»، قَالَتْ: سَـوْدَةُ بِنْـتُ زَمْعَةَ آمَنَتْ بِـكَ، وَاتَّبَعَتْكَ عَلَى مَا أَنْـتَ عَلَيْهِ، قَالَ: «فَاذْهَبِي فَاذْكُرِيهِمَا عَلَيَّ» فَجَاءَتْ فَدَخَلَتْ بَيْتَ أَبِي بَكْرٍ فَوَجَدَتْ أُمَّ رُومَانَ أُمَّ عَائِشَـةَ، فَقَالَتْ: يَا أُمَّ رُومَانَ مَاذَا أَدْخَلَ اللهُ عَلَيْكُمْ مِنَ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ؟، أَرْسَلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَخْطِبُ عَلَيْهِ عَائِشَةَ، قَالَتْ: وَدِدْتُ انْتَظِرِي أَبَا بَكْرٍ، فَإِنَّـهُ آتٍ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا بَكْرٍ مَاذَا أَدْخَلَ اللهُ عَلَيْكُمْ مِنَ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ؟ أَرْسَلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَخْطِبُ عَلَيْهِ عَائِشَةَ، قَالَ: هَلْ تَصْلُحُ لَهُ؟! وَإِنَّمَا هِيَ بِنْتُ أَخِيهِ، فَرَجَعَتْ إِلَى رَسُـولِ اللهِ ﷺ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: «ارْجِعِي إِلَيْهِ فَقُولِي لَهُ: أَنْتَ أَخِي فِي الْإِسْـلَامِ، وَأَنَا أَخُوكَ، وَابْنَتُكَ تَصْلُحُ لِي»، فَأَتَتْ أَبَا بَكْرٍ، فَقَالَ لِخَوْلَةَ: ادْعِي لِي رَسُـولَ اللهِ ﷺ، فَجَاءَ فَأَنْكَحَهُ،

وَأَنَا يَوْمَئِذٍ ابْنَةُ سِتِّ سِنِينَ[1].

وهكذا فقد كان العرب لا يستبيحون الزواج مع ابنة الصديق الأخ، ويظنون أن الصحبة والمؤاخاة تبلغ مبلغ القرابة التي تمنع المصاهرة، فخالف ﷺ هذه العادة.

ثم بدأ الإعداد للزواج، وكانت عائشة صغيرة، ونحيفة، فحاولت أمها تسمينها، فأكلت التمر بالقثاء، حتى سمنت[2].

تأخر الزواج ولم يتم إلا بعد هجرتهم للمدينة، فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: تَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ لِسِتِّ سِنِينَ، وَبَنَى بِي وَأَنَا بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ[3].

وكان مهرها نحو خمسمائة درهم[4]، أخذت أم رومان

(١) رواه أحمد (ح: ٢٥٧٦٩)، والطبراني في الكبير: (٢٣/ ٢٣، ح:٥٧)، وحسنه الحافظ في الفتح (٧/ ٢٢٥). والأرنؤوط وزملاؤه في تحقيقهم للمسند.

(٢) رواه أبو داود (٣٩٠٣)، والنسائي في الكبرى (٤/ ١٦٧، ح: ٦٧٢٥)، وابن ماجه (ح: ٣٣٢٤)، والطبراني في الأوسط (٥/ ٢٦٢، ح: ٥٢٦٤). وصحح سنده الألباني في الصحيحة (١/ ١٢٣)، وفي صحيح سنن ابن ماجه.

(٣) رواه مسلم في النكاح، باب تزويج الأب البكر الصغيرة (ح: ١٤٢٢).

(٤) إشارة إلى ما رواه مسلم في النكاح، باب الصداق، وجواز كونه تعليم قرآن، وخاتم حديد، وغير ذلك من قليل وكثير، واستحباب كونه خمسمائة درهم لمن لا يجحف به (ح:١٤٢٦) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها سئلت: كَمْ كَانَ صَدَاقُ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَتْ: «كَانَ صَدَاقُهُ لِأَزْوَاجِهِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ أُوقِيَّةً وَنَشًّا»، قَالَتْ: «أَتَدْرِي مَا النَّشُّ؟» قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَتْ: «نِصْفُ أُوقِيَّةٍ، فَتِلْكَ خَمْسُمِائَةِ دِرْهَمٍ، فَهَذَا صَدَاقُ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِأَزْوَاجِهِ».

عائشـــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فأدخلتها على نســـاء من الأنصار يجهزنها كعروس، ثم أدخلنها علـــى زوجها في حجرته التي بناها لها بجوار مســـجده بالمدينة، كان ضيافتها قدحًا من اللبن شـــرب منه ﷺ، ثم مدَّه إلى عائشة، فاستحيت منه، فشجعتها أســـماء بنت يزيد[1]، فأخذته العروس وشربته، فكانت هذه الشـــربة بداية حياتها مع حبيبها ﷺ، قالت عائشة عن وليمتها: «مَا نُحِرَتْ عَلَيَّ جَزُورٌ، وَلَا ذُبِحَتْ عَلَيَّ شَـــاةٌ، حَتَّى أَرْسَـــلَ إِلَيْنَا سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ بِجَفْنَةٍ كَانَ يُرْسِلُ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، إِذَا دَارَ إِلَى نِسَائِهِ»[2].

كان زواج عائشـــة في شـــهر شـــوال، وكانت العـــرب لا يتزوجون في شهر شـــوال، ويكرهون أن يدخلوا بالنساء في شـــوال، لاعتقادهم أن طاعونًا وقع في شوال في الزمن الأول[3]، فقصد النبي ﷺ رفع هذا الوهم والتوهم عند الناس في كراهية الدخول بالنســـاء في شوال، ولذلك كانت

(١) رواه أحمد (٤٥/ ٤٦٤، ح: ٢٧٤٧١) من حديث أسماء بنت عميس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٥١) وقال: «رواه أحمد، والطبراني في الكبير، وفيه أبو شـــداد، عن مجاهـــد روى عنه ابن جريج، ويونس بن يزيـــد، وبقية رجاله رجال الصحيح إلا أن أسماء بنت عميس كانت بأرض الحبشة مع زوجها جعفر حين تزوج النبي ﷺ عائشة، والصواب حديث أسماء بنت يزيد، والله أعلم».

(٢) رواه أحمـــد (٤٢/ ٥٠١، ح: ٢٥٧٦٩)، وقـــال الأرنؤوط ومن معـــه في تحقيقهم للمســـند: «إسناده حسن، من أجل محمد بن عمرو، وهو ابن عَلْقَمَة بن وقَّاص، وقد روى له البخاري مقرونًا، ومســـلمٌ متابعة، وبقية رجاله ثقات رجال الشـــيخين غير يحيى، وهو ابن عبد الرحمن بن حاطب، فمن رجال مسلم، وهو ثقة».

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد (٨/ ٦٠-٦١).

عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تحب أن تدخل النساء من أهلها وأحبتها في شوال، وتقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «تَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي شَوَّالٍ، وَبَنَى بِي فِي شَوَّالٍ، فَأَيُّ نِسَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَانَ أَحْظَى عِنْدَهُ مِنِّي؟ قَالَ عروة: وَكَانَتْ عَائِشَةُ تَسْتَحِبُّ أَنْ تُدْخِلَ نِسَاءَهَا فِي شَوَّالٍ»(١).

يـــا له من زواج، فالعروســـان: عائشـــة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وخير الأنبياء والمرســـلين صلوات الله وســـلامه عليه، وقد شاءت قدرة العلي الحكيم أن تكون عائشـــة زهرة تترعرع في بيـــت النبي الكريم؛ ترتوي من عظيم أخلاقه، وتنهل من صافي علمه، وتشهد نزول الوحي فيه.

كانت عائشـــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كغيرها من النســـاء غيورة، خاصة مع تعدد زوجات النبي ﷺ، لكنها كانت زوجة فريدة بحكمتها، وبعقلها، شاركت في صنع الأحداث على قـــدَر، وعملت على نقلها لسائر البشر، ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ﴾ [الأحزاب: ٣٤].

تقول: «تزوجني رسول الله ﷺ لست سنين، وبنى بي وأنا بنت تسع سنين»(٢).

رغم صغر ســـن عائشـــة، وقلة خبرتهـــا، إلا أنها كانـــت ماهرة في

(١) رواه مســـلم في النكاح، باب اســـتحباب التزوج والتزويج في شـــوال، واستحباب الدخول فيه (ح: ١٤٢٣).

(٢) رواه البخاري في النكاح، باب إنكاح الرجل ولده الصغار (ح: ٥١٣٣)، ومسلم في النكاح، باب تزويج الأب البكر الصغيرة (ح: ١٤٢٢).

حياتها الزوجية، فعائشـــة تُجيد فن التعامل مـــع التفاصيل الصغيرة؛ لذلك اســـتطاعت أن تملك قلب حبيبها، فقد كانت تحافظ على بيت الزوجية في غيابه، كما تحافظ عليه في حضـــوره، فها هي تمنع مرَّة عمها من الرضاعة من الدخول عليها حتى تســـأل النبي ﷺ عن الحكم، ففي الصحيحين عن عَائِشَـــةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: اسْـــتَأْذَنَ عَلَيَّ أَفْلَحُ أَخُو أَبِي الْقُعَيْـــسِ بَعْدَمَا أُنزِلَ الحِجَابُ، فَقُلْتُ: لَا آذَنُ لَهُ حَتَّى أَسْـــتَأْذِنَ فِيهِ النَّبِيَّ، فَـــإِنَّ أَخَاهُ أَبَا الْقُعَيْسِ لَيْسَ هُـــوَ أَرْضَعَنِي، وَلَكِـــنْ أَرْضَعَتْنِي امْـــرَأَةُ أَبِي الْقُعَيْـــسِ، فَدَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُـــولَ اللَّهِ إِنَّ أَفْلَحَ أَخَا أَبِي الْقُعَيْسِ اسْتَأْذَنَ فَأَبَيْتُ أَنْ آذَنَ لَهُ حَتَّى أَسْـــتَأْذِنَكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَمَا مَنَعَكِ أَنْ تَأْذَنِين؟ عَمُّكِ»، قُلْتُ: يَا رَسُـــولَ اللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيْسَ هُوَ أَرْضَعَنِي، وَلَكِـــنْ أَرْضَعَتْنِي امْرَأَةُ أَبِي الْقُعَيْسِ، فَقَالَ: «ائْذَنِي لَهُ فَإِنَّهُ عَمُّكِ تَرِبَتْ يَمِينُكِ»[(١)].

إنها لحظة صـــدق ودِين ووفـــاء، ودقة مراعاة لحقـــوق الزوج، لم تتصرف من تلقاء ذاتها، مراعاة للحكم الشرعي، ولرسول الله ﷺ زوجها، فانتظرتْ قدومه ليبت بالأمر.

بل تأملوا لحنكتها -رغم صغر ســـنها- وتعقلها لما شـــكت أمهات

(١) رواه البخاري -واللفظ له- في تفســـير القرآن، باب قوله: ﴿إِن تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ [الأحزاب: ٥٥] (ح: ٤٧٩٦)، ومســـلم في الرضاع، باب تحريم الرضاعة من ماء الفحل (ح: ١٤٤٥).
وقوله: (تربت يمينك) كلمة تقولها العرب وتريد بها الدعاء لا حقيقة معناها. وأصل معناها لصقت يدك بالتراب؛ أي: افتقرت.

المؤمنين رضي الله تعالى عنهن، وسألن الرسولَ الكريم أن يوسّع عليهن في النفقة، أنزل الله آية التخيير: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ۝ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ۝﴾ [الأحزاب: ٢٨، ٢٩].

بعد نزول هذه الآية بدأ ﷺ بعائشة، حيث خيّرها بين مباهج الدنيا وثواب الآخرة، فقال: «لا عليك أن لا تعجلي، (أي: بالاختيار) حتى تستأمري أبويك» (أي: شاوري أبويك). فقالت: أفي هذا أستأمرُ أبويّ؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة[1].

للـه درك يا عائشة! فاستنَّ بها بقية أزواج النبي ﷺ، وقلن له كما قالت.

ما شاء الله! لحسن تصرفها، وسرعة جوابها، دون استشارةٍ، ودون ترددٍ اختارت اللهَ ورسولَه والدارَ الآخرة، فعادت نتيجة هذه المسألة عليها بخير، كما قال اللـه: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ۝﴾ [الأحزاب: ٢٩].

وفي موقف ظريف طريف لعائشة زوجةً: «جَاءَ أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ عَلَى

(١) رواه البخاري في المظالم والغصب، باب الغرفة والعلية المشرفة وغير المشرفة في السطوح وغيرها (ح: ٢٤٦٨)، ومسلم في الطلاق، باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقًا إلا بالنية (ح: ١٤٧٥).

النَّبِيِّ ﷺ، سَمِعَ عَائِشَـــةَ وَهِيَ رَافِعَةٌ صَوْتَهَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَذِنَ لَهُ، فَدَخَلَ، فَقَالَ: يَا ابْنَةَ أُمِّ رُومَانَ وَتَنَاوَلَهَا، أَتَرْفَعِينَ صَوْتَكِ عَلَى رَسُولِ اللهِ؟ قَالَ: فَحَالَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا. فَلَمَّـــا خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ يَتَرَضَّاهَـــا: «أَلَا تَرَيْنَ أَنِّي قَدْ حُلْتُ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَكِ». قَالَ (أي: الراوي): ثُمَّ رَجَعَ أَبُو بَكْرٍ، فَاسْـــتَأْذَنَ عَلَيْهِ، فَوَجَدَهُ يُضَاحِكُهَا، قَالَ: فَأَذِنَ لَهُ، فَدَخَلَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللهِ أَشْـــرِكَانِي فِي سِلْمِكُمَا، كَمَا أَشْرَكْتُمَانِي فِي حَرْبِكُمَا»(١).

إذًا يجري في بيت عائشة ما يجري ببيوت الناس؛ من نزاع، وخصام، ورفع صوت، حتى علا صوت عائشـــة على زوجها رســـول الله ﷺ، لكن الروعة فـــي كيفية إنهاء هـــذا الخلاف، وفي فن التعامل مع المشـــكلات الزوجيـــة، والروعة أن ننهج نهـــج الحبيب -عليه الصلاة والســـلام- مع عائشـــة، ونهج عائشـــة مع الحبيب ﷺ، عندما يكون الأســـاس الاحترام والتقدير والحب المتبادل بين الزوجين.

ببســـاطة فإن بيت عائشـــة وبيت النبي ﷺ عشّ زوجية رائعة تحت سقف الإســـلام، فكان أكثر البيوت سعادة، وبهجة؛ يغمره الحب والعِشرة الحسنة، فيه المسؤولية، والجدية، كما فيه المزح واللعب البريء، ستنبهر أكثر عندما نتحدث عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حبيبةً.

(١) رواه أبو داود، فـــي الأدب، باب ما جاء في المـــزاح (ح: ٤٩٩٩)، قال الألباني في الصحيحة (٦/ ٩٤٥): «هذا إسناد رجاله ثقات رجال الشيخين غير العيزار، فإنه من رجال مسلم وحده».

سؤال تطبيقي:

كيف تعاملت هــذه العروس الصغيرة مع صعوبــة الانتقال من بيئة لأخرى؟ ومن حالٍ إلى حال؟ ومن بيت واســع فــي بيت أبيها إلى حجرة صغيرة يتناول الداخل إليها ســقفها بيده!! ومن أســرة غنية إلى بيت زوج ميســور الحال زاهد في المال ومتاع الدنيا؟ ثم كيف نجحت بزواجها هذا النجاح الباهر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرضاها؟

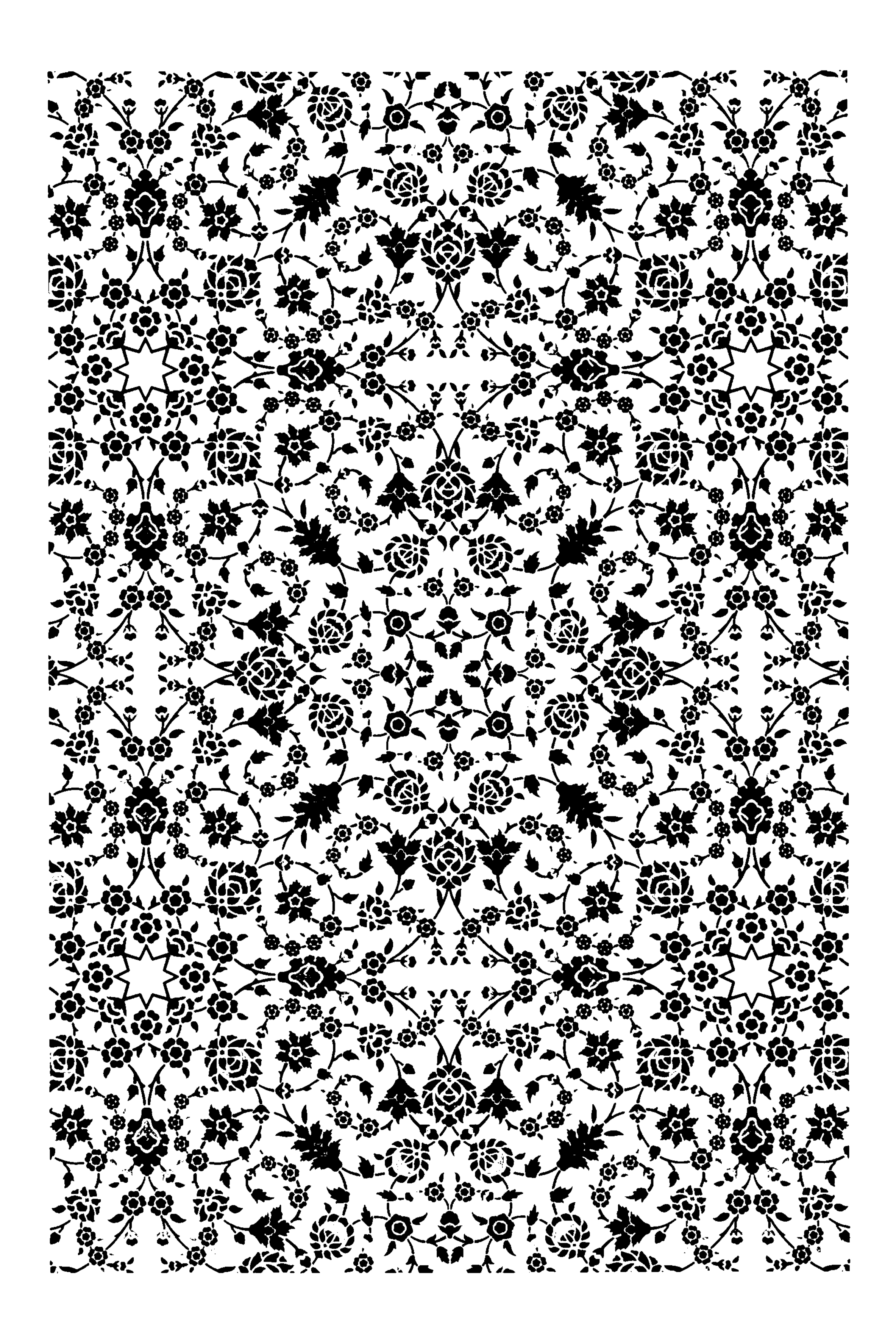
الإجابة:

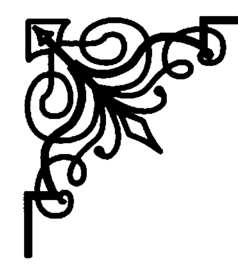
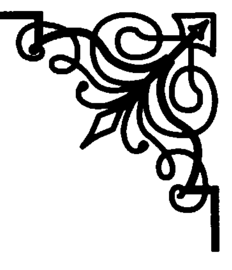
أولًا: يرجع الفضل في ذلك إلى حسن تربية عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في بيت أبيها، وحسن تلقّيها من أمها أم رومان لدروس الحياة الزوجية.

ثانيًا: ذكاء عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وبساطتها في فن إدارة دفة الحياة الزوجية بحكمة ولباقة، وحبها، وحسن عشرتها لزوجها.

ثالثًــا: صبر عائشــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وتضحيتها، فقد عاشــت مع زوجها في أُنس وســعادة، رغم شــظف العيش، فعشّ الزوجية حجرة، وطعامه: الأسودان، لكن حياتهما لا يُعكر صفوها قلة ذات اليد أبدًا؛ لأنها اختارت القلب والنفس، واختارت الإنسان.

رابعًا: رغم صغر ســن عائشــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إلا أنها أدركــت بأنها هي الرابحة؛ فقناعتها النفسية، وميزانها الشرعي القويم، جعلاها تُدرك أن متاع الدنيا فانٍ، بعد أن تسلّحت بالإيمان والقناعة والرضا.



[٧]

عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا حبيبةً

عائشة الفتاة البكر الصغيرة الذكية.

عائشة الزوجة، عائشة الحبيبة، عائشة الحب.

عائشة التي عاشت أجمل وأعظم وأروع قصة حب مع أعظم زوج ﷺ.

عائشة الحميراء (تصغيرُ حمراء)، إشارة لجمالها.

عائشة القلب الحنون، وبساطة النفس، والمرح والأنس.

رغم صغر سن عائشة، وقلة خبرتها إلا أنها كانت ماهرة في حياتها الزوجية.

فقد كانت عائشة تُجيد فنَّ التعامل مع التفاصيل الصغيرة، فقد كانت تُسرح شَعره، وتُعطره عند خروجه، وتُظهر زينتها ومحبتها له، ولذلك استطاعت أن تملك قلب حبيبها ﷺ، لتُصبح أحب الناس إلى النبي ﷺ،

فقد ســأل عمرو بن العــاص النبــي ﷺ: «أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْـكَ؟ قَالَ: «عَائِشَةُ»، فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ: «أَبُوهَا»[1].

إنـي لَـطَـيِّـبَـةٌ خُـلِـقْـتُ لطيِّبِ
ونِـسـاءُ أَحْـمَـدَ أطـيـبُ الـنِّـسْـوانِ
إنـي لَأُمُّ المؤمنيـنَ فَمَـنْ أبـى
حُـبِّـي فَـسَـوْف يَـبُـوءُ بـالـخُـسْـرانِ
الـلَّـهُ حَـبَّـبَـنـي لِـقَـلْـبِ نَـبِـيِّـهِ
وإلـى الـصـراطِ المسـتقيمِ هدانـي
واللَّـهُ يُكْـرِمُ مَـنْ أرادَ كَرامتـي
ويُـهـيـنُ رَبِّـي مـن أرادَ هـوانـي[2]

من ذكاء عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وفنِّ تعاملها زوجةً أنها كانت تحاول استثارة محبة النبي ﷺ لها، تقول مرة: «كُنْتُ أَشْرَبُ وَأَنَا حَائِضٌ، ثُمَّ أُنَاوِلُهُ النَّبِيَّ ﷺ فَيَضَعُ فَاهُ عَلَى مَوْضِعِ فِيَّ فَيَشْرَبُ، وَكنت أَتَعَرَّقُ الْعَرْقَ، (أي: آكل ما عليه من اللحم[3])، ثُمَّ أُنَاوِلُهُ النَّبِيَّ ﷺ فَيَضَعُ فَاهُ عَلَى مَوْضِعِ فِيَّ»[4].

(١) رواه البخـاري في المغازي، باب غزوة ذات السلاسـل وهي غـزوة لخم وجذام (ح:٤٣٥٨)، ومسـلم في فضائل الصحابة، باب مـن فضائل أبي الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ح: ٢٣٨٤).
(٢) القصيدة الوضاحية في مدح السيدة عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ص: ٤٤).
(٣) انظر: شمس العلوم (٧/ ٤٥٠٧)، ومجمع بحار الأنوار (٣/ ٥٧٥).
(٤) رواه مسلم في الحيض، باب سؤر الحائض (ح: ٣٠٠).

يا الله! أيُّ حب هذا؟

وأيُّ حميمية ومودَّة عرفت ترسـمها بأنوثتها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، لقد كانت زوجة من طراز فريد!!

رُوِي أنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قامت مـرَّة بحركة رائعة، حيث أخذت خمارَها، فصبغَته بوردٍ وزعفران، ثم رشَّته بشيءٍ من الماء، لماذا؟ حتى تظهر رائحته الزكية، ثُمَّ جـاءَت وقعدَت عنـدَ رأس زوجها ﷺ[1]، لاحظوا الحركة الجميلة الرائعة.

مرَّة كانت في جلسة سمر مع حبيبها ﷺ، وكانت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تقصُّ عليه حديـثَ أمِّ زرعٍ الطَّويلِ المعروف المتفق عليه في الصحيحين؛ فقال لها النبي ﷺ في آخر الحديث ملاطفةً: «كنتُ لكِ كأبي زرعٍ لأمِّ زرعٍ».

أي: في الوفاءِ، وفي المحبَّةِ، كما «قال العلماء: هو تطييب لنفسها، وإيضاح لحسن عشرته إياها»[2].

فسـارعت عائشـة الحبيبة بحنكتها الأنثوية لختم الجولة لصالحها

(١) رواه أحمد (ح: ٢٤٦٤٠)، وابن ماجه في النكاح، باب المرأة تهب يومها لصاحبتها(ح: ١٩٧٣). وضعف سنده البوصيري في مصباح الزجاجة (٢/ ١١٦)، والألباني في الإرواء (٧/ ٨٥). وقال الأرنؤوط ومن معه في تحقيقهم لمسند أحمد (٤١/ ١٨٤): «إسـناده ضعيف لجهالة سُمية -وهي بصرية- فقد تفرد بالرواية عنها ثابت -وهو البُناني- ولم يُؤثر توثيقُها عن أحد».

(٢) نقله عنهم النووي في شرحه على مسلم (١٥/ ٢٢١).

فقالــت: «بأبــي أنــت وأمّــي، لَأنت خيــرٌ لي مــن أبــي زرعٍ لأمِّ زرع يا رسول الله»[1]. يعني بلغة عصرية: أحبك أكثر مما تحبني!

ومن العــادات المحببــة المتوارثة لــدى العرب ترخيم اســم من تحبه، وقد كان ﷺ ينادي عائشــة مرخمًا اســمها فيقول: «يا عائش»، ففي الصحيحين أنَّ عَائِشَــةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُــولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًــا: «يَا عَائِشَ، هَذَا جِبْرِيلُ يُقْرِئُكِ السَّــلاَمَ» فَقُلْتُ: وَعَلَيْهِ السَّــلاَمُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، تَرَى مَا لاَ أَرَى «تُرِيدُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ»[2].

وقال الحافــظ: «عويش خاطب بها النّبيّ ﷺ عائشــة أم المؤمنين. أورده الطّبرانيّ في العشرة من طريق مسلم بن يسار، قال: بلغني أنّ النبيّ ﷺ دخل على عائشة فقال: «يا عُوَيْش، مَا لِي أَرَاكِ أَشْرَقَ وَجْهُكِ...»[3].

وكلما وجد فرصة للمؤانســة اســتغلها حتى بعد العبــادات، ففي الصحيحين عَنْ عَائِشَــةَ قَالَتْ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا صَلَّى رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ، فَإِنْ كُنْتُ مُسْتَيْقِظَةً حَدَّثَنِي، وَإِلَّا اضْطَجَعَ»[4].

---

(١) رواه البخاري في النكاح، باب حســن المعاشرة مع الأهل (ح: ٥١٨٩)، ومسلم في فضائل الصحابة، باب ذكر حديث أم زرع (ح: ٢٤٤٨).

(٢) رواه البخاري في كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب فضل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ح: ٣٧٦٨). ومســلم في فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب في فضل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ح: ٢٤٤٧).

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة (٨/ ٢٥٣).

(٤) رواه البخاري في التهجد، باب من تحدث بعد الركعتين ولم يضطجع (ح: ١١٦١)، =

وفي الصحيحين عَنْ عَائِشَــةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا « أَنَّ النَّبِـيَّ ﷺ كَانَ إِذَا خَرَجَ أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَــائِهِ، فَطَارَتِ القُرْعَةُ لِعَائِشَــةَ وَحَفْصَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا كَانَ بِاللَّيْلِ سَارَ مَعَ عَائِشَةَ يَتَحَدَّثُ..»[1].

إذًا كان المزاح، واللعب، والابتســامة، والمرح بين الزوجين، وهذا -والله- هو ملح الحياة، كانت عائشة تُمازح وتتسابق مع حبيبها ﷺ، فكلنا يعرف القصة المشهورة لما تسابقت معه -عليه الصلاة والسلام-، فسبقته؛ لأنها كانت خفيفة اللحم، سَكَتَ عَنها ﷺ، -فتقول عائشة- حَتَّى إِذَا حَمَلْتُ اللَّحْمَ، وأصبحت بدينةً، خَرَجْتُ مَعَهُ فِي بَعْضِ أَسْــفَارِهِ، قَالَ: «تَعَالَيْ حَتَّى أُسَابِقَكِ»، فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقَها، فَجَعَلَ يَضْحَكُ وَهُوَ يَقُولُ: «هَذِهِ بِتِلْكَ»[2].

يا الله! جو رائع من الحميميــة والمزاح يُضفي على الحياةِ الزَّوجيَّةِ البهجةَ والسَّعادةَ، يكسر (الرُّوتينَ) البغيضَ في حياة بعض الأزواج.

بل وصل المزاح والمرح بين الحبيبين حتى في أثناء الغسل من الجنابة، قَالَتْ عائشــة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: «كُنْتُ أَغْتَسِلُ أَنَا وَرَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ إِنَاءٍ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَاحِدٍ، فَيُبَادِرُنِي حَتَّى أَقُولَ: دَعْ لِي، دَعْ لِي. قَالَتْ: وَهُمَا جُنُبَانِ»[3].

= ومسلم في صلاة المســافرين، باب صلاة الليل، وعدد ركعات النبي ﷺ في الليل، وأن الوتر ركعة، وأن الركعة صلاة صحيحة (ح: ٧٤٢).

(١) رواه البخاري في النكاح، باب القرعة بين النساء إذا أراد سفرًا (ح: ٥٢١١)، ومسلم في فضائل الصحابة، باب في فضل عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا (ح: ٢٤٤٥).

(٢) رواه أحمد (ح: ٢٦٢٧٧)، وصححه الألباني.

(٣) رواه مسلم في الحيض، باب القدر المستحب من الماء في غسل الجنابة، وغسل =

إذًا الفُكاهـــة والمرح فـــي بعضِ الأحايين مع الـــزوج تقوي أواصر وروابط المحبَّة بين القلبين.

اســـمعوا عائشـــة هذه المرة وهي تحكي موقفًا أسريًّا زوجيًّا جميلًا، العجيب أنها تصف فيه بدقة كيف كان تقاربهما الجســـدي في أثناء اللعب والترفيه، تقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: دعاني رسول الله ﷺ والحبشة يلعبون بحرابهم في المســـجد في يوم عيد، فقال لي: «**يَا حُمَيْرَاء أَتُحِبِّينَ أَنْ تَنْظُرِي إِلَيْهِم؟**» فقلت: نعم، فأقامني وراءه، وأنزل لي منكبيه لأنظر إليهم، تقول: فوضعت ذقني على عاتقه، وأســـندت وجهي إلى خده ﷺ، فنظرت من فوق منكبيه، وأطالـــت الوقوف حتى كان النبي ﷺ يُراوح بين قدميه، فقال: «**يَا عَائِشَـــةُ مَا شَـــبِعْتِ؟!**» تقول: لا، وما بي حب النظر إليهـــم، ولكن أحببت أن يبلغ النســـاءَ مقامُه لي، ومكاني منـــه، وأنا جارية صغيرة[1]، كأن عائشـــة توجه رســـالة مَفادها: اقدروا قدر البنت الصغيرة، الحديثة السن، الحريصة على اللهو، وعلى الترفيه.

سبحان الله! أيّ مشهد حبّ أروع من هذا المشهد؟!

= الرجل والمـــرأة في إناء واحـــد في حالة واحدة، وغســـل أحدهمـــا بفضل الآخر (ح:٣٢١).

(١) ينظر: ســـير أعلام النبلاء (٢/ ٤٠٩)، والحديث بنحوه عنـــد البخاري في النكاح، باب نظر المرأة إلى الحبش ونحوهم في غير ريبة (ح: ٥٢٣٦)، ومســـلم في صلاة العيدين، باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد (ح: ٨٩٢).

هــل أزيدكم؟ فقد كان ﷺ يقبِّل زوجه عائشــة وهو في صيام، وهي صائمة، ويقبّلها وهي حائض!!

إنها رسائل حبّ، برقيات تواصل تقول: مشاعري تجاهكِ يا زوجتي ما تزال متــقـدة، ومكانتك يا عزيزتي في القلب محفوظة.

كأنها تُغازله وتردِّد بلسان حالها ما قاله حسان في وصفه ﷺ:

وأحســن منك لــم تَرَ قَــطُّ عيني
وأجـمـل مـنـك لـم تـلـد الـنـسـاءُ
خُلِقــتَ مُبَــرَّءًا مِـن كلِّ عيــبٍ
كـأنـك قـد خُـلِـقـتَ كـمـا تـشـاءُ[1]

وكأن لسان حال الزوج يرد:

أكْــرِمْ بعائشــةَ الرِّضَــى مِن حُرَّةٍ
بِــكْــرٍ مُــطـهَّـرةِ الإزارِ حَـصَـانِ
هِــيَ زوْجُ خيــرِ الأنبيــاءِ وبِكْرُهُ
وعروسُــه مِــن جمُلــةِ النِّســوانِ
هِي عُرْسُــه هي أُنْسُــه هــي إلْفُهُ
هــي حِـبُّـه صِــدْقًـا بـلا إدْهــانِ[2]

(١) ديوان حسان بن ثابت (ص:١٠).
(٢) القصيدة النونية للقحطاني (ص:٢٧).

ما أروعك يا عائش!

عاشت عائشـــة الحبيبة مع حبيبها ﷺ قرابة تسع سنوات، تمتد هذه السـنوات من قمة عهد الطفولة إلى قمة عهد المراهقة كما يقال في واقعنا المعاصر!

أراد اللـــه بحكمته البالغة أن تنهل عائشـــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا خلالها من علم الحبيب ﷺ وخُلقه الكريم نصيب الأســد، وأن تتربى في حضنه الشريف، إلى أن يموت ﷺ في بيتها ويومها، وبين سَحرها ونحرها[1].

بـــل وأن يمتزج في آخر لحظات حياته ريقها بريقه ﷺ، يوم كان على فراش الموت لحظـــات وداع الحبيب، دخل عبد الرحمن بن أبي بكر أخو عائشـــة ومعه سواك، فنظر النبي ﷺ إلى الســواك، فعرفت عائشة أن له فيه حاجة، فأخذته فمضغته وطيّـبته، ثم دفعته إلى حبيبها ﷺ، فاستنَّ كأحسن ما رأته مستنًّـا قط، ثم ذهب يرفعه إليها فسقط من يده الشريفة[2].

لقد أصبحت عائشة تتواصل مع حبيبها ﷺ دون كلام، تتـــناغم مع رغباته دون طلب، تعرفت علـــى دقائق أموره، أصبحت تتفهم بلغة العين، لقد كانت تهتم بحبيبها كثيرًا؛ كانت تُطيِّبه، وتغسل رأسه، وسواكه، وتُرجِّل

(١) أي: بين صدرها وعنقها. والسَّحر: الرئة، أو الصدر. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٣٤٦).

(٢) رواه البخاري في المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته (ح: ٤٤٤٩)، ومســلم في فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب في فضل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ح: ٢٤٤٣).

شعره، كانت تحب أهل بيته بكل مودة ومحبة صادقة؛ أصبحت تحب كل ما يحبه حبيبها ﷺ.

حتى في لحظات الغضب ما كانت تُفوت الفرصة: ففي يوم من الأيام قال لها: «إِنِّي لَأَعْلَمُ إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً، وَإِذَا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى».

قَالَتْ: وَمِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ يا رسول الله؟ قَالَ: «أَمَّا إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً فَإِنَّكِ تَقُولِينَ: لَا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ، وَإِذَا كُنْتِ غَضْبَى قُلْتِ: لَا وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ».

فسارعت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تظهر حبها لرسول الله ﷺ فقالت: «أَجَلْ والله يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ»[1].

يا الله! ما أروعك يا عائشة! استثمرت الموقف لتظهر محبتها له، حتى خارج أوقات الصفا؛ لم تصخب، لم تصرخ، ما تفوهت بكلام يجرح؛ إنه أدب الغضب، أدبٌ رفيع، لاحظوا المعنى: والله ما أهجر إلا اسمك، أمّا مكانتك ففي القلب كما عهدت بي يا رسول الله!

أيُّ حنكة تلك التي تملك على زوجها لُبَّه حتى أنه - مع أشغاله وأعبائه - يُدقق في أحوالها في غضبها ورضاها، وماذا تقول في كل من الحالين!

(١) رواه البخاري في النكاح، باب غيرة النساء ووجدهن (ح: ٥٢٢٨)، ومسلم في فضائل الصحابة، باب من فضل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ح: ٢٤٣٩).

ما أروعك يا عائشة! فبيتك من أكثر البيوت سعادة وبهجة؛ يغمره الحب والعِشــرة الحسنة، فيه المسؤولية والجدية، وفيه المزاح واللعب البريء، فيه العشــق والدلال، وأرقّ الكلام، هكذا كان ﷺ يهمس لها أحيانًا بكل رقة: يا عائشُ، على الترخيم، أو يا حميراء، ومعناها: المرأة البيضاء الجميلة.

هكذا فإن بيت عائشـــة كان بسيط البناء، قليل المتاع، لكنه كان عامرًا بالحبِّ والوداد، عبِقًــا بالقناعة والرضا، فهي تُدرك أن الســعادة الزوجية تكون بمقدار حبها واحترامها لزوجها ﷺ، وحب الزوج واحترامه لزوجه.

لكــن الحياة الزوجية ليســت مبنية فقط على الحب والرومانســية، وليســت الحياة قائمة فقط على الترفيه والمرح، بــل أيضًا: صبر وجدية، وتضحية، وتحمل وتَفانٍ ومسؤولية، هذا ما أدركته عائشة من فلسفة الحياة الزوجية، حيث تقول رَضِيَٱللَّهُعَنهَا لِعُرْوَةَ ابن أختها: «إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الهِلاَلِ، ثُمَّ الهِلاَلِ، ثَلاَثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَــهْرَيْنِ، وَمَا أُوقِدَتْ فِي أَبْيَاتِ رَسُــولِ اللَّهِ ﷺ نَارٌ»، فَقُال يَا خَالَةُ: مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟ قَالَتْ: «الأَسْوَدَانِ: التَّمْرُ وَالمَاءُ»(١).

وهي التي قالت عند نزول قول الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الأحزاب:٢٩] فأمر الله رســوله أن يُخيّر

(١) رواه البخاري في كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها (ح: ٢٥٦٧)، ومســلم في الزهد والرقائق (ح: ٢٩٧٢).

أزواجه، تقول عائشة: فبدأ بي رسول الله ﷺ فقال: «**إِنِّي ذَاكِرٌ لَكِ أَمْرًا، فَلا عَلَيْكِ أَنْ لا تَسْتَعْجِلِي حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكِ**»، وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ أَبَوَيَّ لَمْ يَكُونَا يَأْمُرَانِي بِفِرَاقِهِ، قَالَتْ: ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ قَالَ**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ﴾» إِلَى تَمَامِ الآيَتَيْنِ، فقلت له: ففي أي هذا أستأمر أبوي؟! فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة[1].

ما أكمل عقلك! لم تُعط نفسها فرصة لاستشارة أبويها، وهي الصغيرة السن، بل تبادر فورًا بأنها تريد البقاء في تلك الحياة التي لا رفاهية فيها، ولا سعة مال وكنوز، بل حياة بسيطة، فيكفي وجود الحبيب ﷺ بجوارها، وطمعًا بمرضاة الله والآخرة.

بل كان زوجها ﷺ بشرًا كغيره من الناس في حياته وبين أسرته قد يغضب، وقد يتخاصم مع زوجه، كثيرة هي المواقف التي كانت بين عائشة وبين النبي ﷺ، ففي يوم من الأيام أمرها أن ترقب أسيرًا جاء به -عليه الصلاة والسلام- فانشغلت عائشة عَنْهُ، فَهرب الأسير، فجاء النَّبِيُّ ﷺ وسألها: «**مَا فَعَلَ الْأَسِيرُ يا عائشة؟**» قَالَتْ: لقد لَهَوْتُ عَنْهُ يا رسول الله مَعَ النِّسْوَةِ فَخَرَجَ، فغضب النبي ﷺ، فَقَالَ ﷺ: «**مَا لَكِ قَطَعَ اللهُ يَدَكِ، أَوْ يَدَيْكِ**»، فَخَرَجَ ينادي بالناس ليردوا الأسير، فردوه، فَدَخَلَ النبي ﷺ

---

(١) رواه البخاري في تفسير القرآن، باب قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ۝﴾ [الأحزاب: ٢٨] (ح: ٤٧٨٥)، ومسلم في الطلاق، باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقًا إلا بالنية (ح: ١٤٧٥).

عَلى عائشـــة وَهي تُقَلِّبُ يَدَيها، فَقَالَ: «مَا لَـكِ، أَجُنِنْتِ؟» فقالت: دَعَوْتَ عَلَيَّ، فَأَنَا أُقَلِّبُ يَدَيَّ، أَنْظُرُ أَيُّهُمَا يُقْطَعَانِ!

وهنا لاحظ موقف الحبيب ﷺ، فما كان منه إلا أن حَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ مَدًّا، وَقَالَ: «اللهُمَّ إِنِّي بَشَـرٌ، أَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ، فَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ، أَوْ مُؤْمِنَةٍ، دَعَوْتُ عَلَيْهِ، فَاجْعَلْهُ لَهُ زَكَاةً وَطُهُورًا»[1].

بأبي أنت وأمي يا حبيبي يا رسول الله!

فبيت عائشة تحدث فيه مشـاكل وخلاف زوجي كما هو الحال في كل بيت، إلا أنها تُحـل وتُدار بحب ولباقة من الطرفين، يتم احتواؤها فور وقوعها، ولا يمكن أن تسـتفحل وتنال من الحب المتبادل بين الحبيبين، ومن سعادتهما.

وكيف للمشاكل العابرة أن تنال من سعادة الزوجين، وهما يمسكان بسرّ السعادة الزوجية؛ طاعة الله - عز وجل -، فقد كان الزوجان يتعاونان على العبادة، وطاعة الله فهي سر السعادة، فالتوفيق والجمع بين القلبين بيد الله سـبحانه وتعالى، فكان ﷺ «يُصَلِّي الليل وعائشة نائمة مُعْتَرِضَةٌ عَلَى فِرَاشِهِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يُوتِرَ أَيْقَظَهَا فَقَامت فَأَوْتَرت»[2].

(١) رواه أحمـد (ح: ٢٤٢٥٩). وقـال الأرنؤوط وزملاؤه في تعليقهم على المسـند: «إسناده صحيح على شرط الشيخين».

(٢) رواه البخاري في الصلاة، باب الصلاة خلف النائم (ح: ٥١٢)، ومسلم في الصلاة، باب الاعتراض بين يدي المصلي (ح: ٥١٢).

وقد واجهت عائشة مشاكل وظروفًا صعبة في حياتها الزوجية، قد كانت تعاني مع زوجها أذى قريش والمنافقين والمشركين واليهود، ومحاربتهم للنبي ﷺ.

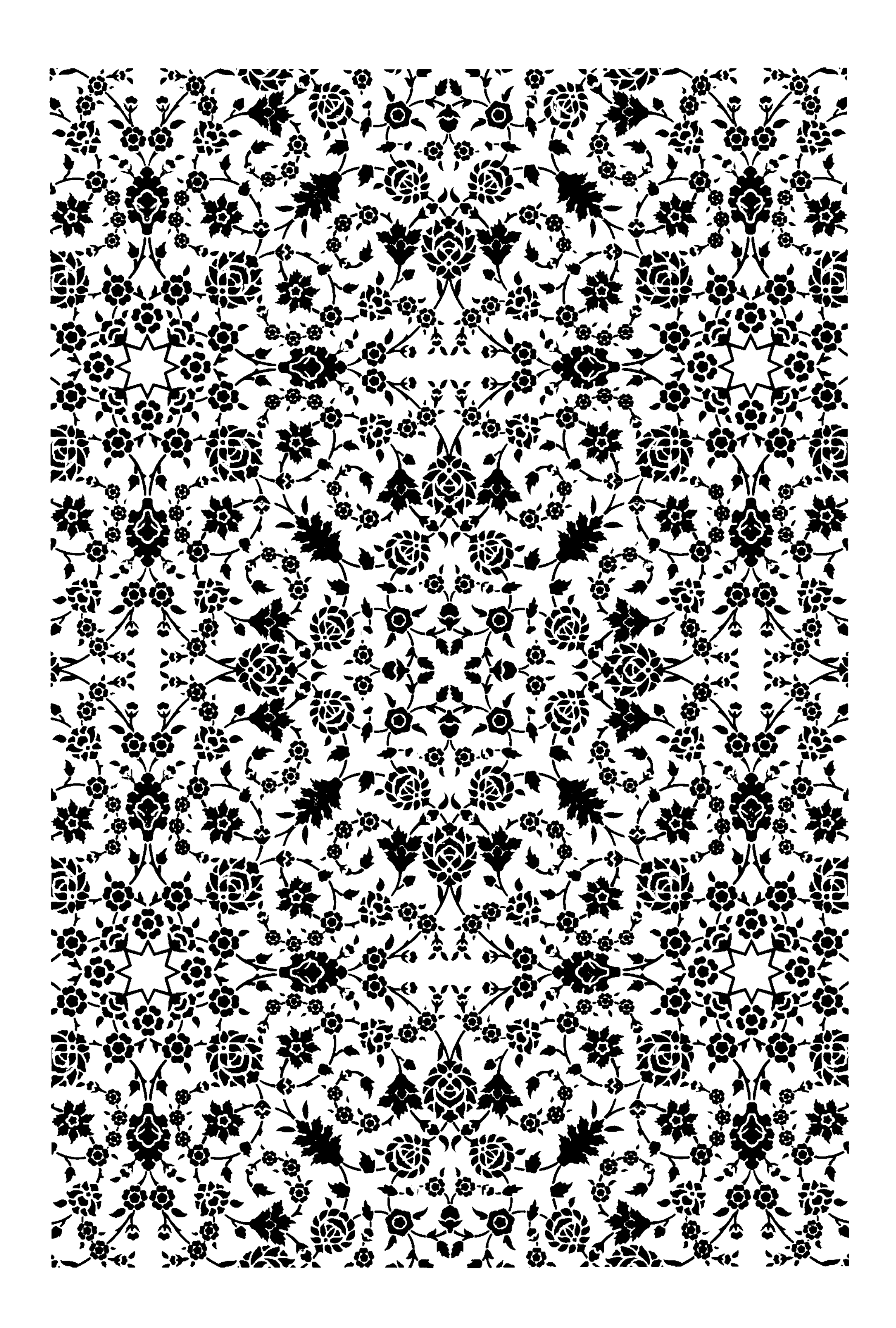
السؤال التطبيقي:

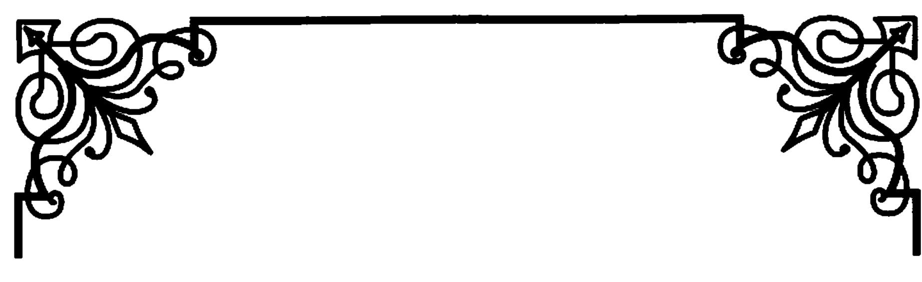
يا تُرى كيف لهذه الفتاة الصغيرة في ظل هذه الظروف والمصاعب والفقر أن تمكنت من قلب حبيبها ﷺ؟

الإجابة:

أولًا: كانت عائشة تُدرك أن الحب ليس مجرد عواطف، وأنها إن أرادت عش الزوجية مكانـًا للاستقرار وأن يزخر بلحظات الهناء والسعادة، فلا بد أن يعبق بعواطف الحبّ الصادق، والوداد الناطق، وأن يفوح بمشاعر التقدير والاحترام بين الطرفين.

ثانيًا: عائشة وضعت لنفسها هدفًا واضحًا من أول لحظة عرفت بارتباطها بأعظم رجل، وهو: رضا وحب زوجها، فعرفت طبائع وصفات زوجها جيدًا: ماذا يحب؟ وماذا يكره؟ ومتى يفرح؟ ومتى يغضب؟ وماذا يلبس؟ وماذا يشرب ويأكل؟ وكيف يُفكر؟ ومتى ينام؟ وماذا يحب من الألوان والطعام، وغيرها من الأحوال والطبائع البشرية، ومن يسمع لروايات عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن تفاصيل ودقائق حياة النبي ﷺ يعجب من دقة نقلها لصفاته وتصرفاته وأفعاله ﷺ؟!





[٨]

عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا والمشكلات الزوجية

عائشة زوجة من طراز فريد.

عائشة أنموذج رائع في إدارة حياتها الزوجية، فهي تتعامل مع المشكلات الزوجية بكل تعقل وواقعية، وعفو ومسامحة.

بيت عائشة الزوجي هو ككل البيوت، لا كما يظن البعض أن بيت النبي ﷺ كالمسجد لا يُتكلم فيه إلا بالذكر، ولا تُرفع فيه الأصوات، وتحوطه السكينة دومًا وأبدًا!

فبيت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فيه مداعبات بينها وبين حبيبها ﷺ، وهمسات، وجلسات أنس وسمر، كما كان أيضًا في بيت عائشة غضب ورضا، وحزن وفرح، وحلو ومرّ، وربما كان دافع أكثر هذا الغضب والمشاكل هو الغيرة على رسول الله ﷺ، وحب عائشة الشديد له ﷺ؛ ومن ذلك أنه ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا ذات ليلة، قَالَتْ: فَغِرْتُ عَلَيْهِ، فَجَاءَ فَرَأَى مَا أَصْنَعُ، فَقَالَ: «**مَا لَكِ؟ يَا عَائِشَةُ أَغِرْتِ؟**» فَقُلْتُ: وَمَا لِي لَا يَغَارُ مِثْلِي عَلَى مِثْلِكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَقَدْ جَاءَكِ شَيْطَانُكِ**» قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ أَوْ مَعِيَ شَيْطَانٌ؟ قَالَ:

«نَعَمْ»، قُلْتُ: وَمَعَ كُلِّ إِنْسَـــانٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قُلْتُ: وَمَعَكَ يَا رَسُـــولَ اللهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَلَكِنْ رَبِّي أَعَانَنِي عَلَيْهِ حَتَّى أَسْلَمَ»[1].

لله درك يا عائشـــة! تعتـــرف بغيرتها، وتُبين أن ســـبب ذلك غيرتها عليه ﷺ، ثم تُبَيِّنُ ســـبب ذلك بلطف ورقة ولباقة ترفع عن زوجها حبيبها ما لعله يغضبه من تصرفها فتقول: «وَمَا لِي لَا يَغَارُ مِثْلِي عَلَى مِثْلِكَ؟!»

ولأهمية هذا الموضوع: (المشكلات الزوجية) في واقعنا المعاصر، تعالوا نستمع إلى شاهد عيان لبعض ما كان يدور في بيت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ يقول النعمان بن بشـــير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَاءَ أَبُو بَكْرٍ يَسْـــتَأْذِنُ النَّبِيَّ، فَسَمِعَ عَائِشَةَ وَهِـــيَ رَافِعَةٌ صَوْتَهَا عَلَى رَسُـــولِ اللهِ ﷺ، فَأَذِنَ لَهُ، فَدَخَـــلَ، فَقَالَ: يَا ابْنَةَ أُمِّ رُومَانَ، أَتَرْفَعِينَ صَوْتَكِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ وَتَنَاوَلَهَا (وفي رواية عند أحمد: «تَناوَلَهـــا لِيَلْطِمَها»، يعني: يريد أن يضربها)، قَالَ: فَحَالَ النَّبِيُّ ﷺ، بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا. فَلَمَّا خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ، أخذ النَّبِيُّ ﷺ يَتَرَضَّاهَا ويقول لها: «أَلَا تَرَيْنَ أَنِّي قَدْ حُلْتُ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَكِ؟!»، ثُمَّ جَاءَ أَبُو بَكْرٍ، فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ، فَوَجَدَهُ يُضَاحِكُهَا، قَالَ: فَأَذِنَ لَهُ، فَدَخَلَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُـــولَ اللهِ أَشْـــرِكَانِي فِي سِـــلْمِكُمَا، كَمَا أَشْـــرَكْتُمَانِي فِي حَرْبِكُمَا، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «قَدْ فَعَلْنَا قَدْ فَعَلْنَا»[2].

---

(١) رواه مسلم، في صفة القيامة والجنة والنار، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قرينا (ح:٢٨١٥).

(٢) رواه أبو داود، في الأدب، باب ما جاء في المزاح (ح: ٤٩٩٩)، وأحمد في المســـند (٣٠/ ٣٤٢)، قال الألباني في الصحيحة عن إسناد أحمد (٦/ ٩٤٥): «هذا إسناد =

إذًا هذا الموقف البسـيط يُبين أن هناك مشكلة، وهناك رفع صوت، ومحاولة ضرب من والد الزوجة، وهناك تدخل من الزوج لإنقاذ الموقف، ثم الملاطفـة والمزاح، ثم التصالح، وأخيـرًا الضحك والأنس، كل هذه الأحوال في موقف واحد في بيت عائشـة، فكيف لـو تأملنا أيضًا مواقف أخرى كثيرة!

فالروعة في هذا الموقف أنه سرعان ما رجعَت العلاقةُ مرَّةً أخرى بين عائشة وزوجها، رغم حجم المشـكلة، لكن حكمة وتلطف الرسول ﷺ، تُقابلها سرعة رضا عائشة، ولينها وانكسارها لزوجها لفتح صفحة جديدة، لتنتهي المشكلة، بل تحولت لتجديد الحب بين الزوجين، فصارت المحنة منحة، وهكذا يكون فنّ احتواء المشاكل!.

مشكلة أخرى في بيت عائشة، الآن نحن في حجرتها، وفي يومها مع رسـول الله ﷺ، ويبدو أن النبي ﷺ كان عنده ضيوف، فأتت أم المؤمنين أم سلمة - زوج النبي ﷺ - بطَعَامٍ فِي صَحْفَةٍ لَهَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، فَجَاءَتْ عَائِشَـةُ مُؤْتَزِرَةً بِكِسَـاءٍ وَمَعَهَا فِهْرٌ، (أي: حجـر)[1]، فَفَلَقَتْ بِهِ الصَّحْفَةَ.

= رجالـه ثقات رجال الشـيخين غير العيزار، فإنـه من رجال مسـلم وحده». وقال الأرناؤوط ومن معه في تحقيقهم للمسند (٣٠/ ٣٤٢): «إسناده صحيح على شرط مسلم، العيزار بن حُريث من رجاله، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين».

(١) الحجر ملء الكفّ. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٤٨١).

يا الله! مشكلة ليست سهلة، خاصة أنها أمام ضيوف النبي ﷺ، لكن بيوت الحبيب ﷺ مكشوفة لكل الأمة بأمر من السماء، أليس الله تعالى يقول في محكم التنزيل: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤]، أمر ســماوي لزوجات النبي -عليه الصلاة والسلام- أن يذكرن ما يتلى في بيوتهن من الآيات القرآنية، ومن الحكمة، وهي: السنة النبوية، لماذا؟ لأنه ﷺ القدوة والأسوة. قال القرطبي في تفسير الآية: ﴿وَٱذْكُرْنَ﴾ «بمعنى: احفظن واقرأن، وألزمنه الألســنة، فكأنه يقول: احفظن أوامـــر الله تعالى ونواهيه، وذلك هو الذي يتلى في بيوتكن من آيات الله. فأمر الله ســبحانه وتعالى أن يخبرن بما ينزل من القرآن في بيوتهن، وما يرين من أفعال النبي عليه الصلاة والسلام، ويسمعن من أقواله حتى يبلغن ذلك إلى الناس، فيعملوا ويقتدوا»(١).

قام النَّبِيُّ ﷺ فجمع بَيْنَ فِلْقَتَيِ الصَّحْفَـةِ وَهو يَقُولُ لضيوفه: «**كُلُوا غَارَتْ أُمُّكُمْ، كُلُوا غَارَتْ أُمُّكُمْ**»، ثُمَّ أَخَذَ رَسُــولُ اللهِ ﷺ صَحْفَةَ عَائِشَــةَ فَبَعَثَ بِهَا إِلَى أُمِّ سلمة، وَأَعْطَى صَحْفَةَ أُمِّ سلمة لِعَائِشَةَ(٢).

نعم خطأ من عائشة، ســببه الغيرة، فأم سلمة هي التي بدأت بإتيانها بالطعام في بيت عائشة وليلتها، مما سبب غيرتها،وقد راعى رسول الله ﷺ أن عائشــة صغيرة السن، وتحب زوجها حبًّا شــديدًا، وعائشة كغيرها من

(١) تفسير القرطبي (١٤/ ١٨٤).

(٢) رواه النسائي في عشرة النساء، باب الغيرة (ح: ٣٩٥٦)، وصححه الألباني في إرواء الغليل (٥/ ٣٦٠).

الزوجات قد تغضب، وتتعجل، وتخطئ، لكنها سرعان ما ترجع لصوابها، وتندم، وتعتذر، هكــذا هي الحياة الزوجية فــي كل البيوت، لكن احتواء المشــاكل الزوجية فنٌّ لا يُتقنه كل أحد، فقد انتهت هذه المشكلة في بيت عائشــة، والنبيﷺ لم يعنِّف عائشة؛ فهو يُدرك أن الغيرة هي التي حركتها، وأيضًا ســكتت أم ســلمة لأن النبي ﷺ قد عوَّضها عن صحفتها، ولعلها استدركت أنها هي من بدأت وأخطأت.

وتحكي عائشــة -أيضًا- عن مشــكلة زوجية أخرى في بيتها، وقد غضب النبي - عليه الصلاة والسلام - في هذه المشكلة على عائشة غضبًا شديدًا، فماذا صنعت؟ تقول عائشة: كَانَ رَسُــولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا ذَكَرَ خَدِيجَةَ لَمْ يَكُنْ يَسْأَمُ مِنْ ثَنَاءٍ عَلَيْهَا، وَالاسْتِغْفَارِ لَهَا، فَذَكَرَهَا ذَاتَ يَوْمٍ، وَاحْتَمَلَتْنِي الْغَيْــرَةُ، إِلَى أَنْ قُلْــتُ: قَدْ عَوَّضَكَ اللَّهُ مِنْ كَبِيرَةِ السِّــنِّ، قَالَــتْ: فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ غَضِبَ غَضَبًا سَقَطَ فِي جِلْدِي، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ إِنْ أَذْهَبْتَ عَنِّي غَضَبَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَمْ أَذْكُرْهَا بِسُوءٍ مَا بَقِيتُ.

فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ الله ﷺ الذِي قَدْ لَقِيتُ، قَالَ: «كَيْفَ قُلْتِ؟ وَاللَّهِ لَقَدْ آمَنَــتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِيَ النَّاسُ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَرُزِقَتْ مِنِّي الْوَلَدَ إِذْ حُرِمْتِيهِ مِنِّي، فَغَدَا بِهَا عَلَيَّ وَرَاحَ شَهْرًا»[1].

في هذه المشــكلة سرعان ما تراجعت عائشــة عن خطئها، وندمت

---

(١) رواه الطبرانــي في المعجم الكبير (ح: ٢١)، وحســنه الهيثمي فــي مجمع الزوائد (٩/ ٢٢٤).

واســـتغفرت، وتابت واعتذرت، وهذا لا يفعله إلا كبار النفوس، فالرجوع عن الخطأ فضيلة.

وقد كان لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا طريقة عجيبة في إنهاء المواقف وتصفيتها!، فقد كانت إذا فعلت خطأ وغضب رسول الله ﷺ وَجّهت نَظَرَه إلى موضوع آخر حتى لا يتوقف كثيرًا عند خطئها، وحتى يذوب غضبه ﷺ، فلنســتمع إليهــا وهي تقص علينا القصـــة الآتية؛ فتقول: «لَمَّا كَانَــتْ لَيْلَتِي الَّتِي كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِيهَا عِنْــدِي، انْقَلَبَ فَوَضَعَ رِدَاءَهُ، وَخَلَــعَ نَعْلَيْهِ، فَوَضَعَهُمَا عِنْدَ رِجْلَيْهِ، وَبَسَطَ طَرَفَ إِزَارِهِ عَلَى فِرَاشِهِ، فَاضْطَجَعَ، فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا رَيْثَمَا ظَنَّ أَنْ قَدْ رَقَدْتُ، فَأَخَذَ رِدَاءَهُ رُوَيْدًا، وَانْتَعَلَ رُوَيْدًا، وَفَتَحَ الْبَابَ فَخَرَجَ، ثُمَّ أَجَافَهُ رُوَيْدًا، فَجَعَلْتُ دِرْعِي فِي رَأْسِي، وَاخْتَمَرْتُ، وَتَقَنَّعْتُ إِزَارِي، ثُمَّ انْطَلَقْتُ عَلَى إِثْرِهِ، حَتَّى جَاءَ الْبَقِيعَ فَقَامَ، فَأَطَالَ الْقِيَامَ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ انْحَرَفَ فَانْحَرَفْتُ، فَأَسْرَعَ فَأَسْرَعْتُ، فَهَرْوَلَ فَهَرْوَلْتُ، فَأَحْضَرَ فَأَحْضَرْتُ، فَسَبَقْتُهُ فَدَخَلْتُ، فَلَيْسَ إِلَّا أَنِ اضْطَجَعْتُ فَدَخَلَ، فَقَالَ: «مَا لَكِ؟ يَا عَائِشُ، حَشْــيَا رَابِيَةً» (يعني: أصابك شـــيء في صدرك؟) قَالَتْ: قُلْتُ: لَا شَيْءَ، قَالَ: «لَتُخْبِرِينِي أَوْ لَيُخْبِرَنِّي اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ» قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُــولَ اللهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، فَأَخْبَرْتُهُ، قَالَ: «فَأَنْتِ السَّــوَادُ الَّذِي رَأَيْتُ أَمَامِي؟» قُلْتُ: نَعَمْ، فَلَهَدَنِي (يعني: ضربني) فِي صَدْرِي لَهْدَةً أَوْجَعَتْنِي، ثُمَّ قَالَ: «أَظَنَنْتِ أَنْ يَحِيفَ اللهُ عَلَيْكِ وَرَسُــولُهُ؟» قَالَتْ: مَهْمَا يَكْتُمِ النَّاسُ يَعْلَمْهُ اللهُ، نَعَمْ، قَالَ: «فَإِنَّ جِبْرِيلَ أَتَانِي حِينَ رَأَيْتِ، فَنَادَانِي، فَأَخْفَاهُ مِنْكِ، فَأَجَبْتُهُ، فَأَخْفَيْتُهُ مِنْــكِ، وَلَمْ يَكُنْ يَدْخُلُ عَلَيْكِ وَقَدْ وَضَعْتِ ثِيَابَــكِ، وَظَنَنْتُ أَنْ قَدْ رَقَدْتِ،

فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَكِ، وَخَشِيتُ أَنْ تَسْتَوْحِشِي، فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَ أَهْلَ الْبَقِيعِ فَتَسْــتَغْفِرَ لَهُمْ»، قَالَتْ: قُلْتُ: كَيْفَ أَقُولُ لَهُمْ يَا رَسُــولَ اللهِ؟ قَالَ: «قُولِي: السَّلَامُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَيَرْحَمُ اللهُ الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا وَالْمُسْتَأْخِرِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَلَاحِقُونَ»(١).

أي حكمــة هذه! وأي فطنة! تُغير الموضــوع حتى تُذيب غضبه ﷺ فتقول: كَيْفَ أَقُولُ لَهُمْ يَا رَسُــولَ اللهِ؟ حتى ينشغل بالجواب والتعليم عن الغضب.

ولنتأمل قول رســول الله ﷺ: «وَظَنَنْتُ أَنْ قَدْ رَقَــدْتِ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَكِ، وَخَشِــيتُ أَنْ تَسْتَوْحِشِــي». فهذه شــفقة الزوج الرفيق بزوجته؛ كره ﷺ أن يوقظها، وخاف عليها أن تستوحش إذا أيقظها!

ومن المشــاكل الزوجية في بيت عائشــة، قَالَتْ: «..فَأَرْسَلَ أَزْوَاجُ النبيِّ ﷺ زَيْنَــبَ بِنْتَ جَحْشٍ، زَوْجَ النبيِّ ﷺ، وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَــامِينِي (أي: تنافســني) مِنْهُنَّ فِي الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ رَسُــولِ اللهِ ﷺ، وَلَــمْ أَرَ امْرَأَةً قَطُّ خَيْرًا فِي الدِّينِ مِــنْ زَيْنَبَ، وَأَتْقَى لِلَّهِ، وَأَصْدَقَ حَدِيثًــا، وَأَوْصَلَ لِلرَّحِمِ، وَأَعْظَمَ صَدَقَةً، وَأَشَــدَّ ابْتِذَالًا لِنَفْسِهَا فِي الْعَمَلِ الَّذِي تَصَدَّقُ بِهِ، وَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللهِ تَعَالَى، مَا عَدَا سَــوْرَةً مِنْ حِدَّةٍ كَانَتْ فِيهَا، تُسْرِعُ مِنْهَا الْفَيْئَةَ، قَالَتْ: فَاسْــتَأْذَنَتْ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَرَسُــولُ اللهِ ﷺ مَعَ عَائِشَةَ فِي مِرْطِهَا، عَلَــى الْحَالَةِ التِي دَخَلَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا وَهُوَ بِهَا، فَأَذِنَ لَهَا رَسُــولُ اللهِ ﷺ.

(١) رواه مسلم في الجنائز، باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها (ح: ٩٧٤).

فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ أَزْوَاجَكَ أَرْسَلْنَنِي إِلَيْكَ يَسْأَلْنَكَ الْعَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ، قَالَتْ: ثُمَّ وَقَعَتْ بِي، فَاسْـتَطَالَتْ عَلَيَّ، وَأَنَا أَرْقُبُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَأَرْقُبُ طَرْفَـهُ، هَلْ يَأْذَنُ لِي فِيهَا، قَالَتْ: فَلَمْ تَبْـرَحْ زَيْنَبُ حَتَّى عَرَفْتُ أَنَّ رَسُـولَ اللهِ ﷺ لَا يَكْرَهُ أَنْ أَنْتَصِرَ، قَالَتْ: فَلَمَّا وَقَعْتُ بِهَا لَمْ أَنْشَـبْهَا حَتَّى أَنْحَيْتُ عَلَيْهَا، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: وَتَبَسَّمَ «**إِنَّهَا ابْنَةُ أَبِي بَكْرٍ**»(١).

لـن أُعلق وأترك لخيالكم تصور هذه المشـكلة، فقط أشـير لأدب وتعقل عائشة وهدوئها، ثم إنصافها لزينب، ثم انتصارها منها بعد إذن النبي عليه الصلاة والسلام!.

قد تغضب عائشـة مـن النبي ﷺ، كمـا كان النبي يغضـب منها، فحياتهما حياة زوجية طبيعيـة، لكن الغضب بين الزوجين يُطفئه الاحترام المتبادل بين الزوجين، ومراعاة المشـاعر النفسـية، تقول عائشة: قَالَ لِي رَسُـولُ اللَّه ﷺ: «**إِنِّي لَأَعْلَمُ إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً، وَإِذَا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى**» فقالت عائشة: وَمِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ؟! قَالَ: «**أَمَّا إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً فَإِنَّكِ تَقُولِيـنَ: لَا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ، وَإِذَا كُنْتِ غَضْبَى قُلْتِ: لَا وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ**»، قالت عائشة: «**أَجَلْ وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ**»(٢).

أي: أن العتاب لا يتجاوز مجرد هجر الاسم مع بقاء المحبة الفياضة!

---

(١) رواه مسلم في فضائل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم، باب فضل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ح: ٢٤٤٢).

(٢) رواه البخـاري في النكاح، باب غيرة النسـاء ووجدهن (ح: ٥٢٢٨)، ومسـلم في فضائل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم، باب من فضل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ح: ٢٤٣٩).

مبدعة هي عائشـــة، مبدعة في أدبها وفي ردها، وفي إيصال رســالة عتاب لحبيبها، فحدُّ غضبها هو قولها: «لَا وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ»؟!، إنها رســالة عظيمة لنا في كيفيــة إدارة الخلاف الزوجي في بيوتنا، لقد كانت عائشـــة رائعة في فن احتواء مشاكلها البيتية والزوجية.

وأحيانًــا تتمالــك الغيــرة عائشـــة تجــاه الزوجــات الأخريات لرسول الله ﷺ، وربما هذا أغضب النبي ﷺ، ففي يوم قالت للحبيب ﷺ: حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا، -تَعْنِي: قَصِيرَةً-، فَقَالَ عليه الصلاة والسلام: «**لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ**»(١).

هي أرادت التقليل من صفيــة بخلقتها، إلا أنه ﷺ نبهها إلى خطورة كلمتها، فانتهت عائشـــة، ولم تعد، وانتهت المشكلة أيضًا، ولم يبق لها بين الحبيبين أثر.

وفي موقــف طريف وظريف تذكر عائشـــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنهـــا افْتَقَدْت النَّبِـــيَّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَـــةٍ، فَظَنَنت أَنَّهُ ذَهَبَ إِلَى بَعْضِ نِسَـــائِهِ، فَتَحَسَّسْـــت في الظلام فوجدته فَإِذَا هُوَ رَاكِعٌ -أَوْ سَاجِدٌ- يَقُولُ: «**سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**» فَقُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي إِنِّي لَفِي شَأْنٍ وَإِنَّكَ لَفِي آخَرَ»(٢).

ومرة قالت عائشة: «أين كنت يا رسول الله منذ اليوم؟ قال: «يا حميراء

(١) رواه أبو داود في الأدب، باب في الغيبة (ح: ٤٨٧٥)، وصححه الألباني.
(٢) رواه مسلم في الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود (ح: ٤٨٥).

كنت عند أم ســـلمة». فقلت: ما تشبع من أم ســـلمة؟! فتبسم ﷺ، فإذا هي تقول: يا رسولَ اللهِ أَلَا تُخْبِرُنِي عَنْكَ، لَوْ أَنَّكَ نَزَلْتَ بِعُدْوَتَيْنِ، إِحْدَاهُمَا لَمْ تُرْعَ، وَالْأُخْرَى قَدْ رُعِيَتْ، أَيُّهُمَا كُنْتَ تَرْعَى؟ قَالَ: «الَّتِي لَمْ تُرْعَ» قُلْتُ: فَأَنَا لَسْتُ كَأَحَدٍ مِنْ نِسَـــائِكَ، كُلُّ امْرَأَةٍ مِنْ نِسَائِكَ قَدْ كَانَتْ عِنْدَ رَجُلٍ، غَيْرِي، قَالَتْ: فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ»[1].

وفي رواية للبخاري: «يَا رَسُـــولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ لَـــوْ نَزَلْتَ وَادِيًا وَفِيهِ شَـــجَرَةٌ قَدْ أُكِلَ مِنْهَا وَوَجَدْتَ شَـــجَرًا لَمْ يُؤْكَلْ مِنْهَا فِـــي أَيِّهَا كُنْتَ تُرْتِعُ بَعِيرَكَ؟ قَالَ: «فِي الَّذِي لَمْ يُرْتَعْ مِنْهَا» تَعْنِي: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَتَزَوَّجْ بِكْرًا غَيْرَهَا»[2].

مثل هذه البساطة، ومثل هذه الواقعية هي التي جعلت عائشة تصف لنا دقائق ما كان يجري في بيت رسول الله ﷺ بأدق تفاصيله، سواء أكانت فيه على صواب، أم كانت مخطئة، تبصرة لبنات جنسها، وإرشادًا لهن على التعقل وكيفية مواجهة مشاكلهن الزوجية بالطرق الحكيمة.

فعائشة تروي لنا ســـيرتها بحلوها ومرها، وهي فرصة ذهبية أن ننهل من ســـيرتها العطرة، وتجاربها الرائعة، إنها بحق أنموذج للفتاة المعاصرة

---

(١) رواه ابن ســـعد في الطبقات الكبرى (٨ / ٨٠)، والطحاوي في شـــرح معاني الآثار (ح:٧٠٣٧). وأخرج البخاري نحوه دون قولها: «ما تشبع من أم سلمة؟ فتبسم ﷺ» كما في الحاشية التالية:

(٢) رواه البخاري في النكاح، باب نكاح الأبكار (ح: ٥٠٧٧).

في كل جوانب الحياة، أنموذج عملي تطبيقي تربوي لبناء شـــخصيتك إن أردتِ التميز والإبداع.

السؤال التطبيقي:

كيف استطاعت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا على احتواء مشاكلها الزوجية بهذه القدرة الفائقة؟

الإجابة:

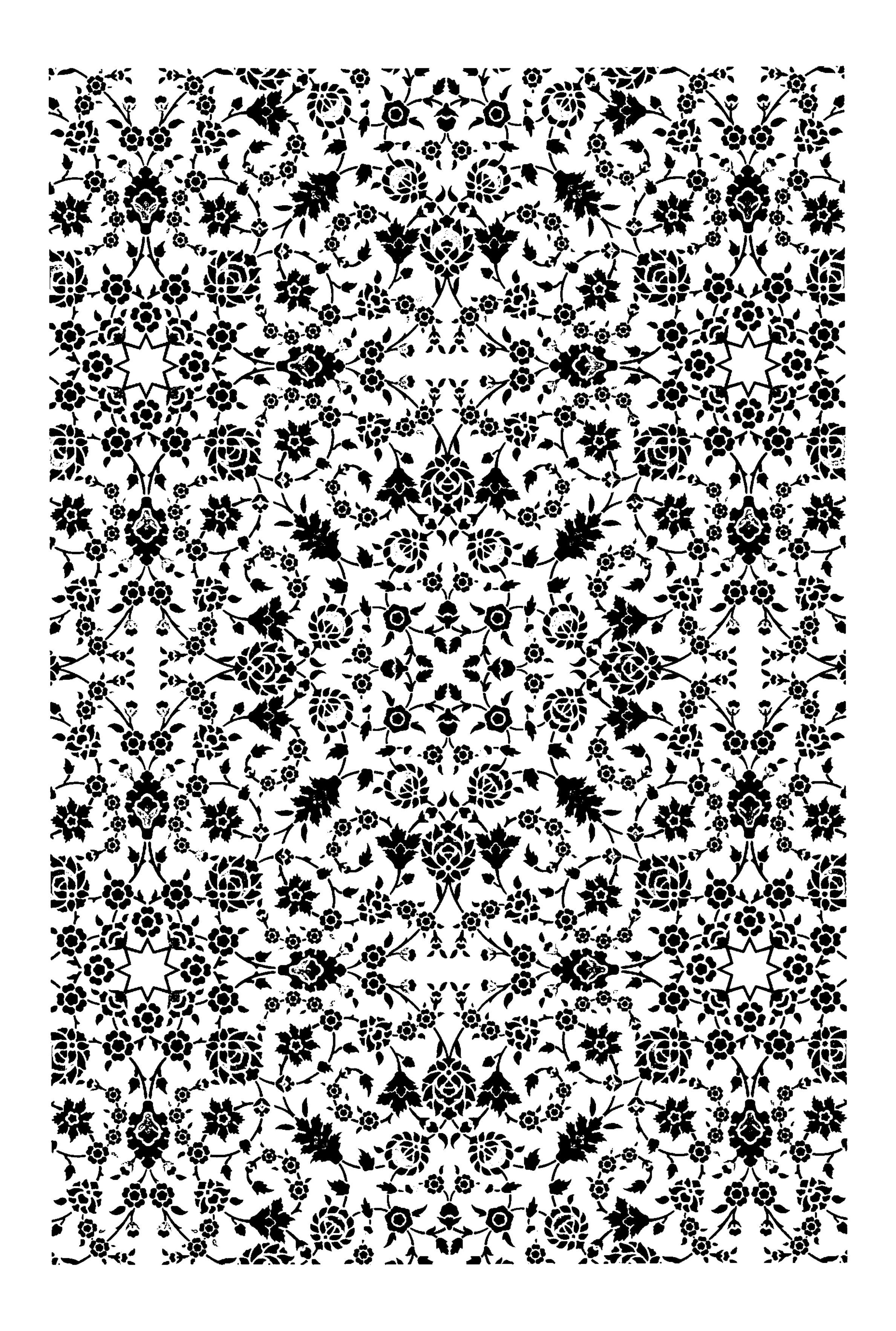
أولًا: لا شك أن للعلم خاصة النصوص من الآيات والأحاديث أثرًا كبيرًا في الوعي والتفكير، وردود الأفعال.

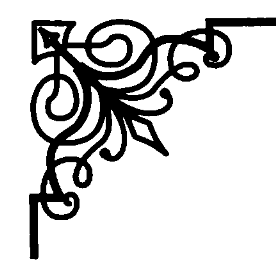
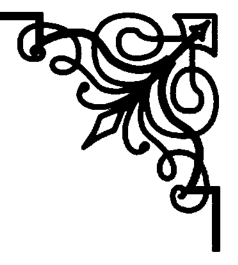
ثانيًا: القناعة والرضا، والحب الصادق والمتبادل بين الزوجيين.

ثالثًا: الاحترام المتبادل، والتوافق النفسي، ومراعاة المشاعر من أهم صفات عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كزوجة.

رابعًا: صفة الاعتذار الجميلة الملازمة لعائشـــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في كثير من جوانب حياتها، وطهارة قلبها، وسلامة صدرها، وعفوها الدائم.

خامسًا وأخيرًا: عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تتقن فن المبادرة بقلب المحنة منحةً، وفتح صفحة جديدة بعد أي مشكلة.



[٩]
عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أمًّا

أليس الحديث عن عائشـــة كأمّ مثير للدهشة! إذ الجميع يعلم أنها لم تلد للنبي ﷺ ولدًا قط!

ورغم تقديرنا واحترامنا للشـــعور لدى أيِّ امرأة أو زوجة لم تُنجب ولم يُولد لها ذرية، رغم بذلها لكلِّ الأسباب، وطرقها لكل الأبواب، إلا أني أجزم أنه لا يُمكن أن يقارن بشعور ومشاعر عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا التي لم تُنجب ذرية من أعظم الخلق، وأفضل النـــاس، ولله في ذلك حكمة، ولعل أيضًا فيه عزاء واطمئنان لكل امرأة لم تنجب ولم تُرزَق بالذرية، فعائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا صبـــرت ورضيت بقضاء الله وقدره، بل لم أقـــف على نصٍّ أنها رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا شكت، أو طلبت من النبيِّ ﷺ أن يدعو لها بالذرية؟!

وعاطفـــة الأمومة طبيعة لدى كل أنثى، بل إنها من أقوى الغرائز لدى المرأة السويَّة بإجماع العلماء؛ فكل امرأة تتوق إلى أن تكون أمًّا، وأن تكون لها ذرية.

ومن حكمة الله -تعالى- أن عاطفـــة الأمومة هذه تظهر لدى الفتاة

في الطفولة المبكرة جدًّا، منذ أن تبدأ تحتضن عرائســها وألعابها، وتعتني بها، ولعل الحكمة في هذا أنها تتهيأ وتستعد لدورها المستقبلي في الحياة، تشبع غريزتها الأمومية منذ الصغر، وهذا ما حصل مع عائشة بالفعل حيث كانت تلعــب بالعرائس في بيت أهلها، وظلت كذلك حتى لما انتقلت إلى بيت رسول الله ﷺ، بل وزُفَّت إليه ﷺ ولُعَبُهَا معها [١].

وكان -عليه الصلاة والســلام- يُقرّها كما فــي الصحيحين قالت: «كُنتُ أَلعَب بالبَنَات (أي: بالعرائس) عِنــد النبي ﷺ، وكَان لِي صَواحِبُ يَلعَبن مَعي، فكان رســول الله ﷺ إِذا دَخــل يَنقَمِعنَ مِنهُ (تعني: الهيبة من النبي ﷺ فيهربن)، فكان يُسربُهُنَّ إليَّ فَيلعَبن مَعي» [٢].

وروى الطبراني عن عائشة أنها قالت: «كَنّـاني النبيُّ ﷺ أمَّ عبد الله، ولم يكن لي ولد قط» [٣].

وقال ابن حجر: «لم تلد للنبي ﷺ شيئًا على الصواب» [٤].

ومن المعلوم أن مرحلة الحمل التي تُـتــوّج بالولادة تســتمر تسعة

(١) رواه مسلم في النكاح، باب تزويج الأب البكر الصغيرة (ح: ١٤٢٢).

(٢) رواه البخاري في الأدب، باب الانبساط إلى الناس (ح: ٦١٣٠)، ومسلم في فضائل الصحابة، باب في فضل عائشــة رضي الله عنها (ح: ٢٤٤٠). وقوله: (يسربهن إلي) أي: يرسلهن واحدة بعد أخرى. فتح الباري لابن حجر (١/ ١٣١).

(٣) رواه أحمد (ح: ٢٥١٨١)، والطبراني في المعجم الكبير (ح: ٣٤).

(٤) فتح الباري (٧/ ١٠٧).

أشــهر، لكن تربية المولود تســتمر مدى الحياة، لذا تقول العرب: «ليست الأم مَن تلدْ، بل مَن تُربي».

وهذا ما كان لعائشــة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، فعوَّضها الله بتربية وحنان لا يخطر على بال، فكانت أمًّا لا كالأمهات، نشأ على يديها صغار، فخرجتهم كبارًا جهابــذة، جمهرة من الأيتــام ومن الصغار، من الشــباب والفتيات كانت عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا لهم أمًّا رؤومًا حنونًا، وكانت مربية، فعُوضت عائشة أمومة الإنجاب بأمومــة الكفالة للأيتام، والرعاية لمجموعــة من أولاد أخواتها وإخوانهــا وممن حولها، رعاية وتربية، وخدمــة وتعليمًا، ربتهم في كنفها حتى صاروا علماء، رؤوسًا في زمنهم، ومن أشهر هؤلاء:

أ- عبد اللــه بــن الزبير: ابن أختها أســماء، ها هي تقــول: لَمَّا وُلِدَ عَبْدُ اللَّهِ بْــنُ الزُّبَيْرِ أَتَيْتُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ، فَتَفَلَ فِي فِيهِ، فَكَانَ أَوَّلَ شَــيْءٍ دَخَلَ جَوْفَهُ، وَقَالَ: «هُوَ عَبْدُ اللَّهِ، وَأَنْتِ أُمُّ عَبْدِ اللَّهِ» فَمَا زِلْتُ أُكَنَّى بها، وما وَلدت قط[1]. فكانت بالفعل أمًّا لعبد الله بن الزبير ابن أختها أســماء، تُوليه عناية خاصَّة، وكانت شــديدة الكَلَف به، والحب له، شب الغلام عبد الله حتى أصبح شهمًا بطلًا مقدامًا.

ب- وأختها الصغيرة أم كلثوم بنت أبي بكر: فقد مات أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وهي في بطن أمها، فأوصى عائشة عليها.

---

(١) رواه ابن حبان (ح: ٧١١٧)، وصححه الألباني.

ج- ولمـــا قُتل أخوها محمد بن أبي بكـــر في مصر، وكان له ولدان، ضمتهما عائشـــة إلى كفالتها، وشملتهما بحســـن الرعاية، قامت بتربيتهما وتنشئتهما أحســـن قيام، حتى أصبح أحدهما درة مضيئة في جبين الدهر، ألا وهو علامة التابعين، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة: القـاسم بن محمد بن أبي بكر الصديـق، هذا التابعيُّ الجليل بفضل الله، ثم بفضل تربية عمته له جمع المجدَ من أطرافه كله.

تأملوا كيف يصف صنيع أمه عائشـــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا معه ومع أخته، يقول القاسم: «فما رأيتُ والدةً قط، ولا والدًا أكثر منها برًّا، ولا أوفر منها شفقة، كانت تطعمني بيديهـــا، ولا تأكل معنا، فإذا بقي من طعامنا شـــيء أكلته، كانت تحنو علينا حنوَّ المرضعات، تغسل أجسادنا، تمشِّط شعورنا، تلبسنا الأبيضَ الناصعَ من الثيـــاب، كانت تحضُّنا على الخير، وكنا نتمرس على فعل الخير تحت يديها، كانت تنهانا عن الشـــرِّ، دأبت على تلقيننا ما نطيقه من كتاب الله تعالى، وتروي لنا ما نعقله من حديث رسول الله ﷺ، كانت تزيدنا برًّا، وتجملنا في العيدين، فإذا كانت عشيَّةُ عرفة حلقت لي شعري، وغسلتني أنا وأختي، فإذا أصبحنا ألبستنا الجديدَ، وبعثت بنا إلى المسجد النبوي لنؤدِّي صلاة العيد، فإذا عُدنا منه جمعتني أنا وأختي وضحَّت بين أيدينا..».

د- وأيضًا ضمَّتْ فـــي كفالتها تربية ابن أختها عروة بن الزبير الإمام القدوة.

هـ- ومسروق بن الأجدع، الإمام القُدوة العَلَم، كَفَلَتْه عائشةُ، فلازَمَها، وحمَل عنها علمها.

و- وممن ربتهم أيضًا: عمرة بنت عبد الرحمن الأنصاريَّة، الفقيهة، مربوبة عائشة، ضمَّتْها مع إخوتها وأخواتها.

إذًا كانت عائشة أمًّا لأمثال هؤلاء من الصغار، والأيتام، والأقارب، أمًّا لا كالأمهات، فريدة لا مثيل لها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرضاها، أمٌّ رغم أنها لم تنجب!، معادلة صعبة استطاعت بإيمانها ويقينها وذكائها أن تقلب المحنة منحة، وجعلت من الحرمان عطاء، تَبَنّت الصغار والأيتام ممن حولها، فبارك الله لها، ورفع شأنها بصبرها وشُكرها، فلم يُقعدها هذا الأمر حزينة منطوية تندب حظها، بل قلبت المعادلة، فوسّعت مساحة الأمومة بشمولية الفهم؛ فهي لم تلد؛ لكنها ربّت، فأحسنت التربية، فكانت أمًّا عظيمة قلّما جاد الزمان بمثلها، وهذا القول ليس من البلاغة، ولا من معسول الكلام؛ لكنه الوقائع! فقد رأيتم الأمثلة كيف خرّجت الأيتام كبارًا وعلماء وأفذاذًا، كانت عائشة أمًّا مثاليَّة لهؤلاء.

فيا كلَّ من تأخر في الإنجاب، أو لم تُرزق الذرية، انظروا إلى عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ كيف عَوضت فقدان الولد في صبرها ورضاها وتسلميها بقضاء الله، فلم يُروَ عنها قط أنها جزعت، أو أظهرت الحزن والأسف، أو ألحت على الرسول ﷺ أن يدعو لها ربه بأن يرزقها الذرية!، وهذا فيه درس عظيم، رائع لمن لم يُنجب من الرجال والنساء، فعائشة حبيبة حبيب الله ﷺ رغم هذه المكانة حُرمت من هذه النعمة؛ فصبرت، واحتسبت، وتَبَنّت وربَّت.

ثم أيضًا هي أمٌّ لأمة محمدﷺ، فقد جعلها الله أمًّا لمليارات من البشر بنص القــرآن: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ﴾ [الأحـزاب: ٦]، فكانت عائشة أمًّا لكل المؤمنين، وكانت سعيدة بهذه المنزلة وبهذا اللقب، فكان المســلمون جميعًا ينادونهــا بهذا النداء الجميل حتى كبار السن، كانوا يقصدونها في دارها ويدعونها: «يا أمه! يا أمه!»؛ كما في صحيح مســلم وغيره عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: «اسْتَأْذَنْتُ عَلَى عَائِشَةَ فَأُذِنَ لِي، فَقُلْتُ لَهَا: يَا أُمَّاهْ -أَوْ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ- إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْــأَلَكِ عَنْ شَيْءٍ وَإِنِّي أَسْتَحْيِيكِ! فَقَالَتْ: لاَ تَسْتَحْيِي أَنْ تَسْــأَلَنِي عَمَّا كُنْتَ سَائِلًا عَنْهُ أُمَّكَ الَّتِي وَلَدَتْكَ، فَإِنَّمَا أَنَا أُمُّكَ»[١].

إنها عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أمنا أم المؤمنين جميعًا بنصّ القرآن، فمن الذي لا يُحب أمَّه، فضلًا عن أن يتنقصها، أو يُســيء إليها، إن لها دورًا عظيمًا في حياتنا، يظهر ذلك من خلال ما روته لنا من أحاديث نبوية، خاصة في تلك الأمور المتعلِّقة بالمعاشرة والفراش، والتي لا يمكن أن يطلع عليها إلا هي أو أمثالهــا من أزواج النبي ﷺ، وقد روت عائشــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أكثر من ألفي حديث عن رسول ﷺ[٢].

أما المنافقون فليســت عائشــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لهم بأمٍّ، فقد رُوِيَ أنه قيل

(١) رواه مسلم في الحيض، باب نســخ الماء من الماء ووجوب الغسل بالتقاء الختانين (ح: ٣٤٩).

(٢) قال الذهبي في ســير أعلام النبلاء (٢/ ١٣٩): «مســند عائشــة يبلغ ألفين ومائتين وعشرة أحاديث».

لعائشة: «أَنَّ رَجُلًا قَالَ: إِنَّك لَسْـــتِ لَهُ بِأُمٍّ، فَقَالَتْ: صَدَقَ أَنَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَسْتُ بِأُمِّ الْمُنَافِقِينَ»[(١)]، ويكفينا تصريح النبي ﷺ على الملأ بحبّه عائشة، فقد أتاه عمرو بن العاص، فقال يا رسول الله: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «عَائِشَةُ»، فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ: «أَبُوهَا»[(٢)].

كَانَ المسْلِمُونَ يطلبون مرضاة النبي ﷺ بكل وسيلة، وتواتر بينهم حبه ﷺ لعَائِشَـــةَ، وكانوا إِذَا كَانَتْ عِنْدَ أَحَدِهِمْ هَدِيَّةٌ يُرِيدُ أَنْ يُهْدِيَهَا إِلَى رَسُـــولِ اللَّهِ، أَخَّرَهَا حَتَّى إِذَا كَانَ رَسُـــولُ اللَّهِ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ، بَعَثَ صَاحِبُ الهَدِيَّةِ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ وهو فِي بَيْتِ عَائِشَةَ، حتى دبت الغيرة في نفوس أزواج النبي ﷺ من حبه لعائشة، فطلبن من أم سَلَمَةَ أن تكلِّم رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ليكَلِّمُ النَّاسَ، بأن من أَرَادَ أَنْ يُهْدِيَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هَدِيَّةً، فَلْيُهْدِهِ إِلَيْهِ حَيْثُ كَانَ مِنْ بُيُوتِ نِسَائِهِ، فَكَلَّمَتْهُ أُمُّ سَـــلَمَةَ بِمَا قُلْنَ، فَلَمْ يَقُلْ لَهَا شَيْئًا، فَسَأَلْنَهَا، فَقَالَتْ: مَا قَالَ لِي شَيْئًا، فَقُلْنَ لَهَا، فَكَلِّمِيهِ قَالَتْ: فَكَلَّمَتْهُ حِينَ دَارَ إِلَيْهَا أَيْضًا، فَلَمْ يَقُلْ لَهَا شَيْئًا، فَسَأَلْنَهَا، فَقَالَتْ: مَا قَالَ لِي شَيْئًا، فَقُلْنَ لَهَا: كَلِّمِيهِ حَتَّى يُكَلِّمَكِ، فَدَارَ إِلَيْهَا فَكَلَّمَتْهُ، فَقَالَ لَهَا: «لاَ تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ؛ فَإِنَّ الوَحْيَ لَمْ يَأْتِنِي وَأَنَا فِي ثَوْبِ امْرَأَةٍ إِلَّا عَائِشَةَ»، فَقَالَتْ: أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مِنْ أَذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ[(٣)].

---

(١) الشريعة للآجري (٥/ ٢٣٩٤).

(٢) رواه البخـــاري في المغازي، باب غزوة ذات السلاســـل وهي غـــزوة لخم وجذام (ح:٤٣٥٨)، ومســـلم في فضائل الصحابة، باب مـــن فضائل أبي الصديق رضي الله عنه (ح: ٢٣٨٤).

(٣) رواه البخـــاري في الهبة وفضلهـــا والتحريض عليها، باب من أهـــدى إلى صاحبه وتحرى بعض نسائه دون بعض (ح: ٢٥٨١).

لم تيــأس زوجات النبــي ﷺ من تكــرار الأمر، بل أيضًــا طلبن من فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وأخبرنها بالأمر، فَاسْتَأْذَنَتْ فاطمة على رسول الله ﷺ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ مع عائشــة في مرطها، فَأَذِنَ لَهَا، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَزْوَاجَكَ أَرْسَلْنَنِي إِلَيْكَ يَسْأَلْنَكَ الْعَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ! فَقَالَ لَهَا ﷺ: «أَيْ بُنَيَّةُ أَلَسْتِ تُحِبِّينَ مَا أُحِبُّ؟»، فَقَالَتْ: بَلَى. قَالَ: «فَأَحِبِّي هَذِهِ»، فَرَجَعَتْ فاطمة إِلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَخْبَرَتْهُــنَّ بِالَّذِي قَالَتْ وَبِالَّذِي قَالَ لَهَا ﷺ، لكن الزوجات رأين أن فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لم تشف غيرتهن من عائشة، فَقُلْنَ لَهَا: مَا نُرَاكِ أَغْنَيْتِ عَنَّا مِنْ شَيْءٍ، فَارْجِعِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُولِي لَهُ: إِنَّ أَزْوَاجَكَ يَنْشُدْنَكَ الْعَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ: وَاللَّهِ لاَ أُكَلِّمُهُ فِيهَا أَبَدًا[1].

أبعــد كل هــذه المنزلة الإيمانيــة لأمِّنا عائشــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لا نحبها، أو نرضى لمختل أن يتهمها، أو أن يتنقصها، إن حب عائشــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من كمالات الإيمان، والتنقص منها مرض في القلب، ودخن وطعن في الدين، فنحب عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

أولًا: لحب الحبيب ﷺ لها، وهذا من كمال الدين، وحسن الإسلام.

وثانيًا: لأنها تســتحقّ فعلًا هذا الحب؛ لروعة شــخصيتها وعلمها، ورقي إيمانها وخلقها.

(١) رواه البخــاري في الهبة وفضلهــا والتحريض عليها، باب من أهــدى إلى صاحبه وتحرى بعض نســائه دون بعض (٢٥٨١)، ومسلم في فضائل الصحابة رضوان الله عليهم، باب فضل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ح: ٢٤٤٢).

ولعلي أختم بالسؤال التطبيقي:

عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لم تُرزق الذرية، فكيف استطاعت أن تكون أمًّا؟ بل وأمًّا مثاليَّة؟ فلا شك أن كلَّ امرأة وكل أمٍّ الآن تسأل: كيف أكون كعائشة أمًّا رائعة، أمًّا لا كالأمهات؟

الإجابة:

استطاعت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن تصنع المعجزة، فتكون أمًّا رائعة وهي لم تُنجب، وذلك بالآتي:

أولًا: الرضا بالقضاء بقناعة تامّة تامّة تامّة.

ثانيًا: كانت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا جادة وطموحة، فبحثت عن البدائل، وبذلت الأسباب، فنجحت نجاحًا أبهر العالم.

ثالثًا: لم تنظر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بعيدًا، وتبحث عن الأيتام في مشارق الأرض ومغاربها، بل نظرت حولها، فالأقربون أولى بالمعروف.

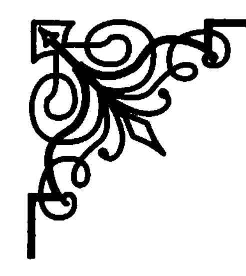
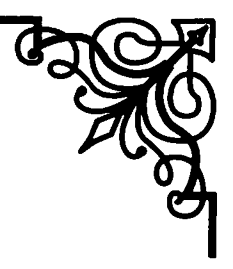
رابعًا: أعدي نفسك كأم، وجهزيها كأم، فالأم هي التي تربي لا التي تلد فقط!!

الأم مدرسة إذا أعددتها

أعددتَ شعبًا طيّبَ الأعراقِ[1]

(١) البيت لحافظ إبراهيم، انظر: ديوانه (ص:٢٨٢).

وأخيرًا: قامت أمنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بكل هذه الأعمال الجليلة: تقربًا إلى الله، معتمدة على المولى القدير، ثم على ثقتها بنفســـها، وقدرتها على تحمل المســـؤولية، فاســـتثمرت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مكامن الأمومة الكامنة، فملأته بالإرادة والحب والحنان، والتعليم والقدوة الحسنة.

[١٠]

حياء عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

نشأت عائشة في بيت أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومنذ وعت على الدنيا وأبواها مسلمان يتدينان بأخلاق الإسلام، ويتبعان حبيبها رسول الله ﷺ، فقد كان يزور بيتهم ليل نهـــار، كما قالت: «لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ، وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلَّا يَأْتِينَا فِيهِ رَسُـــولُ اللَّهِ ﷺ، طَرَفَيِ النَّهَارِ: بُكْرَةً وَعَشِيَّةً»(١) فكان لهذا أكبر الأثر في تأثرها بأخلاق حبيبها سيد الخلق ﷺ، وتـــم تأثرها به بانتقالها للعيش في بيته زوجة له ﷺ، فعائشـــة الحيِيّة نهلت من المكارم والفضائل، واقتبســـت من أنوار حبيبها ﷺ القائل: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ»(٢) والذي كان أشـــدَّ حياءً من العذراء في خِدرها(٣) صلوات الله وسلامه عليه.

---

(١) رواه البخاري في الصلاة، باب المســـجد يكون في الطريـــق من غير ضرر بالناس، (ح: ٤٧٦).

(٢) رواه أحمـــد (ح: ٨٩٥٢)، والبخـــاري فـــي الأدب المفـــرد (ح: ٢٧٣)، وصححه الألباني.

(٣) رواه البخاري في المناقب، باب صفة النبي ﷺ (ح: ٣٥٦٢)، ومسلم في الفضائل، باب كثرة حيائه ﷺ (ح: ٢٣٢٠).

فنشأت عائشـــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا صاحبة حياء شديد، وخلق عجيب، ولماذا نعجب؟ فقد تربت في حضنه ﷺ.

حليلـــةُ خيرِ الناسِ دينًـــا ومنصبًا
نبـــيِّ الهُـــدى والمَكرُمـــاتِ الفوَاضِلِ
مهذبـــةٌ قـــدْ طيـــبَ اللـــهُ خيَمَها
وطـــهَّـــرَها مـــن كـــلِّ ســـوءٍ وبـــاطـــلِ(١)

كانت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا رأسًا في مكارم الأخلاق، عنوانًا للوقار، حِلْيَة للحياء والكمـــال، قَالَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «مَا تَزَوَّجَنِي رَسُـــولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَتَاهُ جِبْرِيلُ بِصُورَتِي، وَقَالَ: هَذِهِ زَوْجَتُكَ، وَتَزَوَّجَنِي وَإِنِّي لَجَارِيَةٌ عَلَيَّ حَوْفٌ، [الْحَوْفُ: سُيُورٌ تَكُونُ فِي وَسَطِهَا]، فَلَمَّا تَزَوَّجَنِي أَلْقَى اللَّهُ عَلَيَّ حَيَاءً وَأَنَا صَغِيرَةٌ»(٢). يُؤكد هذا ما تقصه علينا الصحابية الجليلة أَسْـــمَاء بنت يزيد(٣) قَالَتْ: «كُنْتُ صَاحِبَةَ عَائِشَـــةَ الَّتِي هَيَّأَتها، وَأَدْخَلَتهَا عَلَى رَسُـــولِ اللَّهِ ﷺ، (يعني: في ليلة العرس)، تقول: وَمَعِي نِسْـــوَةٌ. فَمَا وَجَدْنَا عِنْدَهُ قِرًى (أي:

(١) البيتان لحســـان بن ثابـــت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. انظر: المعجم الكبيـــر للطبراني (٢٣/ ١١٦)، والكشـــف والبيان عن تفســـير القرآن للثعلبي (٧/ ٧٧)، فضل أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لابن عساكر (ص: ٤١)، حديث الإفك لعبد الغني المقدسي (ص:٣٧).

(٢) رواه الحاكم في المســـتدرك (ح: ٦٧٢٧) وقال: هذا حديث صحيح الإســـناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٣) الصحيح في راوية الحديث أنها أسماء بنت يزيد، وليست أسماء بنت عميس. ينظر: الحاشية التالية.

طعام) إِلاَّ قَدَحًا مِنْ لَبَنٍ، شَرِبَ مِنْهُ ﷺ ثُمَّ نَاوَلَهُ عَائِشَةَ، فَاسْتَحْيَتِ الْجَارِيَةُ. فَقُلْنَا لاَ تَرُدِّي يَدَ رَسُولِ اللَّهِ، خُذِي مِنْهُ. فَأَخَذَتْهُ عَلَى حَيَاءٍ فَشَرِبَتْ»[1]. فما أجلَّ الحياء! فالحياء كله خير، وهو رأس مكارم الأخلاق، وزينة الإيمان، بل هو شعار الإسلام؛ كما في الحديث: «**إن لكل دين خُلقًا، وخُلُقُ الإسلام الحياء**»[2]، فالحياء دليل على الخير.

حياؤك فاحفظه عليك فإنما
يدلُّ على فضل الكريم حياؤه
إذا قلَّ ماء الوجه قلَّ حياؤه
ولا خير في وجهٍ إذا قلَّ ماؤه[3]

ويقول النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه: «**الحياء لا يأتي إلا بخير**»[4]. ولقد بلغ الحياء عند عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مبلغًا لا يخطر على بال، فقالت: «كُنْتُ أَدْخُلُ بَيْتِي (أي: حجرتها) الَّذِى دُفِنَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

(١) رواه أحمد (٤٥/ ٤٦٤، ح: ٢٧٤٧١). ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٥١) وقال: «رواه أحمد، والطبراني في الكبير، وفيه أبو شداد، عن مجاهد روى عنه ابن جريج، ويونس بن يزيد، وبقية رجاله رجال الصحيح إلا أن أسماء بنت عميس كانت بأرض الحبشة مع زوجها جعفر حين تزوج النبي ﷺ عائشة، والصواب حديث أسماء بنت يزيد، والله أعلم».

(٢) رواه ابن ماجه في الزهد، باب الحياء (ح: ٤١٨١)، وحسنه الألباني.

(٣) ينظر: الفاضل للمبرد (ص: ٤٣)، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ٥٧).

(٤) رواه البخاري في الأدب، باب الحياء (ح: ٦١١٧)، ومسلم في الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها..(ح: ٣٧).

وَأَبِــي، قالت: فَأَضَعُ ثَوْبِي فَأَقُولُ: إِنَّمَا هُوَ زَوْجِــي وَأَبِي، قالت: فَلَمَّا دُفِنَ عُمَرُ بن الخطاب مَعَهُمْ فَوَاللَّهِ مَا دَخَلْتُ إِلَّا وَأَنَا مَشْدُودَةٌ عَلَيَّ ثِيَابِي (تعني مستترة) حَيَاءً مِنْ عُمَرَ»[1]. تستحيي من عمر بن الخطاب وهو مقبور ميت يغطيه التراب! أيُّ حياء هذا يا أم المؤمنين رضي الله عنك وأرضاك.

وفي رواية قالَتْ: «مَا زِلْتُ أَضَعُ خِمَارِي وَأَتَفَضَّلُ فِي ثِيَابِي فِي بَيْتِي حَتَّى دُفِنَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِيهِ، فَلَمْ أَزَلْ مُتَحَفِّظَةً فِي ثِيَابِي حَتَّى بَنَيْتُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْقُبُورِ جِدَارًا فَتَفَضَّلْتُ بَعْدُ»[2]. قال الزركشـــي: «قال شيخنا الحافظ عماد الدين بن كثير: ووجه هذا ما قاله شـــيخنا الإمام أبو الحجاج المزي: أن الشهداء كالأحياء في قبورهم، وهذه أرفع درجة فيهم»[3].

مـــا أجملها مـــن رســـالة جميلـــة، ودرس مؤثـــر في الحيـــاء من عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وخاصة لمعاشر النســـاء، فأمنا تستحي حتى من الميِّت! فرضي الله عنها وأرضاها.

ومـــن جميل حيـــاء عائشـــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: تواضعها العجيـــب، فكانت لا ترى نفســـها شيئًا - وهيَ مَن هيَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا! - فقد قالت في حادثة الإفك المشـــهورة: «وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي حِينَئِذٍ بَرِيئَةٌ، وَأَنَّ اللَّـــهَ مُبَرِّئِي بِبَرَاءَتِي، وَلَكِنْ

---

(١) رواه أحمـــد (ح: ٢٥٦٦٠)، والحاكـــم فـــي المســـتدرك (ح: ٤٤٠٢)، وقال: هذا حديث صحيح على شـــرط الشيخين ولم يخرجاه. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٦): رجاله رجال الصحيح.

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ٢٧٧)، وابن شبة في تاريخ المدينة (٣/ ٩٤٥).

(٣) الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة (ص: ٥٠).

وَاللَّهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ مُنْزِلٌ فِي شَـأْنِي وَحْيًا يُتْلَى، لَشَأْنِي فِي نَفْسِي كَانَ أَحْقَرَ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ فِيَّ بِأَمْرٍ، وَلَكِنْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللَّهُ بِهَـا..»[1]. وهذا من حيائها، ومن قمة تواضعها، لكن الله -سبحانه وتعالى- العالم بما في النفوس عظّمها وزكاها، فأنزل فيها آيات تتلى إلى يوم القيامة، وهي - والله - أهل لذلك.

ولما استأذن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا على عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وهي على فراش الموت، لم تأذن له، قالت: أخشى أن يُثني عليّ. فقيل لها: ابن عم رسول الله؛ ووجيه من وجوه المسلمين، حتى أذنت له؛ فقال ابن عباس: كيف تجدينك؟ قالت: بخير إن اتَّقيتُ، قال: فأنت بخير إن شاء الله، زوجةُ رسول الله، ولم يتزوج بكرًا غيرك، ونزل عذرك من السماء؛ ثم أخذ يعدد فضائل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فالتفتت إليه عائشة وقالت: دعني عنك يا ابن عباس، والله وددت أني كنت نسيًا منسيًّا[2].

وكانت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تقول: «يَا لَيْتَنِي كُنْتُ نَبَاتًا مِنْ نَبَاتِ الأَرْضِ وَلَمْ أَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا»[3].

رضي الله عنك! حياء، وتواضع، وافتقار إلى الله تعالى، رغم علمها أن النبي ﷺ بشَّرها بأنها زوجته في الدنيا والآخرة، فهي بشارة لها بأنها

(١) رواه البخاري في المغازي، باب حديث الإفك (ح: ٤١٤١).

(٢) رواه البخاري في تفسير القرآن، باب ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾ [النور: ١٢] (ح: ٤٧٥٣).

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد (٨/ ٦٠).

من أهل الجنة، ومع ذلك تقول ما تقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، يا الله! ما أروع هذه النفوس؟! ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴾ [الشمس: ٩].

ومن عظيم حياء عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها كانت لا تواجه الرجال بشيء فيه حرج؛ مع عظم مكانتها عند المسلمين جميعًا، فهي أمهم، بل كانت تُعلم النساء، وتأمرهن أن يرشدوا الأزواج في أمر كانت تستحي التوجيه فيه للرجال، فتروي لنا تلميذتها النجيبة مُعَاذَة الْعَدَوِيَّة قائلةً: قَالَتْ لَنَا عَائِشَةُ: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، مُرْنَ أَزْوَاجَكُنَّ أَنْ يَغْسِلُوا عَنْهُمْ أَثَرَ الْبَوْلِ وَالْغَائِطِ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَغْسِلُ عَنْهُ أَثَرَ الْبَوْلِ وَالْغَائِطِ، وَأَنَا أَسْتَحِي أَنْ أَقُولَهُ لَهُمْ»[١].

وقد كانت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تطوف بالكعبة بعيدة عن الرجال لا تخالطهم، فقالت لها امرأة: انطلقي يا أم المؤمنين نستلم الحجر، فقالت: إليك عني، وأبت[٢].

وقالت لها مولاة لها: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ طُفْتُ بِالْبَيْتِ سَبْعًا، وَاسْتَلَمْتُ الرُّكْنَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا، فَقَالَتْ لَهَا عَائِشَةُ: لاَ آجَرَكِ اللَّهُ.. لاَ آجَرَكِ اللَّهُ تُدَافِعِينَ الرِّجَالَ! أَلاَ كَبَّرْتِ ومررت[٣]. كأنها تقول: تكبيرك مرورًا خير لك

(١) رواه الترمذي في الطهارة، باب الاستنجاء بالماء (ح: ١٩)، وقال: هذا حديث حسن صحيح. والطبراني في الأوسط (ح: ٤٨٥٣) واللفظ له. وصححه الألباني. انظر: إرواء الغليل (ح: ٤٢).

(٢) رواه بنحوه البخاري في الحج، باب طواف النساء مع الرجال (ح: ١٦١٨).

(٣) رواه مسلم في الحيض، باب استحباب استعمال المغتسلة من الحيض فرصة من مسك في موضع الدم (ح: ٣٣٢)، وأبو داود في الطهارة، باب الاغتسال من الحيض (ح: ٣١٦).

من أن تذهبي لتقبلي الحجر، أو تمسي الركن، وتزاحمي الرجال.

يَعِيشُ المَرْءُ ما استحيَا بِخَيرٍ
ويبقى العودُ ما بقيَ اللحاءُ
فلا واللهِ ما في العيشِ خيرٌ
ولا الدُّنيا إذا ذَهبَ الحَياءُ
إذا لم تخشَ عاقبةَ الليالي
ولَمْ تستَحِ فافعَلْ ما تَشاءُ[1]

ورغم أن الحياء صفة ملازمة للفتاة والمرأة، إلا أنه لا يعني ضعفها، ولا يعني عدم المطالبة بحقوقها، أو عدم تفوقها ومبارزتها الرجال بالخيرات والإبداع والتفوق، فالحياء لا يمنع الخير، بل هو يأتي بكل خير، فالإسلام وضع الحياء للمرأة في مواضعه إذا نحن طبقناه تطبيقًا صحيحًا، فلن يكون عائقًا أبدًا، ولن يسبب حرجًا لصاحبه، فا نظروا كيف عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؟ وكيف وجاهتها؟ وكيف علمها؟ وكيف قدرها؟ وكيف مكانتها؟ ثم ها هي تقول: «نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الْأَنْصَارِ، لَمْ يَكُنْ يَمْنَعُهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَسْأَلْنَ عَنِ الدِّينِ، وَيَتَفَقَّهْنَ فِيهِ»[2]، فالحياء لا يمنع المرأة أن تتفقه في دينها.

(١) البيتان ينسبان لرجل من خزاعة. انظر: مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا (ص: ٤٠)، وروضة العقلاء (ص: ٥٧).

(٢) رواه مسلم في الحيض، باب استحباب استعمال المغتسلة من الحيض فرصة من مسك في موضع الدم (ح: ٣٣٢)، وابن عبد البر -واللفظ له- في جامع بيان العلم وفضله (١/ ٣٧٥).

وقد بيّنت عائشـــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن الحياء لا يمنع مـــن بيان الأمور التي يحتاجهـــا الناس عند الحاجة للبيان، فما منعهـــا الحياء وهي تروي «كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحد ونحن جنبان»[1].

وأيضًا ذات مرة نَزَلَ بِعَائِشَـــةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ضَيْفٌ، فَأَمَرَتْ لَهُ بِمِلْحَفَةٍ لَهَا صَفْرَاءَ، فَنَامَ فِيهَا فَاحْتَلَمَ، اسْتَحَى أَنْ يُرْسِلَ بِهَا، وَفِيهَا أَثَرُ الِاحْتِلَامِ؛ فَغَمَسَهَا فِي الْمَاءِ ثُمَّ أَرْسَلَ بِهَا. فَقَالَتْ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «لِمَ أَفْسَدَ عَلَيْنَا ثَوْبَنَا، إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيهِ أَنْ يَفْرُكَهُ بِأَصَابِعِهِ، لَرُبَّمَا فَرَكْتُهُ مِنْ ثَوْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِأَصَابِعِي»[2].

هذا هو الفقه الجميل الذي علينا أن نتنبه له، فالحياء الشرعي لا يمنع من بيان الحق، والتفقه في الدين، فلا يصح أن تُظلم المرأة وتبخس حقوقها باسم الحياء، أو ألا تطالب بحقها حياءً، بل لها أن تطالب بحقها، لكن كيف تطالـــب؟ هنا يأتي دور الحياء، فلها أن تطالب، وأن تبذل الأســـباب، وأن تتفوق علـــى الرجال، وتبزهم في كثير من المواضـــع، وهي متحلية بخلق الحيـــاء في هـــذه الأحوال كلها، كمـــا كانت تفعل أمنا عائشـــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ولا شيء يمنعها من ذلك، لا يمكن أبدًا أن يمنعها الحياء الشرعي مِن تفوق وإبداع وتميز وعَمَل خير لا مخالفة للشرع فيه، فالحياء الشرعي له مكانه،

(١) رواه البخاري في الحيض، باب مباشـــرة الحائض (ح: ٢٩٩)، ومسلم في الحيض، باب القدر المســـتحب من الماء في غسل الجنابة، وغســـل الرجل والمرأة في إناء واحد في حالة واحدة، وغسل أحدهما بفضل الآخر (ح: ٣٢١).

(٢) رواه الترمـــذي في الطهارة، باب في المني يصيب الثوب (ح: ١١٦)، وابن ماجه في الطهارة وسننها، باب في فرك المني من الثوب (ح: ٥٣٨)، وصححه الألباني.

بل كانت عائشة تشرح للنســاء اللاتي يسألن الرسول ﷺ إذا استلزم الأمر ذلك؛ ففي الصحيحين عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ امْرَأَةً سَأَلَتِ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ غُسْلِهَا مِنَ المَحِيضِ، فَأَمَرَهَا كَيْفَ تَغْتَسِلُ، قَالَ: «خُذِي فِرْصَةً (أي: قطعة) مِنْ مَسْكٍ، فَتَطَهَّرِي بِهَا» قَالَتْ: كَيْفَ أَتطَهَّرُ؟ قَالَ: «تَطَهَّرِي بِهَا»، قَالَتْ: كَيْفَ؟، قَالَ: «سُــبْحَانَ اللَّهِ، تَطَهَّرِي» فإذا بعائشــة تتدخل بعد أن عرفت مراد النبي ﷺ قالت: فَاجْتَبَذْتُهَا إِلَيَّ، فَقُلْتُ: «تَتَبَّعِي بِهَا أَثَرَ الدَّمِ»(١).

لم يمنعها الحياء من البيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرضاها، بل دفعها الحياء للبيان بدلًا من رسول الله ﷺ؛ رفعًا للحرج عن رسول الله ﷺ وعن المرأة أيضًا.

حَصَــانٌ رَزانٌ ما تُــزنُّ بريبةٍ
وتُصْبِــحُ غَرْثَــى من لحــومِ الغوَافِلِ(٢)

رضي الله تعالى عن عائشــة وأرضاها، هكذا كان حياؤها لا يمنعها من بيان الحق، وأداء دورها، وتبليغ الشرع، والدعوة إلى الله، وهي في كل ذلك حييّة محتشمة.

---

(١) رواه البخاري في الحيض باب دلك المرأة نفســها إذا تطهرت من المحيض، وكيف تغتســل، وتأخذ فرصة ممسكة، فتتبع أثر الدم (ح: ٣١٤)، ومسلم في الحيض، باب استحباب استعمال المغتسلة من الحيض فرصة (ح: ٣٣٢).

(٢) صحيح البخــاري (٥/ ١٢١) معنى (حصان): عفيفة تمتنع من الرجال غير زوجها. (رزان): صاحبــة وقار. وقيل: قليلة الحركة. (تُزن) تُتهــم. (بريبة): بتهمة. (غرثى) جائعة، أي: لا تغتاب الناس فتشبع من لحومهم. (الغوافل) العفيفات الغافلات عن الشر والفجور.

لعلِّي - كالعادة - ألخص الموضوع بسؤال تطبيقي سريع:

كيف استطاعت عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا أن تَجمع بين الحياء وبين شهرتها وتفوقها والمطالبة بحقوقها، بل بما وصلت إليه من مكانة عظيمة؟

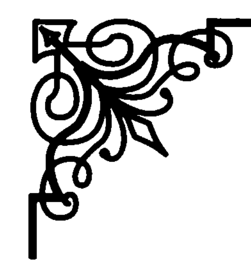
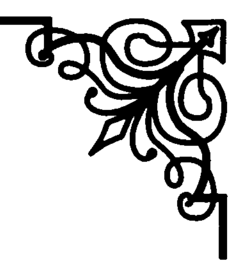
الإجابة:

أولًا: تأكدي أن الحياء والستر وخفض الصوت للمرأة كعبادات شرعية، لا تُعارض أبدًا بذلَ الأسباب، وطرق الأبواب؛ للتفوق والإبداع، والمطالبة بحقوقك، أو رفع الظلم عنك.

ثانيًا: كانت عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا تُكثر الأسئلة، وتراجع، وتحاور، وتناقش الآخرين، لكنها كانت فعلًا قد تحصنت بالعلم وبالأدب، وبالحياء وبالإيمان رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا.

ثالثًا: كانت عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا تُدرك بفقهها الفرق بين مسائل الدين التي لا حياء فيها، ومسائل دنيوية واجتماعية خيرٌ للمرأة الحياء فيها أن لا ترى الرجال ولا يروها.

رابعًا: الضابط في التعامل مع الناس: مراقبة الله، والخوف منه، لا مراقبة الناس، ولا الخوف منهم، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝٨﴾ [المائدة: ٨].

[١١]

عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا والإفك

أصعب وأثقل وأخطر شيء على الإنسان الطعن في شرفه، وعرضه.

وعندما يكون المتهم فتاة؛ فالأمر أصعب، وأقسى عليها، وعلى كل المحيطين بها.

وعندما يكون المتَّهم وجيهًا، وذا سيادة ومكانة وشهرة، وذا حسب ونسب، يكون الأمر طامَّة ومصيبة، فكيف إذا كان الاتهام لزوجة أعظم الأنبياء، وأشرف الشرفاء، ولأطهر بيت عرفته الدنيا بأسرها؟!

فلنترك الحديث لصاحبة القصة نفسها ترويها بكل أحاسيسها وآلامها، تتحدث وبراكين الآلام تتفجر من دواخلها، تروي خبرها ونياط القلب تتقطع ألَمًا، خاصة إذا كانت المتحدثة فتاة صغيرة السنِّ، لا يتجاوز عمرها الخمس عشرة سنة، وذات مكانة وقدر وشرف في قومها، فهنا ستقع الكلمات في سويداء القلب، وستمطر الدموع والآهات والهموم، لأجل ذلك سأترك عائشة بنفسها تروي خبرها، وتحكي حكاية الإفك الحزينة، آلام عائشة، دموعها، أحزانها، قصة تفيض بالمشاعر الصادقة من

في فتاة مظلومة صغيرة طاهرة، تحس -والله- بحرارة كلماتها الصادقة، تشعر بالحروف تتألم وتتوجع معها، إنها أنين مظلوم، وكلمات متوجع مقهور، آهٍ، ما أشدَّ لوعة المظلوم والمطعون، لاشك أنكم بشوق لسماع حديثها، والذي نقله أصح كتاب على وجه الأرض بعد كتاب الله، صحيح البخاري، فدعونا نستمع ونصغي لعائشة، تقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

«كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ أَزْوَاجِهِ؛ أَيُّهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَهُ، فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا فَخَرَجَ فِيهَا سَهْمِي؛ فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ مَا أُنْزِلَ الْحِجَابُ. فَكُنْتُ أُحْمَلُ فِي هَوْدَجِي، وَأُنْزَلُ فِيهِ، فَسِرْنَا حَتَّى إِذَا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ غَزْوَتِهِ تِلْكَ وَقَفَلَ[1]، دَنَوْنَا مِنْ الْمَدِينَةِ قَافِلِينَ، آذَنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ؛ فَقُمْتُ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ، فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الْجَيْشَ، فَلَمَّا قَضَيْتُ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَى رَحْلِي فَلَمَسْتُ صَدْرِي فَإِذَا عِقْدٌ لِي مِنْ جَزْعِ ظَفَارِ قَدِ انْقَطَعَ».

تقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «رَجَعْتُ فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي، فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ. قَالَتْ: وَأَقْبَلَ الرَّهْطُ الَّذِينَ كَانُوا يُرَحِّلُونِي، فَاحْتَمَلُوا هَوْدَجِي فَرَحَّلُوهُ عَلَى بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ أَرْكَبُ عَلَيْهِ، هُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ، وَكَانَ النِّسَاءُ إذ ذَاكَ خِفَافًا، (أي: لم يَثْقُلْنَ بِاللَّحْمِ) إِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعُلْقَةَ (أي: الْقَلِيل) مِنْ الطَّعَامِ، لَمْ يَسْتَنْكِرْ الْقَوْمُ خِفَّةَ الْهَوْدَجِ حِينَ رَفَعُوهُ وَحَمَلُوهُ، وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ

(١) أي: رجع. والقفول: الرجوع من السفر. انظر: مجمل اللغة (ص: ٧٦٢)، والنهاية في غريب الحديث (٤/ ٩٣).

السِّنِّ، فَبَعَثُوا الْجَمَلَ فَسَارُوا».

تقــول: «وَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَ مَا اسْــتَمَرَّ الْجَيْشُ، فَجِئْــتُ مَنَازِلَهُمْ وَلَيْسَ بِهَا مِنْهُمْ دَاعٍ وَلَا مُجِيبٌ، تَيَمَّمْتُ مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ بِهِ، وَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ سَيَفْقِدُونِي، فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ فِي مَنْزِلِي غَلَبَتْنِي عَيْنِي فَنِمْتُ».

تقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ؛ فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي، فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ، فَعَرَفَنِي حِينَ رَآنِي».

تقول: «كَانَ رَآنِي قَبْلَ الْحِجَابِ، فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرَفَنِي، فَخَمَّرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي، وَوَاللَّهِ مَا تَكَلَّمْنَا بِكَلِمَةٍ، وَلَا سَــمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْــتِرْجَاعِهِ، وَهَوَى حَتَّى أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ، فَوَطِئَ عَلَى يَدِهَا، فَقُمْتُ إِلَيْهَا فَرَكِبْتُهَــا، فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِــي الرَّاحِلَةَ، حَتَّى أَتَيْنَا الْجَيْــشَ مُوغِرِينَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ (أي: شدة الحر) وَهُمْ نُزُولٌ.

قَالَتْ: فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى الإِفْكَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُبَيٍّ ابْنَ سَلُولَ، فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ، فَاشْــتَكَيْتُ حِينَ قَدِمْتُ شَهْرًا وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ فِي قَوْلِ أَصْحَابِ الْإِفْكِ...، ولَا أَعْرِفُ مِنْ رَسُــولِ اللَّهِ ﷺ اللُّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَشْــتَكِي...، خَرَجْتُ مَعَ أُمِّ مِسْــطَحٍ قِبَلَ الْمَنَاصِعِ[1]، وَكَانَ

(١) المناصــع: هي المواضع التي يتخلى فيها لقضاء الحاجة، واحدها: منصع؛ لأنه يبرز إليهــا ويظهر. قال الأزهــري: أراها مواضع مخصوصة خــارج المدينة. النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٦٥).

مُتبَرَّزَنَا...فَأَخْبَرَتْنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ، فَازْدَدْتُ مَرَضًا عَلَى مَرَضِي، فأتيت رســـول الله ﷺ فَقُلْتُ لَهُ: أَتَأْذَنُ لِي أَنْ آتِيَ أَبَوَيَّ؟ قَالَتْ: وَأُرِيدُ أَنْ أَسْتَيْقِنَ الْخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا، قَالَتْ: فَأَذِنَ لِي رَسُولُ اللَّهِ (قالت: فذهبت) فَقُلْتُ لِأُمِّي: يَا أُمَّتَاهُ! مَاذَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ؟

(تأملوا كيف كانت إجابة أمها؟ وردة الفعل عندها؟)

قَالَتْ: يَا بُنَيَّةُ هَوِّنِي عَلَيْـــكِ، فَوَاللَّهِ لَقَلَّمَا كَانَتْ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةٌ عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا لَهَا ضَرَائِرُ إِلَّا كَثَّرْنَ عَلَيْهَا.

قَالَتْ: سُبْحَانَ اللَّهِ! أَوَ قَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهَذَا؟!

قَالَتْ: فَبَكَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، حَتَّى أَصْبَحْتُ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ، وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ أَبْكِي، فَبَكَيْتُ يَوْمِي ذَلِكَ كُلَّهُ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ، وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ.

قَالَتْ: وَأَصْبَـــحَ أَبَوَايَ عِنْدِي، وَقَدْ بَكَيْتُ لَيْلَتَيْـــنِ وَيَوْمًا، لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ، وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، حَتَّى إِنِّي لَأَظُنُّ أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقٌ كَبِدِي!!

تقول: فَبَيْنَا أَبَوَايَ جَالِسَانِ عِنْدِي وَأَنَا أَبْكِي، اسْتَأْذَنَتْ عَلَيَّ امْرَأَةٌ مِنْ الْأَنْصَارِ، فَأَذِنْتُ لَهَا، فَجَلَسَتْ تَبْكِي مَعِي.

قَالَتْ: فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْنَا فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ. قَالَتْ: وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مُنْذُ قِيلَ مَا قِيلَ قَبْلَهَا وَقَدْ لَبِثَ شَهْرًا لَا يُوحَى إِلَيْهِ

فِي شَأْنِي شَيْءٍ.

قَالَتْ: فَتَشَهَّدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ جَلَسَ ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ: يَا عَائِشَةُ! إِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللَّهُ، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ؛ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ».

قَالَتْ: فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَالَتَهُ، قَلَصَ دَمْعِي حَتَّى مَا أُحِسُّ مِنْهُ قَطْرَةً، فَقُلْتُ لِأَبِي: أَجِبْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِّي فِيمَا قَالَ! فَقَالَ أَبِي: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ.

تقول: فالتفت لأمي فَقُلْتُ لِأُمِّي: أَجِيبِي رَسُولَ اللَّهِ فِيمَا قَالَ!

قَالَتْ: فقالت أُمِّي: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ.

قالت: فَقُلْتُ - وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ لَا أَقْرَأُ مِنْ الْقُرْآنِ كَثِيرًا -: إِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ، أنكم سَمِعْتُمْ هَذَا الْحَدِيثَ حَتَّى اسْتَقَرَّ فِي أَنْفُسِكُمْ، وَصَدَّقْتُمْ بِهِ، فَلَئِنْ قُلْتُ لَكُمْ: إِنِّي بَرِيئَةٌ، لَا تُصَدِّقُونِي، وَلَئِنْ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي مِنْهُ بَرِيئَةٌ لَتُصَدِّقُنِّي، فَوَاللَّهِ لَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا إِلَّا أَبَا يُوسُفَ (وذَهَلَتْ عن اسم يعقوب -عليه السلام- من فرط ما بها من الغمّ) حِينَ قَالَ: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ۝﴾ [يوسف: ١٨].

تقول: ثُمَّ تَحَوَّلْتُ، وَاضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِي، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي حِينَئِذٍ بَرِيئَةٌ، وَأَنَّ اللَّهَ مُبَرِّئِي بِبَرَاءَتِي، وَلَكِنْ وَاللَّهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ مُنْزِلٌ فِي

شَأْنِي وَحْيًا يُتْلَى، لَشَأْنِي فِي نَفْسِي كَانَ أَحْقَرَ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ فِيَّ بِأَمْرٍ، لَكِنْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللَّهُ بِهَا، فَوَاللَّهِ مَا رَامَ رَسُـــولُ اللَّهِ مَجْلِسَهُ (أَيْ: مَا قام ولا فَارَق مجلسه)، وَلَا خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ حَتَّى أُنْزِلَ عَلَيْهِ، أَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنْ الْبُرَحَاءِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِنْ الْعَرَقِ مِثْلُ الْجُمَانِ (أي: حَبَّاتِ اللُّؤْلُؤ فِي الصَّفَاء وَالْحُسْن، انظر كيف تصف حال العرق من حبيبها ﷺ! رغم أنها في موقفٍ هي تجد عليه شيئـًا!) تقول: فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت، فوالله ما فزعت وما باليت، قد عرفت أني بريئة، (لأنها واثقة من نفســـها) وأن الله غير ظالمي، وأمَّا أبواي فوالذي نفس عائشة بيده، ما سُرِّيَ عن رسول الله ﷺ، حتى ظننت لتخرجن أنفسهما، فرقًا (أي: خوفًا) من أن يأتي من الله تحقيق ما قال الناس. (يا الله كيف حال عائشة؟ وكيف حال مشاعرها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرضاها).

قَالَتْ: فَسُرِّيَ عَنْ رَسُـــولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَتْ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ! أَمَّا اللَّهُ فَقَدْ بَرَّأَكِ» قَالَتْ: فَقَالَتْ لِي أُمِّي: قُومِي إِلَيْـــهِ. فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَقُومُ إِلَيْهِ. قَالَـــتْ: وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ﴾ [النور: ١١]، الْعَشْرَ الْآيَاتِ فِي سورة النور»[1].

هكذا روت عائشـــة المبرأة من فوق سبع سماوات قصة الألم، التي لا يتمالك السامع نفسه عند ســـماعها رغم طول السنين فكيف بمن عاش

(١) رواه البخاري في المغازي (ح: ٤١٤١)، ومســـلم في التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف (ح: ٢٧٧٠).

أحداثها، وتوجع لأوجاعها؟!

العجب أن يأتي بعد كل هذا من يُقلب الأوجاع في مثل هذا الزمان، ويتنقص من عائشة رَضِيَاللَّهُعَنْهَا التي برأتها الآيات، والأحاديث الصحيحة الثابتة؟!

يا الله، عجبًا لهؤلاء المكذبين لرب العالمين في تبرئته لعائشة رَضِيَاللَّهُعَنْهَا بنص القرآن، والمكذبين لرسول الله ﷺ في إخباره بذلك! لكن لله حكمة، إي والله لله حكمة في أن تُثار التهمة، وتكرر ويُتنقص من عائشة في مثل هذا العصر؛ ليتذكر المسلمون آلام أمهم أم المؤمنين كلما انغمسوا في دنياهم ونسوها، ولتعاد مآثرها كما نسمع اليوم، ويُذكر العالَم بفضائلها، وليَترضى عنها ملايين البشر، ملايين أمام حفنة لا تُذكر من حزب الشيطان ممن تَنقّصها، وأساء إليها، فطبتِ يا عائشة حيةً، وطبت مَيتةً، ورضي الله عنك وأرضاك.

السؤال التطبيقي:

كيف نستفيد من حادثة الإفك في حياتنا؟

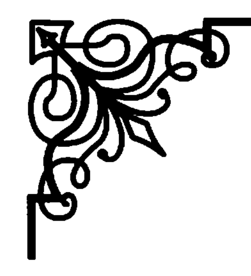
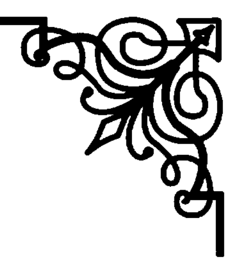
الإجابة:

أولًا: ضرورة مجاهدة النفس في التثبت عند سماع الأخبار خاصة فيما يتعلق بأعراض الناس، والإمساك عن نقلها مهما كانت التبريرات، ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ۝﴾ [النور: ١٥].

ثانيًا: تذكر دومًا شدَّة وقْع الظُّلْم على النفوس البريئة، فعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تقول: «فظللت ثلاثة أيام، لا يرقَأُ لي دَمْعٌ، ولا أكْتحل بنوم، ولا يغمض لي جفنٌ، حتى ظننت أن كبدي ستنْفطِرُ من شدة البكاء».

ثالثًا: جرت ســنة الله فــي خلقه أن الأخيار يُبتلوْن بالأشــرار، لكن النصر فــي النهاية يكون لمن احتســب وصبَر. وقد توعَّــد الله الظالمين بالعقاب الشديد في الدنيا والآخرة.

رابعًا: الثقة بوعد الله بأنه لا يصلح عمل المفسدين، وأنه لا بدَّ مُبرئ المظلوم الصابر المحتسب.

[١٢]
عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ودروس الإفك

في قصة الإفك مـــن الدروس والعبر ما يجعلنـــا نقف معها وقفات ووقفات، نستنبط منها الدروس والعبر، نستخرج منها -بل من رحم الشرِّ- الفوائد والفرائد والمجوهرات، بعد أن سمعنا القصة من فم صاحبتها، وقد سردت لنا عائشة الموقف بكل آلامها وأحزانها، وبدقة متناهية، وظهر من خلاله وفور عقل عائشـــة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وذكاؤها، وســـرعة بديهتها، بل عظم ثقتها بربها، رغم أنها الفتاة الصغيرة ذات الأربعة عشر عامًا، أقل من خمس عشـــرة ســـنة تُرمى في عرضها، وهي الطاهرة العفيفة النقية، صديقة بنت صديق، تربت في عائلة لها سمعتها الطيبة حتى أيام الجاهلية.

ســـبحان الله! لحكمة عظيمة عجيبة! قدَّر الإفـــك على هؤلاء؛ نبي كريـــم، طاهرة عفيفة، صِدّيقٌ ذو نســـب ومكانة، يُرمى هؤلاء الشـــرفاء في أغلى ما يَعتز به أي عربي فضلًا عن أي مسلم، فضلًا عن هؤلاء القمم، حتى بلغ الألم بأبي بكر مبلغه، فيقول بمنتهى الحسرة والألم والمرارة: «والله ما رُمينا بهذا في الجاهلية أفنرضى به في الإســـلام!»، فكان ذلك من تدبير ربنا ســـبحانه، ولحكمته العظيمة؛ حيث جعلها رفعة لهم، وأي رفعةٍ بعد الذكر

في قرآن يتلى إلى يوم القيامة! فقد كان الردّ قويًّا مدويًّا، سماويًّا ربانيًّا؛ نظرًا لعظم الجريمة، سطرها القرآن في عشر آيات متتاليات كريمات، نزلت بتبرئة الطاهرة الحبيبة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وعن أبيها بتزكيتها من فوق سبع سماوات، سبحان الله! هكذا يولد الخير أحيانًا من رحم الشرِّ:

وإذا أرادَ اللــهُ نَشْــرَ فَضيــلةٍ
طُويــتْ أتــاحَ لهــا لِسَــانَ حَسُــودِ[1]

ومن عِظم هــذه المحنة أن كان ممن تورط في القيل والقال، وإذاعة الإفك ونشــره بعض المســلمين، قَالَ عُرْوَةُ: لَمْ يُسَــمَّ مِنْ أَهْلِ الْإِفْكِ إِلَّا حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ، وَمِسْــطَحُ بْنُ أُثَاثَةَ، وَحَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ، فِي نَاسٍ آخَرِينَ لَا عِلْمَ لِي بِهِمْ غَيْرَ أَنَّهُمْ عُصْبَةٌ كَمَا قَالَ اللَّهُ، وَإِنَّ كِبْرَ ذَلِكَ (أي: الذي تولى كبره) يُقَالُ لَهُ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَــلُولَ (عليه من الله ما يســتحق)، قَالَ عُرْوَةُ: كَانَتْ عَائِشَةُ تَكْرَهُ أَنْ يُسَبَّ عِنْدَهَا حَسَّانُ وَتَقُولُ إِنَّهُ الَّذِي قَالَ:

فَــإِنَّ أَبِــي وَوَالِــدَهُ وَعِــرْضِــي
لِـعِــرْضِ مُـحَـمَّـدٍ مِـنْـكُـمْ وِقَــاءُ[2]

لله درك يا عائشة، رغم أنه من الذين تحدثوا في عرضها، بل العجب أن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عندما خرجت هي وَأُمُّ مِسْطَحٍ إلى الْمُتَبَرَّزِ، وفي الرجعة

(١) البيت لأبي تمام الطائي. انظر: العقــد الفريد(٢/ ١٧٥)، وعيون الأخبار(٢/ ١١)، وروضة العقلاء(ص: ١٣٦).

(٢) رواه البخاري في المغازي (ح: ٤١٤١).

عَثَرَتْ أُمُّ مِسْطَحٍ فِي مِرْطِهَا قَالَتْ: تَعِسَ مِسْطَحٌ! فدعت على ابنها بالتعاسة، تعجبت عائشة، ولم تسكت عن اتهام بدون دليل حتى ولو كان صادرًا عن الأم الحنون، فقالت لها: «بِئْسَ مَا قُلْتِ! أَتَسُبِّينَ رَجُلًا شَهِدَ بَدْرًا؟!» وفي رواية: «أَيْ أُمِّ؟ أَتَسُبِّينَ ابْنَك؟! قَالَتْ أم مسطح: أَيْ هَنْتَاهْ! أَوَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ؟ قالت عائشة: ماذا قال؟! قالت: فَأَخْبَرَتْنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ»[1].

فما أروع حسن ظن عائشة بمسطح! بل إنكارها حتى على أمه، وما أروع حسن ظن أم مسطح بعائشة، ودفاعها عنها، وتبرئتها لها! بل وغضبها حتى على ابنها، لذا قال ابن حجر: «وفي الحديث فضيلة قويّة لأمّ مِسطح؛ لأنها لم تحاب ولدها في وقوعه في حقِّ عائشة، بل تعمّدت سبَّه على ذلك»[2].

ومن الفوائد والدروس المهمة في حادث الإفك:

رباطة جأش عائشة وصبرها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فهي على ثقة بنفسها وببراءتها، وساعدها فطنتها وحنكتها، وتقديرها للأمور، فضلًا عن عظيم حيائها، واهتمامها بحجابها وحشمتها وعفتها، حتى وإن كانت وحدها في الصحراء، بعد أن ارتحل الجيش وتركها، ظنًّا منهم أنها في هودجها، فنامت في مكانها، ولم تستيقظ إلا على استرجاع حارس مؤخرة الجيش

(١) رواه البخاري في الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضًا(ح:٢٦٦١)، ومسلم في التوبة، باب في حديث الإفك...(ح: ٢٧٧٠).

(٢) فتح الباري (٨/ ٤٨٠).

صفوان بن المعطل رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الذي دائمًا ما يكون خلف الجيش مسيرة يوم وليلة، تقول عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: «كَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ قَدْ عَرَّسَ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ فَادَّلَجَ (أي: سار من آخره)، فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي، فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَـــانٍ نَائِمٍ، فَأَتَانِي فَعَرَفَنِي حِينَ رَآنِي، وَقَدْ كَانَ يَرَانِي قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ عَلَيَّ الْحِجَابُ.

تقول: فاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ، حِينَ عَرَفَنِي فَخَمَّرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي، وَوَاللَّهِ مَا تَكَلَّمْنَا بِكَلِمَةٍ، وَلَا سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ»[1].

وتأملوا هنا: ففي سترها لوجهها دليل على تغطية الوجه، وفي قولها: «وَقَدْ كَانَ يَرَانِـــي قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ عَلَيَّ الْحِجَابُ» ثم قولها أيضًا: «فَخَمَّرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي»، دليل على أنها كانت تســـتر وجهها بعد فرض الحجاب باســـتمرار، وهذا صريح في أن تغطية الوجه مأمور به، ولم تكن واجبة في بداية الإسلام، إنما كان الوجوب بعد نزول آيات الحجاب.

وفي موقف صفوان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وصمته واكتفائه بالاســـترجاع لإيقاظه عائشـــة دليل على أدبه الجم، وخُلقه الرفيع، فلم يناد عليها حتى باســـمها، وما تكلـــم معها بكلمة واحدة، ولم يمش خلف البعير وعائشـــة أمامه، بل مشى أمام البعير والمرأة أمه أم المؤمنين خلفه، يا الله، هكذا كان الصحابي الذي يتهمونه مع عائشة!

(١) رواه البخاري في الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضًا (ح: ٢٦٦١)، ومسلم في التوبة، باب في حديث الإفك...(ح: ٢٧٧٠).

فلا والله ما في العيش خيرٌ
ولا الدنيا إذا ذهب الحياء[1]

حادثة الإفك، وآيات الإفك باختصار شديد تقول: إن أردنا مجتمعًا صالحًا، متماسكًا متراحمًا متلاحمًا، لا تهزه الإشاعات، ولا تنال منه الوشايات، فلا بدَّ من تربية النفس وحث أفراد المجتمع على حسن الظن أولًا، فحسن الظن هو المقدم دائمًا، خاصَّة عند الإشاعات، والقيل والقال، فالأصل في المسلم العدالة، والله -تعالى- يقول في آيات الإفك: ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [النور: ١٢].

تأملوا تطبيقات هذه الآية في مجتمع الصحابة في أثناء حادثة الإفك؛ بدءًا بقدوتنا وحبيبنا، الزوج المبتلى صلوات الله وسلامه عليه؛ فهو ﷺ لم يتعجل، بل إنه أحسن الظن بزوجه فقال: «**وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا**» هكذا يُقسم ويحسن ظنه بأهله وزوجه عائشة، ثم يُتبع ﷺ ظنه بالدليل والبرهان، فيحسن الظن أيضًا بصاحبه صفوان بن المعطل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيقول: «**وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي**».

أما الصحابة فقد تأسوا بقدوتهم رضوان الله تعالى عليهم، فكانوا هم أيضًا أنموذجًا يُقتدى بهم في تقديم حسن الظن، فقد رُوي أنَّ أبا

(١) البيت ينسب لرجل من خزاعة. انظر: مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا (ص: ٤٠)، وروضة العقلاء (ص: ٥٧).

أيـــوب الأنصـــاري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال لامرأتـــه: ألا ترين ما يقال في عائشـــة؟ فقالـــت: لو كُنْتَ بدل صفوان أَكُنْتَ تخُون رســـول اللـــه ﷺ؟ فقال: لا، قالت: ولو كنتُ أنا بدل عائشة مَا خُنْتُ رسول الله ﷺ، فعائشة خير مني، وصفوان خير منك[1]. وفي رواية ابن إسحاق قالت زوجة أبي أيوب لأبي أيوب: ألا تســـمع ما يقول الناس في عائشـــة؟ قال: بلى، وذلك الكذب. أَكُنْـــتِ فاعلة ذلك يا أم أيوب؟ قالت: لا والله، فقال: عائشـــة خير منك، سبحان الله، هذا بهتان عظيم»[2].

يا الله! ما أحســـن وأعظم هذا المنهج عند الإشاعات! حسن الظنّ أولًا، إنه درس عملي منهجي تطبيقي رائع من حادثة الإفك.

ومن الدروس أيضًا، قَالَتْ عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: «.. وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِـيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأُسَـــامَةَ بْنَ زَيْـــدٍ حِينَ اسْـــتَلْبَثَ (أي: تأخر) الْوَحْيُ يَسْأَلُهُمَا وَيَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ، (إلى هذا الحد وصل الأمر من شدة ما أثارها المنافقون ولاكوها وبثوها) قَالَتْ: فَأَمَّا أُسَامَةُ فَأَشَارَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ، وَبِالَّذِي يَعْلَمُ لَهُمْ فِي نَفْسِهِ، فَقَالَ أُسَامَةُ: أَهْلَكَ وَلَا نَعْلَـــمُ إِلَّا خَيْرًا، وَأَمَّا عَلِيٌّ (لما رأى ما بالنبي ﷺ من هم وحزن وكرب

(١) رواه إسحاق بن راهويه في مسنده (ح: ١٦٩٨).

(٢) الســـيرة النبوية لابن هشـــام (٣/ ٢٢٤). وتاريخ الأمم والرســـل والملوك للطبري (٢/ ١١٤). وذكره الحافظ في فتح الباري (٨/ ٤٧٠)، وعزاه إلى الطبري من طريق ابن إسْـــحَاق. وانظر: البدايـــة والنهاية (٨/ ٥٨) ترجمة أبي أيـــوب، وهو: خالد بن زيد بن كُلَيْب. ومرويات غزوة بني المصطلق (ص: ٣٧٥-٣٨٢).

أراد التخفيف عنه) قَالَ: يَا رَسُـــولَ اللَّهِ لَمْ يُضَيِّقِ اللَّهُ عَلَيْكَ وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ[1]، وَسَلِ الْجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ.

قَالَتْ عائشـــة: فَدَعَا ﷺ بريرَةَ فَقَالَ: «أَيْ بَرِيرَةُ هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَـــيْءٍ يَرِيبُكِ» قَالَتْ لَهُ بَرِيرَةُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْرًا قَطُّ أَغْمِصُهُ غَيْرَ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّـــنِّ تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ -الشاة- فَتَأْكُلُهُ»[2]. فالمسلم دومًا يطلب الدليل والبرهان على أي خبر يسمعه، كما قال الله: ﴿ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [النور: ١٣].

ومما يســـتفاد من حادثة الإفك: أن النبيَّ ﷺ كغيره من البشـــر تألَّم وتوجَّـــع كثيرًا في الحادثة، لكن صبره وتأنِّيـــه عظيم رغم جلالة الخَطْب، شـــهر كامل يدخل ويخرج على عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لم يَذكر لها شيئًا، بل كان بهدوء يتثبت ويسأل ويستشـــير، كانت مشورات الصحابة كلها فيها تقديم حسن الظن بعائشة.

هكذا هو المجتمع الإيماني الجميل الرائع الذي يخاف الله ويخشاه،

---

(١) قال الكرماني: وإنما قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذلك تسهيلاً للأمر على رسول الله ﷺ وإزالة لما هو ملتبس به، وتخفيفًا لما شاهد فيه، لا عداوة لها حاشاهم عن ذلك. الكواكب الدراري (١٨/ ١٣).

(٢) رواه البخاري في الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضًا (ح:٢٦٦١)، ومسلم في التوبة، باب في حديث الإفك...(ح: ٢٧٧٠).

وهي ثمــرة تربية طويلة الأمد من رســول الله ﷺ بالكتاب والســنة لهذا المجتمع المسلم، فهذه الأخلاقيات لا تنبت وحدها!

وقصة الإفك ليســت معزولة عن سياقها السياســي والتاريخي، بل كانت المؤامرة حلقة ضمن سلســلة حلقات مشــروع انتقامي تولى كبره رأس النفاق ابن أبي ابن سلول، وفعلًا كاد مجتمع المدينة آنذاك أن يقتتل، -كما تروي عائشــة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا - فتقول: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ يَوْمِهِ؛ (أي: بعد نزول الآيات ببراءة عائشــة) فَاسْــتَعْذَرَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ فقال: «يَا مَعْشَرَ الْمُسْــلِمِينَ مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَنِي عَنْهُ أَذَاهُ فِي أَهْلِي، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي». (تقول عائشــة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا): فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ أَخُو بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْذِرُكَ، فَإِنْ كَانَ مِنْ الْأَوْسِ ضَرَبْتُ عُنُقَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنْ الْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ، قَالَتْ: فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ الْخَزْرَجِ وَكَانَتْ أُمُّ حَسَّــانَ بِنْتَ عَمِّهِ مِنْ فَخِذِهِ وَهُوَ سَــعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَهُوَ سَــيِّدُ الْخَزْرَجِ، (قَالَتْ عائشة:) وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ رَجُلًا صَالِحًا، لَكِنْ احْتَمَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ، فَقَالَ لِسَعْدٍ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ لَا تَقْتُلُهُ، وَلَا تَقْدِرُ عَلَى قَتْلِهِ، وَلَوْ كَانَ مِنْ رَهْطِكَ مَا أَحْبَبْتَ أَنْ يُقْتَلَ، فَقَامَ أُسَــيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ -وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَــعْدٍ- فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ لَنَقْتُلَنَّهُ فَإِنَّــكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنْ الْمُنَافِقِينَ، قَالَتْ: فَثَــارَ الْحَيَّانِ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ حَتَّى هَمُّوا أَنْ يَقْتَتِلُوا، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ، قَالَتْ عائشة: فَلَمْ

يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَتُوا وَسَكَتَ»[1].

أراد زعيم المنافقين ابن أُبي النيل من عرض الرسـول ﷺ، والحط مـن جاه ومكانة عائشـة زوجته، وأحب النسـاء إليـه، إلا أن الله خذله، وأهانـه، ورد كيده في نحره، وبسـبب هذه المؤامرة تلألأت عائشـة أكثر فأكثر، وتبينت شخصيتها الفذة القوية بجلاء، فظهرت رباطة جأشها، وقوة إيمانها، وأصبحت علمًا على رأسـه نار إلى يومنا الحاضر، آيات تتلى في كل مكان، وفي كل منبر، في كل مسـجد: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [النور: ١١].

مُهَذَّبَــة قَــدْ طَيَّــبَ اللَّــه خِيمهَا
وَطَـهَّـرَهَـا مِـنْ كُـلِّ سُـوء وَبَـاطِـل[2]

لقد سمت منزلة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وعلا مقامها، فقد جاءت مكرمتها من عند رب العالميـن، مكرمةً تتقاصر -والله- عـن وصفها الكلمات، وتعجز عن بيانها اللغـات، كيف وقد أُنزل في شـأنها وحيًا يُتلى إلى يوم القيامة.

(١) رواه البخاري في الشـهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضًا (ح: ٢٦٦١) مسلم في التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف (ح: ٢٧٧٠).

(٢) البيت لحسـان بن ثابت. انظر: سـيرة ابن هشام (٢/ ٣٠٦)، وسـير أعلام النبلاء (٢/ ١٦٣)، والاستيعاب (٤/ ١٨٨٣)، والبداية والنهاية (٦/ ٢٠٣)، وسمط النجوم العوالي (٢/ ١٧٨). و(الخيم): الطَّبْع.

السؤال التطبيقي:

كيف نستفيد من حادثة الإفك في واقعنا المعاصر على المستوى الفردي والمجتمعي؟

الإجابة:

رسم تعامله ﷺ ومن معه مِنَ الصحابة مع حادثة الإفك منهجًا واضحًا في مواجهة الإشاعات، وهو:

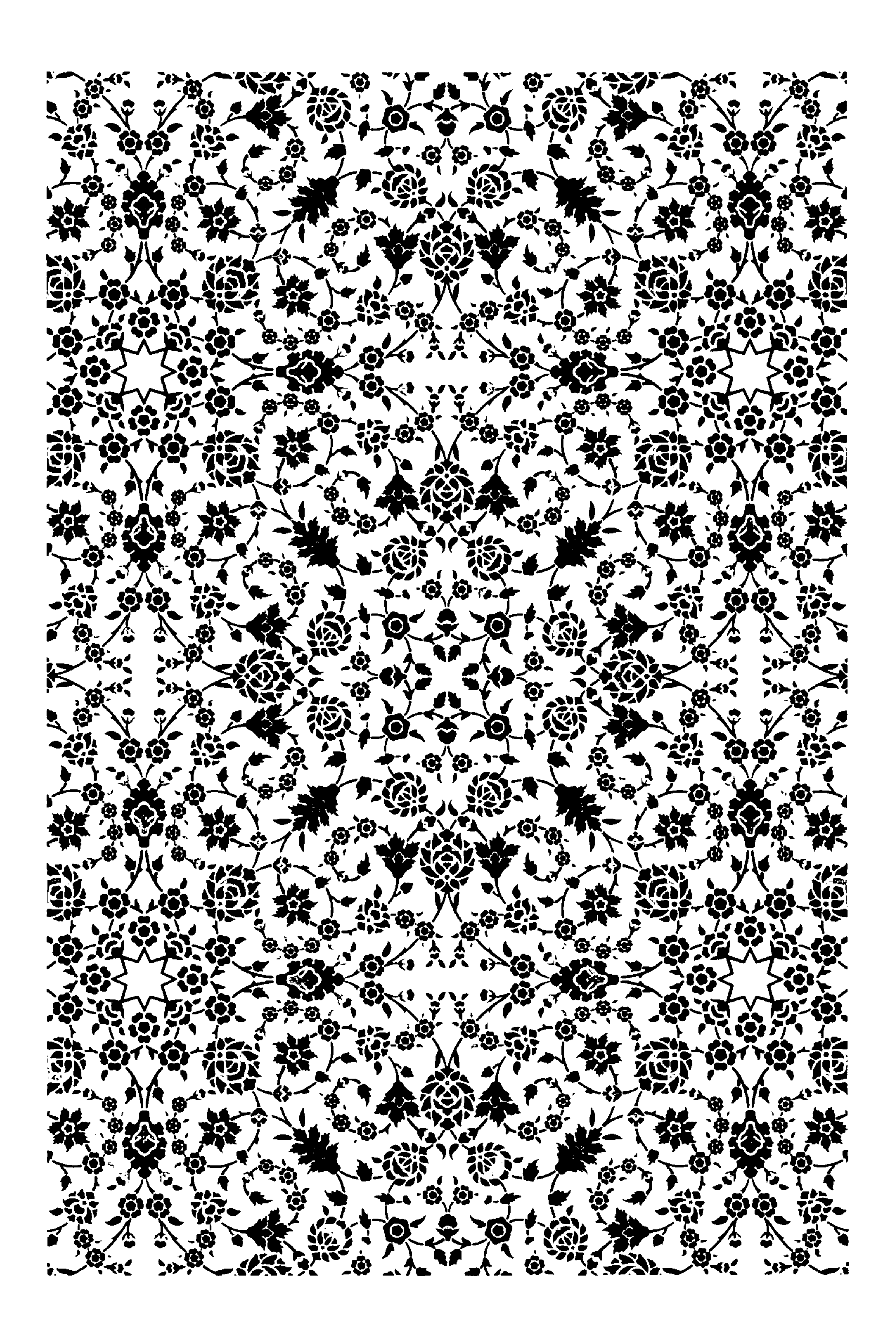
أولًا: حسن الظن قبل كل شيء، فالأصل في المسلم العدالة، ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [النور: ١٢]، لاسيما التثبت في أمور الأعراض؛ فقد جعل الشرع حولها سياجًا غليظًا قويًّا لا يُتجاوز لمجرد شبهة، بل ولا بشهود أقل من أربعة.

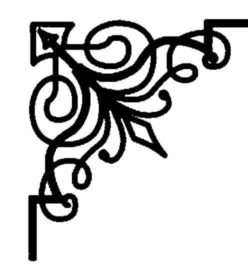
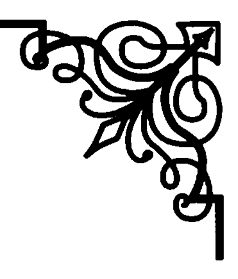
ثانيًا: التثبت والتمحيص، فلا بدَّ من طلب الدليل والبرهان على أيِّ خبر تسمعه، خاصة إذا كنت تريد أن تبثه وتنقله، ﴿ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [النور: ١٣].

ثالثًا: إمساك اللسان، ثم التفكير، فلسان العاقل من وراء قلبه، فإذا عرض له قول نظر فإن كان له قال، وإن كان عليه أمسك، ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ [النور: ١٥].

رابعًا وأخيرًا: أن يُرد الأمر لأهله إن كان خاصًا، وإلى أولي الأمر منهم إن كان عامًّا؛ كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ

وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ [النساء:٨٣]، وقد نبه عليه في قصتنا هنا بقوله سبحانه: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا ﴾ [النور: ١٦]. بل نتركه لأهله، وندعو لهم.



[١٣]
عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وتدبر القرآن

لله درُّها من عالمةٍ أخذت من كل فن من فنون العلم بحظ وافر، فهي العالمة بأصول الدين وفروعه، وفي التاريخ والفقه، وفي أسباب النزول، وفي الطب والعلاج والأدواء، وفي الفرائض، والشِّعْرِ، فكانت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا باختصارٍ موسُوعةً عِلمِيةً شامِلةً، وجامعةً عِلمِيةً مُتحرِّكةً.

كيف لا تكون كذلك وقد عاشت حياتها كلها مع القرآن؟! وأُشربت حبه، وبَنت به شخصيتها العلمية، فاستقت منه معارفها وعلومها، والمنظومة الأخلاقية التي كانت تنعم بها منذ الصغر، رزقها الله تعالى ذاكرةً قويةً وَعَتْ وحفِظت ما نزَلَ من القرآن على رسوله ﷺ في شتَّى المناسبات، وعرفت مقاصد السور والآيات، وأوقات نزولها، وأسباب نزولها؛ وسر كل ذلك أنها أحسنت تعاملها مع القرآن، وتلاوتها له، فكافأها الله بأن أصبحت من أعلم النساء على الإطلاق، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟!

كما كان تدبر عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا للقرآن هو سرُّ تميز شخصيتها وبروزها.

وعيشها مع القرآن سرُّ التوفيق في حياتها، وبركة علمها.

وما من ريب أنها من ذوي الألباب الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص: ٢٩]، فلـم تكن عائشـــةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بالتي تمرر القرآن على لسانها دون تَدَبُّرٍ، فقد عَلِمَتْ أنَّ الله ســبحانه وتعالى قد أنزل كتابَه الكريمَ ليتَدبَّــرَه النَّاسُ، ويعْمَلوا به، كما بين الله هذا المعنى في قوله عز وجل: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص: ٢٩].

كان لأمِّنا عائشـــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا الحــظ الأوفى، والنصيــب الأعلى من التلاوة، والفهم والتدبر، لهذا الكتاب العظيم، كيف لا، وهي ابنة الصديق، وزوج النبي الأمين ﷺ؟! فتعالوا ننظر ونتأمل، كيف تعاملت الصديقة مع القرآن الكريم؟

لقد كان القرآن يتنزل على زوجها وحبيبها ﷺ، وفي بيتها، وهي ترقب ذلك بكل تفاصيله منذ نعومة أظفارها، قالــت: «لَقَدْ أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ بِمَكَّةَ وَإِنِّي لَجَارِيَةٌ أَلْعَبُ قول الله تعالى: ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ ﴾ [القمر: ٤٦]»[١].

وقضت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في بيت النبوة تسع سنوات مع رسول الله ﷺ والوحي يتنزل بكل تفاصيله، قالت: «وَمَا نَزَلَتْ سُورَةُ البَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ إِلا وَأَنَا عِنْدَهُ ﷺ»[٢].

---

(١) رواه البخـــاري في تفســير القرآن، بـــاب قولــه: ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ ﴾ [القمر: ٤٦] (ح: ٤٨٧٦).

(٢) رواه البخاري في فضائل القرآن، باب تأليف القرآن (ح: ٤٩٩٣).

وقد نزلت آيات كثيرة بسبب عائشة، مثل: آيات الإفك، كما قالت: «فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ﴾ [النور: ١١] مِنْكُمْ عَشْرَ آيَاتٍ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ بَرَاءَتِي»(١).

وكانت سببًا في نزول آية التيمم، قالت: «خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالْبَيْدَاءِ أَوْ بِذَاتِ الجَيْشِ انْقَطَعَ عِقْدٌ لِي، فَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى التِمَاسِهِ، وَأَقَامَ النَّاسُ مَعَهُ وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ، فَأَتَى النَّاسُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، فَقَالُوا: أَلاَ تَرَى مَا صَنَعَتْ عَائِشَةُ؟ أَقَامَتْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالنَّاسِ وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ، وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَاضِعٌ رَأْسَهُ عَلَى فَخِذِي قَدْ نَامَ، فَقَالَ: حَبَسْتِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَالنَّاسَ، وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ، وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: فَعَاتَبَنِي أَبُو بَكْرٍ، وَقَالَ: مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ، وَجَعَلَ يَطْعُنُنِي بِيَدِهِ فِي خَاصِرَتِي، فَلاَ يَمْنَعُنِي مِنَ التَّحَرُّكِ إِلَّا مَكَانُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى فَخِذِي، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَصْبَحَ عَلَى غَيْرِ مَاءٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ التَّيَمُّمِ فَتيَمَّمُوا، فَقَالَ أُسَيْدُ بْنُ الحُضَيْرِ: مَا هِيَ بِأَوَّلِ بَرَكَتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ»(٢).

ورأت كيف يَنْزِلُ جِبْرِيلُ على النبي ﷺ بالآيات فقالت: «لَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الوَحْيُ فِي اليَوْمِ الشَّدِيدِ البَرْدِ، فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا»(٣).

(١) رواه مسلم في التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف (ح: ٢٧٧٠).

(٢) رواه البخاري في التيمم (ح: ٣٣٤)، ومسلم في الحيض، باب التيمم (ح: ٣٦٧).

(٣) رواه البخاري في بدء الوحي، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ؟(ح: ٢)، ومسلم في الفضائل، باب عرق النبي ﷺ في البرد وحين يأتيه الوحي(ح: ٢٣٣٣).

فَمِنْ كُلِّ مَا سبق وغيره يَتَبَيَّنُ أن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كانت معايشةً للقرآن، في أســباب نزوله، وأوقات نزوله، وكيفية نزوله، ويظهر أثر هذه المعايشة فــي عمق فهمها للقرآن، فمثلًا: قالت: «نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِن القرآن سُــورَةٌ مِنَ الْمُفَصَّلِ فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الإِسْــلاَمِ نَزَلَ الْحَلاَلُ وَالْحَرَامُ، وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ لاَ تَشْرَبُوا الْخَمْرَ؛ لَقَالُوا لاَ نَدَعُ الْخَمْرَ أَبَدًا، وَلَوْ نَزَلَ لاَ تَزْنُوا، لَقَالُوا لاَ نَدَعُ الزِّنَا أَبَدًا...»[1].

هذا الفهم عند عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يُرتب خريطة الأولويَّات التي ينبغي أن يسير عليها الانسان، فلا يقدم المهم على الأهمّ، ولا الحسن على الأحسن، ولا ما مصلحتُه قليلة على ما مصلحتُه كثيرة. هكذا كان فهمها للقرآن.

وحينما ســألها سعدُ بْنُ هِشَــام[2]، فقال: «يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْبِئِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟»، قَالَتْ: «أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟»، قال: «بَلَى»، قَالَتْ: «فَــإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللــهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ»[3]، وهذا يدل على معايشــة حقيقية للقرآن، وتدبر له، حتــى أنها تربط كل ما تراه بعينيها به، وتُرجعه إليه، فلما راقبت النبي ﷺ وجــدت أن أخلاقه هي التطبيــق العملي لما وجدته من الأخلاق في القرآن.

---

(١) رواه البخاري في فضائل القرآن، باب تأليف القرآن (ح: ٤٩٩٣).

(٢) ســعد بن هشام بن عامر الأنصاري المدني، ابن عم أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. يُنظر في ترجمته: طبقات ابن سعد (٧/ ١٥٦)، وتهذيب الكمال (١٠/ ٣٠٧).

(٣) رواه مســلم في صلاة المســافرين وقصرها، باب جامع صــلاة الليل، ومن نام عنه أو مرض (ح: ٧٤٦).

ثم سألها: «أَنْبِئِينِي عَنْ قِيَامِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟»، فَقَالَتْ: «أَلَسْتَ تَقْرَأُ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ؟»، قال: «بَلَى»، قَالَتْ: «فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ افْتَرَضَ قِيَامَ اللَّيْلِ فِي أَوَّلِ هَذِهِ السُّورَةِ، فَقَامَ نَبِيُّ اللهِ وَأَصْحَابُهُ حَوْلًا، وَأَمْسَكَ اللهُ خَاتِمَتَهَا اثْنَيْ عَشَرَ شَهْرًا فِي السَّمَاءِ، حَتَّى أَنْزَلَ اللهُ فِي آخِرِ هَذِهِ السُّورَةِ التَّخْفِيفَ، فَصَارَ قِيَامُ اللَّيْلِ تَطَوُّعًا بَعْدَ فَرِيضَةٍ»(١).

فها هي أيضًا حينما سُئِلَتْ عن قيامه ﷺ أجابت بالقرآن، بذكر السورة، وما نزل منها أولًا، ونزل منها متأخرًا، وكم تأخر، وكيف اختلف حكم القيام قبل نزول آخر السورة؛ إنه تدبر القرآن، وفهم القرآن، ومن ذلك قولها: «مَا صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ صَلاةً بَعْدَ أَنْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝﴾ [النصر: ١]، إِلَّا يَقُولُ فِيهَا: «**سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي**»»(٢). وفي رواية قالت: «يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ»(٣).

فكل هذا يدل على فهم عالٍ، ناتج عن تدبر لآيات القرآن، وربطها بالواقع الذي تعيشه.

---

(١) رواه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل، ومن نام عنه أو مرض (ح: ٧٤٦).

(٢) رواه البخاري في تفسير القرآن، باب ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝﴾ [الزلزلة: ٨] (ح: ٤٩٦٧)، ومسلم في الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود (ح: ٤٨٤).

(٣) رواه البخاري في تفسير القرآن، باب ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝﴾ [الزلزلة: ٨] (ح: ٤٩٦٨)، ومسلم في الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود (ح: ٤٨٤).

وها هو ابن أخيها القاســم بن محمد[1]، وقد تربى في حُجرها، فهو من أعلم الناس بها، يصف لنا جانبًا من علاقتها بالقرآن؛ ليبصِّرنا من طرْف خفي بصورة مــن حياتها مع القــرآن، وكيف كانت تقــرأ القرآن؟ فيقول القاسم: «كنت إذا غدوت أبدأ ببيت عائشة، أُسلِّم عليها، فغدوت يومًا فإذا هي قائمة تســبح[2] وتقــرأ: ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الطور: ٢٧]، وتدعو وتبكي، وترددها، فقمت حتى مللت القيام، فذهبت إلى السوق لحاجتي، ثم رجعت فإذا هي قائمة كما هي، تصلي وتبكي»[3].

يا اللــه، أيعقل أن يكون الفهم والتدبر والنظــر لآية من آيات القرآن بمثل هذه الحال! وبمثل هذا الوقت!! نعم يعقل إذا كانت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا هي القارئة، وهي المتدبرة، آية واحدة لساعات! سبحان الله! تستغرق في الآيات، تستعذب طولها، تســتعذب معانيها! ولِمَ العجب؟ أليس هذا هو منهج زوجها وحبيبها ﷺ في قراءة القرآن ومدارسته؟! فعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «صَلَّى رَسُولُ الله ﷺ لَيْلَةً فَقَرَأَ بِآيَةٍ حَتَّى أَصْبَحَ، يَرْكَعُ بِهَا وَيَسْجُدُ بِهَا:

(١) أبو عبد الرحمن القاســم بن محمد بن أبــي بكر بن أبي قحافة القرشــي، قُتِلَ أبوه قريبًا من ســنة ســت وثلاثين، وبقي يتيمًا في حجر عمته عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، روى عن جماعة من الصحابــة، وروى عنه جماعة من التابعين، كان مــن أفضل أهل زمانه، صَموتًا لا يتكلم، لازمًا للورع والنسك، مواظبًا على الفقه والأدب، توفي سنة إحدى أو اثنتين ومائة، وقيل ســنة ســت أو خمس ومائة. ينظر في ترجمته: التاريخ الكبير (٧/ ١٥٧)، مشاهير علماء الأمصار (ص: ١٠٥)، تهذيب الكمال (٢٣/ ٤٢٧).

(٢) أي: تصلي.

(٣) صفة الصفوة (١/ ٣١٩).

﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾[المائدة: ١١٨]، يقرأها ويرددها طوال ليله، فَلَمَّا أَصْبَحَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا زِلْتَ تَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ حَتَّى أَصْبَحْتَ، تَرْكَعُ بِهَا وَتَسْجُدُ بِهَا قَالَ: «**إِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي الشَّفَاعَةَ لِأُمَّتِي فَأَعْطَانِيهَا، وَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ لِمَنْ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا**»(١).

إذًا فتلاوة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وفق تلاوة رسول الله ﷺ، هكذا تُبْنَى الشخصيةُ الإيمانية مع القرآن، وهكذا بنت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا شخصيتها بمصاحبة القرآن، وهكذا كانت قوة علاقتها بربها؛ إنها لا تركع مجرد ركعات، ولا تقرأ مجرد آيات، بل هو منهجها الأصيل في تلاوة القرآن، القائم على التدبر والفهم والتأثر، فهي لا تقرأ القرآن هذًّا كهذِّ الشعر.

قال خباب بن الأرت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لرجل: «تقرَّب إلى الله ما استطعتَ، واعلم أنَّك لن تتقرب إليه بشيءٍ هو أحبُّ إليه من كلامه»(٢)، أي: القرآن الكريم، وهكذا كانت عائشة في تفكُّرها في آيات الله المنزَّلة، في تعقلها للآيات، تطبيقًا لقول الله تعالى: ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[البقرة: ٤٤]، ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ﴾[النساء: ٨٢] ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ ﴾[الغاشية: ١٧] ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾ ﴾[محمد: ٢٤]، فكانت تَعقل الآية أولًا، وتفهم المراد منها؛ لعلمها أن الله أنزل القرآن لذلك، لا لمجرد تلاوتها، فالتلاوة عندها

(١) رواه أحمد في مسند الأنصار، حديث أبي ذر الغفاري (ح: ٢١٣٢٨).

(٢) رواه أحمد في الزهد (ح: ١٩٢)، والبخاري معلقًا بصيغة الجزم في خلق أفعال العباد (ص: ٤٠)، والحاكم في المستدرك (ح: ٣٦٥٢)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

وسيلة للفهم؛ ولذلك قال تعالى: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ ﴾ [المزمل: ٤]، حتى يكون أكثر وقعًا في القلب، وأقرب إلى الفهم والتأمل.

قال بعض السلف: «أُنزل القرآن ليُعمل به فاتخذوا تلاوته عملًا!»[(١)].

قال ابن القيم معلقًا على هذا الأثر: «ولهذا كان أهل القرآن هم العالمون به، والعاملون بما فيه، وإن لم يحفظوه عن ظهر قلب، وأمَّا مَنْ حفِظه ولم يفهمْه ولم يعمل بما فيه، فليس من أهله، وإن أقام حروفه إقامة السهم»[(٢)].

أليس هذا هو هدف الكثيرين اليوم؟! حيث تجدهم يُرَدِّدُون: أمنيتي حفظ القرآن، أمنيتي أن أختم القرآن.

هذا أمرٌ جميل، وصاحبه مأجور -إن شاء الله- لكن ليس هو الأصل، فالأصل فهم القرآن، وتدبر القرآن، والعمل به، ولذلك قال أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كَانَ الرَّجُلُ إِذَا قَرَأَ[(٣)] الْبَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ، يُعَدُّ فِينَا عَظِيمًا»[(٤)].

(١) الآجري في أخلاق حملة القرآن (٣٧) عن فضيل بن عياض، والخطيب البغدادي في اقتضاء العلم العمل (١١٦).

(٢) زاد المعاد (١/ ٣٢٧).

(٣) أي: حفظ.

(٤) رواه أحمد في مسند المكثرين من الصحابة، حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ح:١٢٢١٦)، وأصله في الصحيحين دون هذه الزيادة: البخاري في المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (ح: ٣٦١٧)، ومسلم في صفات المنافقين وأحكامهم (ح: ٢٧٨١)، وصححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (ح:٧٤١).

لماذا؟ لأن حفظ القرآن عن فهم، وعن علم وعمل.

ذُكِرَ لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ نَاسًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ فِي اللَّيْلَةِ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ! قَالَت: «أُولَئِكَ قَرَءُوا وَلَمْ يَقْرَءُوا».

تأملوا هذا الكلام الجميل: قَرَءُوا وَلَمْ يَقْرَءُوا؛ أي: قرءوا ظاهرًا، لكنهم ما قرءوا معنى[1].

ثم قالت: «كُنْتُ أَقُومُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ التَّمَام، فَكَانَ يَقْرَأُ سُورَةَ الْبَقَرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ وَالنِّسَاءِ، فَلَا يَمُرُّ بِآيَةٍ فِيهَا تَخَوُّفٌ إِلَّا دَعَا اللَّهَ وَاسْتَعَاذَ، وَلَا يَمُرُّ بِآيَةٍ فِيهَا اسْتِبْشَارٌ إِلَّا دَعَا اللَّهَ وَرَغِبَ إِلَيْهِ»[2].

وليلة التمام هنا قد يكون المقصود بها: تمام الختمة، أو تمام رمضان، أو تمام الليلة[3].

هكذا تلاوة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا للقرآن كما أخذتها عن الحبيب ﷺ: تلاوة وتدبر، وخشية وبكاء، ودعاء وتضرع، وهذه الطريقة أكسبتها علمًا جمًّا، فلمَّا سأل سعدُ بْنُ هِشَام[4] ابنَ عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ وِتْرِ رسول الله ﷺ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ بِوِتْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَ:

(١) حاشية السندي على مسند الإمام أحمد (١٤/ ٢٥٧).

(٢) رواه أحمد في مسند النساء، مسند الصديقة عائشة بنت الصديق (ح: ٢٤٦٠٩)، وقال الألباني: «وهذا إسناد جيد». أصل صفة صلاة النبي ﷺ (٢/ ٥٠٦).

(٣) حاشية السندي على مسند الإمام أحمد (١٤/ ٢٥٧).

(٤) سبقت ترجمته.

مَنْ؟ قَالَ: عَائِشَةُ، فَأْتِهَا، فَاسْأَلْهَا، ثُمَّ ائْتِنِي فَأَخْبِرْنِي بِرَدِّهَا عَلَيْكَ[1]، فابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حبر الأمة، وهو من دعا له رسول الله ﷺ فقال: «**اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»[2]، يُقِرُّ لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بالعلم والفضل، ويحيل السائل عليها، بل وأكثر من هذا، يطلب من السائل أن يرجع له بجوابها: «فَأْتِهَا، فَاسْأَلْهَا، ثُمَّ ائْتِنِي فَأَخْبِرْنِي بِرَدِّهَا عَلَيْكَ».

ومن أسلوب عائشة الجميل في التلاوة: أنها كانت إذا لم يتضح لها المعنى وقفت وسألت؛ لتفهم القرآن وتتدبره، ولتزداد معرفة بمعانيه للعمل به، وليس القراءة فقط، فمرةً أشكل عليها فَهمُ آية، فلم تُمرَّها بل وقفت وسَأَلَت رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنها، وهذه الآية هي قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ [المؤمنون:٦٠]؛ قَالَتْ عَائِشَةُ: «أَهُمُ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: «لاَ يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمُ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لاَ تُقْبَلَ مِنْهُمْ ﴿ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [المؤمنون:٦١]»»[3].

---

(١) رواه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل، ومن نام عنه أو مرض (ح: ٧٤٦).

(٢) رواه البخاري في الوضوء، باب وضع الماء عند الخلاء (ح: ١٤٣)، ومسلم في فضائل الصحابة، باب من فضائل عبد الله بن عباس (ح: ٢٤٧٧).

(٣) رواه الترمذي في أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة المؤمنون (ح: ٣١٧٥)، وابن ماجه في الزهد، باب التوقي على العمل (ح: ٤١٩٨)، وحسنه الألباني في الصحيحة (ح: ١٦٢).

وبمثل هذه القراءة المتدبرة للقرآن يُؤتى الإنسان العلم والفقه، ويكون للقرآن أثر في حياته وتصرفاته.

وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لم تنل هذه المكانة والدرجة عن كسل وتسويف، وقراءة للقرآن تهذه هذًّا، بل بجدٍّ وتدبرٍ، وكثرة سؤالٍ وصبرٍ، وبهمةٍ وعزيمةٍ وإخلاصٍ.

لَأَسْتَسْهِلَنَّ الصَّعْبَ أَوْ أُدْرِكَ الْمُنَى
فَمَا انْقَادَتِ الآمَالُ إِلاَّ لِصَابِرِ[1]

سبحان الله! متى نشعر بقيمة هذه النعمة، وهي أن القرآن كلام ربنا أنزله الله بلغتنا، بلسان عربي مبين، ويَسَّرَ علينا فهمه وتدبره، وإذا أردت أن تعرف عظمة هذه النعمة فانظر كيف يُعاني غير العربي في فهم القرآن، فضلًا عن تلاوته وقراءته، فهل قمنا بشكر هذه النعمة أكثر من غيرنا، وخصصنا أوقاتًا لتدبر القرآن، وفهم مقاصده، ولو تأملنا سورة الفاتحة التي نقرأها ونرددها في اليوم والليلة سبع عشرة مرةً في الفرائض دون النوافل، ومع هذا قد لا يقف بعضنا مع معانيها، فهل سألت نفسك في يوم من الأيام لماذا فرض الله عز وجل عليَّ قراءة الفاتحة سبع عشرة مرة في اليوم واللية؟ هناك أسرار في التكرار جاءت بها الأحاديث والآثار، فوالله لو قرأنا سورة الفاتحة -أعظم سورة في القرآن- وفهمناها كما أراد الله تعالى منا، لكان حال أمتنا غير هذه الحال.

---

(١) انظر: شرح التسهيل لابن مالك (٤/ ٢٥)، ومغني اللبيب (ص: ٩٤).

وَإِنْ شَـعَرَتَ بِنَقْصٍ فِيـكَ تَعْرِفُهُ
فَـغَـذِّ رُوحَـكَ بِـالْـقُـرْآنِ وَاكْـتَـمَـلِ[1]

السؤال التطبيقي:

كيـف يا ترى وصلت أم المؤمنين عائشـة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إلى هذه المنزلة الإيمانية العظيمة العالية، والعلاقة السامية مع القرآن الكريم؟

الإجابة:

أولًا: بعلمهـا أن القرآن فهمًـا وتدبرًا هو أصل الأصـول لبناء أي شخصية تبحث عن التميز والرفعة في الدنيا والآخرة.

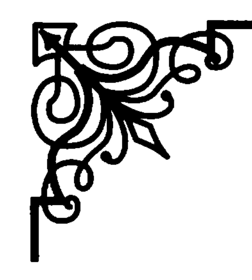
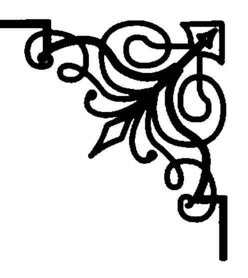
ثانيًـا: كان لها مع القرآن منهجية مخصوصـة، وأوقات مخصوصة ومحددة، تجلس فيها بكل صفاء وحضور ذهن.

ثالثًا: النظر للآيات ولمعاني الكلمات فيها، والسـؤال المستمر عمَّا لا تفهمه منها.

رابعًـا: تدارس القـرآن مع أهله مـن المتخصصين، ومناقشـتهم، والتحاور معهم في تفاصيله.

أخيرًا: كانت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تتمثل القرآن في التطبيق العملي لمعاني الآيات في كل شؤون حياتها.

(١) ديوان الشعاع للشاعر وليد الأعظمي (ص: ٨٥).

[١٤]

عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عالمة وفقيهة

لقد نهلت عائشة من علمه ﷺ، وعلت إلى أن أصبحت عالمة فقهية يرجع إليها الصحابة في حل ما يشكل عليهم من المسائل العويصة، وخاصَّة تلك المتعلقة بالأمور الزوجية، وها هو أبو موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صاحب رسول الله ﷺ يدلي بشهادته التي سجلها التاريخ الإسلامي: «مَا أَشْكَلَ عَلَيْنَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثٌ قَطُّ فَسَأَلْنَا عَائِشَةَ إِلَّا وَجَدْنَا عِنْدَهَا مِنْهُ عِلْمًا»[(١)].

قال الزهري[(٢)]: «لو جُمع علم عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إلى علم جميع أزواج

---

(١) رواه الترمذي في أبواب المناقب، باب من فضل عائشة (ح: ٣٨٨٣)، وصححه الألباني في تخريج المشكاة (٦١٩٤).

(٢) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب القرشي الزهري، ولد سنة ثمان وخمسين، ورأى عشرة من أصحاب رسول اللَّه ﷺ، وكان من أحفظ أهل زمانه وأحسنهم سياقًا لمتون الأخبار وكان فقيها فاضلًا، وتوفي سنة أربع وعشرين ومئة. ينظر في ترجمته: طبقات ابن سعد (٥/ ٣٤٨)، الثقات لابن حبان (٥/ ٣٤٩)، تهذيب الكمال (٢٦/ ٤١٩).

النبي ﷺ، وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل»[1].

وقال عطاء بن أبي رباح[2] وهو أحد تلامذة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كانت عائشة أفقهَ الناس، وأحسنَ الناس رأيًا في العامة»[3].

لقد استثمرت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا السنوات التسع التي قضتها مع النبي ﷺ، في النهل من علمه وحكمته، يحرضها على ذلك لسانٌ سؤولٌ، لا يتوانى عن الاستفهام من النبي ﷺ كلما عرضت لها مسألة تحتاج إلى بيان، فكانت من المكثرين رواية عن النبي ﷺ، وهم: أبو هريرة، وعبد الله بن عمر، وأنس بن مالك، وعائشة، وعبد الله بن عباس، وجابر بن عبد الله، وأبو سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

سَبْعٌ مِن الصَّحبِ فَوقَ الأَلفِ قد نَقَلُوا
مِن الحَدِيثِ عن المُختَارِ خَيرِ مُضَر
أَبُو هُرَيرَةَ، سَعْدٌ، جَابِرٌ، أَنَسٌ
صِدِّيقَةٌ، وابْنُ عَبَّاسٍ، كَذَا ابنُ عُمَر[4]

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٨٨٣).

(٢) اسمه: أسلم، القرشي، الفهري، عامل عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على مكة، ولد في خلافة عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، سمع من عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وانتهت فتوى أهل مكة إليه، وكان ثقةً، فقيهًا، عالمًا، كثيرَ الحديث، وتوفي سنة أربع عشرة ومئة. ينظر في ترجمته: طبقات ابن سعد (٦/ ٢٠)، الثقات لابن حبان (٥/ ١٩٨).

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ١٨٥).

(٤) انظر: قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث (ص: ٧٢).

قال ابن تيمية -في سياق كلام عن التفاضل بين أم المؤمنين خديجة وأم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -: «عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا صحبته في آخر النبوة وكمال الدين، فَحَصَلَ لها من العلم والإيمان ما لم يَحْصُلْ لمن لم يدرك إلا أول زمن النبوة، فكانت أفضل بهذه الزيادة، فإن الأمة انتفعت بها أكثر مما انتفعت بغيرها، وبلغت من العلم وَالسُّنَّةِ ما لم يبلغه غيرها»[1].

وقال الحافظ ابن حجر: «وقد حفظت عنه ﷺ شيئًا كثيرًا، وعاشت بعده قريبًا من خمسين سنة، فأكثرَ الناس الأخذ عنها، ونقلوا عنها من الأحكام والآداب شيئًا كثيرًا حتى قيل: إن ربع الأحكام الشرعية منقول عنها»[2].

وقد تركت لنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تراثًا علميًّا ضخمًا، اختصر مسائل العلم لمن بعدها من العلماء، ووفرت الكثير من الاجتهادات العلميَّة، وذلك من خلال مسلكها في التعلم من رسول الله ﷺ بكثرة سؤالها.

ففي ذات يوم اجتمع الحبيبان على طاعة الرحمن، ومذاكرة أمر القيامة، فجسَّد لها ﷺ صورةً لأحد مواقفها الرهيبة، ووصف أحوال النَّاس في أرض المحشر قائلًا: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا**» وهنا سألت عَائِشَةُ السؤال الذي يخطر على البال تلقائيًّا فقالت: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ؟ فقال ﷺ: «**الأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ**

(١) منهاج السنة النبوية (٤/ ٣٠٣).

(٢) فتح الباري (٧/ ١٠٧).

يُهِمَّهُمْ ذَاكِ»[١].

وبهذا الســؤال رُفِعَ إشــكالٌ كان حتمًا ســيراودُ كلَّ من يسمع هذا الحديث.

وأيضًا: سألتْ عائشـــة رَسُـــولَ اللهِ ﷺ عَنِ الْجَارِيَةِ يُنْكِحُهَا أَهْلُهَا، أَتُسْتَأْمَرُ أَمْ لَا؟ (أي: تُسْتَشَارُ ليُعلمَ رضاها أم لا؟) فَقَالَ ﷺ: «نَعَمْ، تُسْتَأْمَرُ». وهنا تراجعه عائشـــة بذكاء، وهي الفتاة العارفة بطبيعة الفتيات وأحوالهن، فتقول: فَإِنَّهَا تَسْـتَحِي، فَقَالَ ﷺ: «فَذَلِكَ إِذْنُهَا، إِذَا هِيَ سَـكَتَتْ»[٢]. بهذه الفطنة من عائشة زال اللبس في هذه المسألة.

وعَنْ عَمْرَةَ[٣]: «أَنَّ يَهُودِيَّةً أَتَتْ عَائِشَةَ تَسْأَلُهَا، فَقَالَتْ: أَعَاذَكِ اللهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، يُعَذَّبُ النَّاسُ فِي الْقُبُورِ؟ فقَالَ ﷺ: «إِنِّي قَدْ رَأَيْتُكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ كَفِتْنَةِ الدَّجَّالِ». قَالَتْ عَائِشَـــةَ:

(١) رواه البخاري في الرقاق، باب كيف الحشر؟ (ح: ٦٥٢٧)، ومسلم -واللفظ له- في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة (ح: ٢٨٥٩).

(٢) رواه البخـاري فـي النكاح، باب لا ينكـح الأب وغيره البكر والثيـب إلا برضاها (ح:٥١٣٧)، ومسـلم في النكاح، باب اسـتئذان الثيب في النكاح بالنطق، والبكر بالسكوت (ح: ١٤٢٠).

(٣) عمرة بنت عبد الرحمن بن سـعد بـن زرارة الأنصارية المدنيـة، والدة أبي الرجال محمد بن عبد الرحمن الأنصاري، وكانت في حِجْرِ عائشة، قال عمر بن عبد العزيز: «ما بقي أحد أعلم بحديث عائشـة من عمرة». ينظر في ترجمتها: طبقات ابن سـعد (٨/ ٣٥٠)، تهذيب الكمال (٣٥/ ٢٤١)، تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٣٩).

فَكُنْتُ أَسْـمَعُ رَسُـولَ اللهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ، يَتَعَوَّذُ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ»[1].

وفي هذا الموقف لعائشة فوائد، منها:

- أن اليهود يؤمنون بعذاب القبر.
- أن المسلمة تستقبل غير المسلمة ما دامت الفتنة مأمونة.
- أن قبـول ما يقوله أهل الكتاب متوقف على تقرير الشـارع له؛ ولذا ذهبت عائشة تسأل رسول الله ﷺ عما أخبرتها به اليهودية.

وهكذا تتوالى أسئلة عائشة الشغوفة بالعلم على حبيبها ﷺ.

أرأيتم كثرة أسئلة عائشـة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، ودقتها، ووجاهتها، فكل سؤال يكشف الغموض، ويزيل اللبس من مسـائل الشرع، ومن ذلك ما كان في هذا الموقف: رجُلٌ اسْـتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَـالَ: «**ائْذَنُوا لَهُ، فَلَبِئْسَ ابْنُ الْعَشِـيرَةِ**». فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ أَلَانَ لَهُ ﷺ الْقَوْلَ. وهنا تعجبت عَائِشَةُ، فسألت النبـي ﷺ قائلةً: قُلْتَ لَهُ الَّذِي قُلْتَ، ثُمَّ أَلَنْتَ لَهُ الْقَوْلَ؟ فقَالَ: «**يَا عَائِشَـةُ إِنَّ شَـرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْـدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَنْ وَدَعَـهُ، أَوْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ فُحْشِهِ**»[2].

---

(1) رواه البخاري في الكسوف، باب التعوذ من عذاب القبر في الكسوف (ح: ١٠٤٩)، ومسلم في الكسوف، باب ذكر عذاب القبر في صلاة الكسوف (ح: ٩٠٣).

(2) رواه البخاري في الأدب، باب لم يكن النبي ﷺ فاحشًـا ولا متفحشًا (ح: ٦٠٣٢)، ومسلم في البر والآداب والصلة، باب مداراة من يتقى فحشه (ح:٢٥٩١).

هكذا كانت ســؤالات عائشـــة الذكية تفتح أبوابًا من الفقه والعلم لا تنقضي، ولا ينتهي عجبها! ولذا كان يسارع إليها طلاب العلم، ينهلون من معين علمها، حتى أصبحت حُجرتها المباركة وجهة لطلاب العلم، يقصدونها ليتعلموا منها، وإذا اختلفوا في مسائل رجعوا إليها، حتى غدت هذه الحجرة أولى مدارس الإســلام أثرًا في تاريخ الإســلام، فالسؤال أصبح يوجه لعائشة، بعد أن كانت هي التي تَسْأَلُ رسولَ الله ﷺ، صارت هي التي تُسْــأَلُ، فتنقل العلم للأمــة، فهذا التابعي الجليل الأَسْــوَدُ بن يزيد[1] يقول: سَأَلْتُ عَائِشَةَ: مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: «كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ -تَعْنِي: خِدْمَةَ أَهْلِهِ- فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلاَةِ»[2].

وهذا شُرَيْح[3] يقول: سَأَلْتُ عَائِشَةَ: بِأَيِّ شَيءٍ كَانَ يَبْدَأُ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا

(١) أبو عمرو الأســود بن يزيد بن قيس النخعي، كان ثقة، وله أحاديث صالحة، صوامًا قوامًا حجاجًا، توفي بالكوفة سنة خمس وسبعين. ينظر في ترجمته: طبقات ابن سعد (٦/ ١٣٤)، التاريخ الكبير (١/ ٤٤٩)، تهذيب الكمال (٣/ ٢٣٣).

(٢) رواه البخاري فــي الأذان، باب: مــن كان في حاجة أهله فأقيمــت الصلاة فخرج (ح:٦٧٦).

(٣) شريح بن هانئ بن يزيد، أصله من اليمن. أدرك النبي ﷺ ولم يره، وقال ابن عبد البر: «له صحبة». وكان من كبار أصحاب علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وشــهد معه المشاهد، وكان ثقة له أحاديث. ينظر في ترجمته: طبقات ابن ســعد (٦/ ١٨٠)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٧٠٢)، تهذيب الكمال (١٢/ ٤٥٢).

دَخَلَ بَيْتَهُ؟ قَالَتْ: «بِالسِّوَاكِ»[(١)].

وهذا عَلقَمة بن قيس[(٢)] يقول: قُلْتُ لِعَائِشَةَ: هَلْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، يَخْتَصُّ مِنَ الأَيَّامِ شَيْئًا؟ قَالَتْ: «لا، كَانَ عَمَلُهُ دِيمَةً، وَأَيُّكُمْ يُطِيقُ مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُطِيقُ»[(٣)].

وقال: وسألتها عن رَسُولِ اللهِ ﷺ، وعن صلاته بِاللَّيْلِ؟ فَقَالَتْ: «سَبْعٌ، وَتِسْعٌ، وَإِحْدَى عَشْرَةَ سِوَى رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ»[(٤)].

ولم تقتصر الأسئلة على الرجال فحسب، بل أيضًا لتلميذات عائشة كان لهن دورهن في سؤالها، ونقل علمها، وهذا جانب مهم في سيرة عائشة؛ حتى يتضح لبناتنا ونسائنا ما بذلته التابعيات في تعلم العلم وتعليمه من جهد مشكور.

---

(١) رواه مسلم في الطهارة، باب السواك (ح: ٢٥٣).

(٢) علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك، ولدَ في حياة النبي ﷺ، وهو عم الأسود بن يزيد، وعبد الرحمن بن يزيد، وخال إبراهيم النخعي، توفي سنة خمس وستين. انظر في ترجمته: طبقات ابن سعد (٦/ ١٤٦)، تهذيب الكمال (٢٠/ ٣٠٠)، تهذيب التهذيب (٧/ ٢٧٤).

(٣) رواه البخاري في الصوم، باب: هل يخص شيئًا من الأيام (ح:١٩٨٧)، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة العمل الدائم...(ح:٧٨٣).

(٤) رواه البخاري في التهجد، باب: كيف كان صلاة النبي ﷺ؟ وكم كان النبي ﷺ يصلي من الليل؟ (ح: ١١٣٩). مسلم في صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ (ح: ٧٣٨).

وهذه تلميذتها النجيبة معاذة[1] تقول: سَــأَلْتُ عَائِشَةَ فَقُلْتُ: مَا بَالُ الْحَائِــضِ تَقْضِي الصَّــوْمَ وَلاَ تَقْضِي الصَّلاَةَ؟ فَقَالَتْ عائشــة: «أَحَرُورِيَّةٌ أَنْتِ؟!» قُلْتُ: لَسْــتُ بِحَرُورِيَّةٍ، وَلَكِنِّي أَسْــأَلُ. فأجابتها عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كَانَ يُصِيبُنَا ذَلِكَ فَنُؤْمَرُ بِقَضَاءِ الصَّوْمِ وَلاَ نُؤْمَرُ بِقَضَاءِ الصَّلاَةِ»[2].

أي: أخارجيــة أنت؟ لأن طائفة من الخوارج يوجبون على الحائض قضاء الصلاة الفائتة زمن الحيض وهو خلاف الإجماع[3].

ولم يكن علم عائشــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مقتصرًا على علـوم الدين فقط، بل كانــت عالمةً بالطبِّ أيضًا؛ قال عروة[4] لعائشــة: يَا أُمَّتَــاهُ، لاَ أَعْجَبُ مِنْ فَهْمِكِ؛ أَقُولُ: زَوْجَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَبِنْتُ أَبِي بَكْرٍ، وَلَا أَعْجَبُ مِنْ عِلْمِكِ بِالشِّــعْرِ وَأَيَّام النَّاسِ؛ أَقُولُ: ابْنَةُ أَبِي بَكْرٍ، وَكَانَ أَعْلَــمَ النَّاسِ أَوْ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ، وَلَكِنْ أَعْجَبُ مِنْ عِلْمِكِ بِالطِّبِّ كَيْفَ هُوَ؟ وَمِنْ أَيْنَ هُوَ؟ فَضَرَبَتْ

(١) معــاذة بنت عبد اللــه العدوية، امْــرَأَةُ صِلَةِ بنِ أَشْــيَم، تروي عن عائشــة، وكانت مــن العابدات. ينظر في ترجمتهــا: طبقات ابن ســعد (٨/ ٣٥٢)، تهذيب الكمال (٣٥/ ٣٠٨)، تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٥٢).

(٢) رواه البخاري في الحيض، باب: لا تقضي الحائض الصلاة (ح: ٣٢١)، مســلم في الحيض، باب وجوب قضاء الصوم على الحائض(ح: ٣٣٥)، واللفظ له.

(٣) فتح الباري لابن حجر (١/ ٤٢٢).

(٤) عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد القُرَشِــي الأسدي، مدني تابعي ثقة، وكان رجلًا صالحًا، لم يدخل في شيء من الفتن، توفي سنة تسع وتسعين، أو إحدى ومائة. انظر في ترجمته: طبقات ابن ســعد (٥/ ١٣٦)، التاريخ الكبير (٧/ ٣١)، تهذيب الكمال (٢٠/ ١١).

عَلَى مَنْكِبِهِ، وَقَالَتْ: «أَيْ عُرَيَّةُ[1]، إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَسْقَمُ عِنْدَ آخِرِ عُمْرِهِ، أَوْ فِي آخِرِ عُمْرِهِ، فَكَانَتْ تَقْدَمُ عَلَيْهِ وُفُودُ الْعَرَبِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، فَتَنْعَتُ لَهُ الْأَنْعَاتَ، وَكُنْتُ أُعَالِجُهَا لَهُ، فَمِنْ ثَمَّ»[2].

لله درك أيتها الطبيبة، طب قلوب، وطب أجساد، رضي الله عنك وأرضاك، وأمثالُ ذلك كثير في كتب الحديث.

وقال عروة أيضًا: «ما رأيت أحدًا من الناس أعلم بالقرآن، ولا بفريضة، ولا بحلال، ولا حرام، ولا بشعر، ولا بحديث العرب، ولا بنسب من عائشة»[3].

إذًا كانت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من أعلم الناس بأسباب نزول كثير من آيات القرآن، واستنباط الأحكام منها.

إنها عائشة عالمة، وفقيهة، يتعجب المرء عندما يقرأ في رواياتها، وفي سيرتها، وفي تنوع ثقافتها، وهذه رسالة لكل فتاة ولكل بنت، أن تجعل عائشة قدوةً لها، فتقرأ وتنظر وتتأمل، كيف كانت عائشة في عموم حياتها! تستحق فعلًا أن تكون قدوة، وتستحق أن يقضي الكثير من البنات والفتيات،

(١) تصغير لاسم عروة.

(٢) رواه أحمد في مسند النساء، مسند الصديقة عائشة بنت الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ح:٢٤٣٨٠)، والحاكم في المستدرك في معرفة الصحابة، ذكر الصديقة بنت الصديق عائشة بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ح: ٦٧٣٧).

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية (٢/ ٤٩).

بل حتى والله الرجال والشـــباب في النظر في سيرة عائشة وقراءتها أوقاتًا طويلة، ليس في جانب العلم فقط، بل في كل أحوالها.

السؤال التطبيقي:

كيف وصلت عائشـــة الفتاة الصغيرة إلى هذه المكانة العلمية، حتى صارت معلمة للرجال وللأجيال؟

الإجابة:

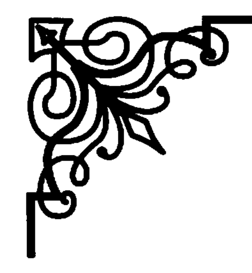
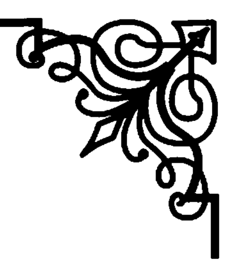
أولًا: لم تقف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عاجزة كأنثى، بل وصلت بقوة شـــخصيتها، وهمتها وعزيمتها، وبذاكرتها وذكائها الحاد.

ثانيًا: كان لنشأتها في بيت علم وإيمان أثرٌ كبيرٌ في بلوغها هذا المبلغ.

ثالثًـــا: زواجها المبكر من الرســـول ﷺ، مع كثـــرة نزول الوحي في حجرتها، كان له أثرٌ كبيرٌ في علمها.

رابعًا: حبها للعلم وللمعرفة، وكثرة أسئلتها ومراجعاتها للرسول ﷺ ولكبار الصحابة.

خامسًـــا وأخيرًا: إيمانها بالله، وإخلاصها الشديد لقضيتها، وهدفها الواضح تمامًا في حياتها.

[١٥]

عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا غيورًا

هل تغار عائشــة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا وهي من فضليات نســاء العالمين؟! فقد أخبر النبي ﷺ فقال: «**وَفَضْلُ عَائِشَــةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ**»(١).

نعم، عائشة تغار؛ ولِـم العجب من غيرتها؟!

أليست هي أنثى؟ والإسلام لا يكبت الطبائع، وإنما يهذبها ويهديها السبيل الأقوم.

فعائشــة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا مهما كمل عقلها، ومهما بلغ شأنها، ومهما علت درجتها، وسمت مكانتها؛ في النهاية هي أنثى، وفيها فطرة الأنثى، ولم تكن عائشة إلا واحدة من النساء، لها مثل ما لهن من الغيرة والمنافسة التي جبلن عليها.

---

(١) رواه البخــاري في أصحــاب النبي ﷺ، باب فضل عائشــة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا (ح: ٣٧٦٩)، ومسلم في فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا (ح: ٢٤٣١).

إذًا غيرتها نابعة من شـدَّة حبها لرسـول الأمة ﷺ، ففطرتها الأنثوية تعـارض أن يزاحمها في حبه أحد من النسـاء، والغيرة في النسـاء طبع، وليسـت صفة سـلبية، ولا عيبًا، إلا إذا تجـاوزت الحدَّ المسـموح به، يقول ﷺ: «أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَـعْدٍ، فواللَّهِ لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّي، مِنْ أَجْلِ غَيْرَةِ اللَّهِ حَرَّمَ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ»[١].

فيا تُرى كيف كانت غيرة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؟!

فمن المعلـوم أن النبي ﷺ له زوجات أخريات، يقاسـمنها العيش والحظ من رسول الله ﷺ، وأول زوجات النبي ﷺ كما هو معلوم خديجة بنت خويلد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وقد تزوجها ﷺ وعمره خمس وعشـرون سـنة[٢]، وماتت قبل الهجرة بثلاث سـنوات[٣]، يعني: اسـتأثرت خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وحدها بثلثي عمره ﷺ زوجًا.

تقول عائشـة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «لَمْ يَتَـزَوَّجِ النَّبِيُّ ﷺ عَلَـى خَدِيجَةَ حَتَّى مَاتَتْ»[٤]، وكانت منها فقط الذرية للنبي ﷺ.

(١) رواه البخـاري فـي التوحيـد، باب قـول النبي ﷺ: «لا شـخص أغير مـن الله» (ح:٧٤١٦)، ومسـلم في الطلاق، باب انقضاء عدة المتوفى عنها زوجها، وغيرها بوضع الحمل (ح: ١٤٩٩).

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ١٨٧).

(٣) طبقات ابن سعد (٨/ ١٥).

(٤) رواه مسـلم فـي فضائل الصحابـة، باب فضائـل خديجـة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ح:٢٤٣٦).

الجميـــل أن كثيرًا ممـــا وصلنا من أخبـــار خديجـــة كان مما روته عائشـــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، مع أنها تقول: «مَا غِرْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ عَلَى امْرَأَةٍ مِنْ نِسَـــائِهِ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ؛ لِكَثْرَةِ ذِكْرِهِ إِيَّاهَا وَمَا رَأَيْتُهَا قَطُّ»[1]؛ لأنها ماتت قبل أن يتزوج النبي ﷺ عائشة، وهذا من وفائه صلوات الله وسلامه عليه.

وتقول عائشـــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «مَا حَسَـــدْتُ امْرَأَةً مَا حَسَـــدْتُ خَدِيجَةَ، وَمَا تَزَوَّجَنِي رَسُـــولُ اللهِ ﷺ إِلاَّ بَعْدَ أن مَاتَتْ، وَذَلِكَ أَنَّ رَسُـــولَ اللهِ ﷺ بَشَّرَهَا بِبَيْتٍ فِي الجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ، لاَ صَخَبَ فِيهِ وَلاَ نَصَبَ»[2].

ومـــرَّةً من المرات غلبـــت الغيرةُ عائشـــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ولم تتمكن من التغلب على تلك المشاعر الأنثوية، فقالت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا ذَكَرَ خَدِيجَةَ أَثْنَى عَلَيْهَا، فَأَحْسَـــنَ الثَّنَاءَ، فَغِرْتُ يَوْمًا، فَقُلْتُ: مَا أَكْثَرَ مَا تَذْكُرُهَا حَمْرَاءَ الشِّدْقِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا خَيْرًا مِنْهَا»[3].

وفي الصحيحين: «مَا تَذْكُـــرُ مِنْ عَجُوزٍ مِنْ عَجَائِـــزِ قُرَيْشٍ، حَمْرَاءِ

---

(١) رواه مسـلم فـي فضائل الصحابـة، باب فضائـل خديجـة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ح:٢٤٣٥).

(٢) رواه الترمـذي في المناقب عن رسـول الله ﷺ، في بـاب فضل خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ح:٣٨٧٦)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٥٥٤).

(٣) رواه أحمـد في مسـند النسـاء، مسـند الصديقة عائشـة بنـت الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ح:٢٤٨٦٤)، وقال الأرنؤوط ومن معه في تحقيق المسند (٤١/ ٣٥٦): «حديث صحيح، وهذا سند حسن في المتابعات.

الشِّدْقَيْنِ[1] هَلَكَتْ فِي الدَّهْرِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا»[2].

قالتها دون أن تُحكم السـيطرة على مشـاعرها، لكنَّها ما إن عرفت الغضب فـي وجه النبي ﷺ حتى شـعرت بحجم الخطأ الـذي ارتكبته، تقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ غَضِبَ غَضَبًا سَقَطَ فِي جِلْدِي، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: اللهُمَّ إِنَّكَ إِنْ أَذْهَبْتَ عَنِّي غَضَبَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَمْ أَذْكُرْهَا بِسُوءٍ مَا بَقِيتُ. فَلَمَّا رَأَى رَسُـولُ اللهِ ﷺ الَّذِي قَدْ لَقِيـتُ، قَالَ: «كَيْفَ قُلْتِ؟! وَاللهِ لَقَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَـرَ بِيَ النَّاسُ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَرُزِقَتْ مِنِّي الْوَلَدَ إِذْ حُرِمْتِيهِ مِنِّي»، فَغَدَا بِهَا عَلَيَّ وَرَاحَ شَهْرًا[3].

وفي لفظ قال ﷺ: «مَا أَبْدَلَنِي اللـهُ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرًا مِنْهَا، قَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَوَاسَـتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النِّسَاءِ»[4].

---

(١) أي: عجوز كبيرة جدًّا حتى سـقط أسـنانها من الكبر، ولم يبق لشدقها بياض شيء من الأسنان إنما بقي فيه حمرة لثتها. انظر: إكمال المعلم (٧/ ٤٤٣)، فتح الباري (٧/ ١٤٠).

(٢) رواه البخاري فـي مناقب الصحابة، باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ح: ٣٨٢١)، ومسلم في فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ح: ٢٤٣٥).

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير، في أزواج رسول الله ﷺ، مناقب خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ح: ٢١). وقال الألباني في الضعيفة (١٣/ ٤٨٤، ح: ٦٢٢٤): «ضعيف بهذا التمام».

(٤) رواه أحمـد في مسـند النسـاء، مسـند الصديقة عائشـة بنـت الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ح: ٢٤٨٦٤)، وقال الأرنؤوط وزملاؤه في تحقيقهم للمسند (٤١/ ٣٥٦): «حديث صحيح، وهذا سند حسن في المتابعات».

ففي هذه المشـكلة الزوجية سرعان ما تراجعت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن خطئها، وندمت واستغفرت، وتابت واعتذرت، وهـذا لا يفعله إلا كبار النفوس، فالرجوع عن الخطأ فضيلة.

ومن طهارة قلب عائشـة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وتعقلها، واعتدالهـا في الغيرة، وإنصافهـا أنها لا تجد أي غضاضة في أن تـروي فضائل خديجة، وتذكر مكانتها عند رسول الله ﷺ، وشـدة حنينه إليها، وعظم محبته لها، ونقلت ذلك للأمة علمًا تتوارثـه الأجيال عبر العصور! ولم تمنعها الغيرة من نقل هذه المواقف التي تظهر شدة تعلق النبي ﷺ بخديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فهي ترى أنَّها أمانةٌ ينبغي إبلاغها للأمة، لا سـيما وأن هـذه المواقف تعكس وفاء النبي ﷺ لزوجه الأولى وأم أولاده.

وهذا يؤكد طهارة قلبها، ونقاء سـريرتها، وتذكر عائشـة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن هالة بنت خويلد أخت خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا اسـتأذنت يومًا على النبي ﷺ فعرفها بصوتها، الصـوت كصوت خديجـة «فَعَرَفَ اسْـتِئْذَانَ خَدِيجَةَ، فَارْتَاعَ[1] لِذَلِكَ ﷺ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ هَالَةَ». قَالَتْ عائشة: فَغِرْتُ...»[2].

لم تكن هالة وحدها التي يُكرمها النبي ﷺ من أجل خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛

(١) أي: تغير واهتز؛ سرورًا بذلك.

(٢) رواه البخاري في مناقب الأنصار، بـاب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ح: ٣٨٢١)، ومسلم في فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ح: ٢٤٣٧).

بل حتى صديقات خديجة، تقول عائشة: جَاءَتْ عَجُوزٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ عِنْدِي، فَقَالَ: لَهَا رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَنْتِ؟» قَالَتْ: أَنَا جَثَّامَةُ[١] الْمُزَنِيَّةُ، فَقَالَ: «بَلْ أَنْتِ حَسَّـانَةُ الْمُزَنِيَّـةُ، كَيْفَ أَنْتُمْ؟ كَيْفَ حَالُكُـمْ؟ كَيْفَ كُنْتُمْ بَعْدَنَا؟» قَالَتْ: بِخَيْرٍ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُـولَ اللَّـهِ، فَلَمَّا خَرَجَتْ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تُقْبِلُ عَلَى هَذِهِ الْعَجُوزِ هَذَا الْإِقْبَالَ؟ فَقَالَ: «إِنَّهَا كَانَتْ تَأْتِينَا زَمَنَ خَدِيجَةَ، وَإِنَّ حُسْنَ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ»[٢].

وقد كانت عائشـــة تنقل تلك المواقف وهـــي تتعجب من عظم وفاء الحبيب ﷺ، فمن ذلك قولها: كَانَ رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا ذَبَحَ الشَّـاةَ فَيَقُولُ: «أَرْسِلُوا بِهَا إِلَى أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ».

فيتملكها العجب من هذا الوفاء، فتســأله بدهشـــة عن اهتمامه ﷺ بإرســال اللحم إلى أصدقاء خديجة قائلةً: خَدِيجَةَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا»[٣].

فلم تدفع الغيرة عائشـــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لإخفاء تلـــك المنزلة الفريدة التي

---

(١) الجَثَّامــةُ والجُثَـمُ: البليد، الــذي لا يبرَحُ مِــنْ محلِّه وبلدته. ينظر: لســان العرب (٣/ ٣٨٥)، تاج العروس (٣١/ ٣٦٩).

(٢) رواه الحاكم في المســتدرك، في الإيمان (ح: ٤٠) وقال: «هذا حديث صحيح على شــرط الشيخين؛ فقد اتفقا على الاحتجاج برواته في أحاديث كثيرة، وليس له علة»، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في الصحيحة (ح: ٢١٦).

(٣) رواه مسلم في فضائل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ح: ٦٤٣١).

حظيت بها أم المؤمنين خديجة في قلب النبي ﷺ، أو طمس بعض معالمها، أو التقليل من حجمها؛ بل كان الوازع الإيماني بنفسها هو الأقوى.

بل لقد كانت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تكرم وتُجلُّ وتحسِنُ إلى فاطمة الزهراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ابنة خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وهي القطعة الحية الباقية منها، كانت عائشة منصفة تقيَّة، تحترم وتقدر ذكريات النبي ﷺ وخصوصياته، فَلنِعْمَ الزوجة كنتِ يا أمَّ المؤمنين.

فعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تغار من خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لكن حين ترى غيرتها تُغضب زوجها تتراجع لضبط مشاعرها؛ بل وتندم مباشرة، وتبرر غيرتها للنبي ﷺ بكل دلال وعذوبة، فتقول: «وَمَا لِي لَا يَغَارُ مِثْلِي عَلَى مِثْلِكَ؟»[1].

ما أحسنه وما أبلغه من تعبير! تداركت غيرتها فحولتها لرسالة حب وقرب، فما أرقه من تبرير يفيض مودةً وحبًّا ودلالًا! وحُقَّ والله لها أن يغار مثلُها على مثلِه ﷺ.

فأي عقل هذا الذي يُحول الغيرة لقرب ودلال، وعدل وإنصاف، فالغيرة في الحياة الزوجية كالماء للوردة، قليله يُنعش، وكثيره يقتل.

والحب الكبير يُولّد الغيرة، والغيرة الشديدة تقتل الحب. فلله درك يا عائشة، فقد علمتنا كيف تكون الغيرة إيجابية!

(١) رواه مسلم في صفة القيامة والجنة والنار، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قرينًا (ح: ٢٨١٥).

هذه مواقف عائشة مع خديجة، أمَّا مواقفها مع باقي أمهات المؤمنين فهي كثيرة، ومنها:

في قصة الإفك تروي عائشـــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كَانَ ﷺ يَسْـــأَلُ أم المؤمنين زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ عَنْ أَمْرِي، فَقَالَ: «يَا زَيْنَبُ، مَا عَلِمْتِ؟ مَا رَأَيْتِ؟» فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهَا إِلَّا خَيْرًا.

فقَالَتْ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في وصف زينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : «وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي[1]، فَعَصَمَهَا اللَّهُ بِالوَرَعِ»[2].

فأثنت عائشة على ضرتها زينب رضوان الله تعالى عليهن أجمعين، وشـــهدت لها بالورع، رغم أنها هي التي تنافســـها على زوجها، فلم تُخفِ عائشة أو تكتم فضائل زينب بدافع الغيرة.

بـــل أكثر من ذلك تُنصف زينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وتصفها بالفضائل، فتقول: «لَـــمْ أَرَ امْرَأَةً قَطُّ خَيْرًا فِـــي الدِّينِ مِنْ زَيْنَبَ، وَأَتْقَى لِلَّـــهِ، وَأَصْدَقَ حَدِيثًا، وَأَوْصَـــلَ لِلرَّحِمِ، وَأَعْظَمَ صَدَقَةً، وَأَشَـــدَّ ابْتِذَالًا لِنَفْسِـــهَا فِي الْعَمَلِ الَّذِي تَصَـــدَّقُ بِهِ، وَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، مَا عَدَا سَـــوْرَةً[3] مِنْ حِدَّةٍ كَانَتْ فِيهَا

(١) أي: تعاليني وتفاخرنـــي، وهو مفاعَلة من السُّـــمُوِّ: أي: تُطاوِلُني في الحُظْوة عنده. النهاية في غريب الحديث(٢/ ٤٠٥).

(٢) رواه البخاري في الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضًا (ح: ٢٦٦١)، ومسلم في التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف (ح: ٢٧٧٠).

(٣) السورة: الثوران وعجلة الغضب. انظر: إكمال المعلم (٧/ ٤٥٠).

تُسْرِعُ مِنْهَا الْفَيْئَةَ»[1].

يا الله، ما أحلاك وأنصفك يا عائشـــة! دقة في الوصف، حدّة سريعة الفيئة، سريعة تلوم نفسها فيما صدر عنها، فترجع عن غيرتها، هكذا وصفت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وتقول عائشة -أيضًا- عن أم المؤمنين جويرية بنت الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «وَقَعَتْ جُوَيْرِيَةُ بِنْـتُ الْحَارِثِ بْنِ الْمُصْطَلِقِ فِي سَـهْمِ ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَـمَّاسٍ، -أَوِ ابْنِ عَمٍّ لَهُ- فَكَاتَبَتْ عَلَى نَفْسِـهَا، كَانَتِ امْـرَأَةً مَلَّاحَةً[2]، تَأْخُذُهَا الْعَيْنُ[3]..».

إلى أن قالــت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «ما رَأَيْنَا امْرَأَةً كَانَتْ أَعْظَمَ بَرَكَةً عَلَى قَوْمِهَا مِنْهَا، أُعْتِقَ فِي سَبَبِهَا مِائَةُ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ»[4].

إذًا فقد أثنت عائشة عليها رغم ما رأته فيها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وأيضًا تروي عائشـــة عن أم حبيبة بنت أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فتقول:

(١) رواه مسلم في فضائل الصحابة ي، باب في فضل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ح: ٢٤٤٢).

(٢) أي: شديدة المَلاَحَةِ، وهو من أبنية المبالغة. ينظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود (١٠/ ٣١٤).

(٣) أي: لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه. ينظر: المصدر السابق.

(٤) رواه أبــو داود في العتق، بـــاب في بيع المكاتب إذا فســخت الكتابة (ح: ٣٩٣١)، وأحمد في مسند النساء، مسند الصديقة عائشة بنت الصديقة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ح: ٢٦٣٦٥)، وحسنه الألباني في الإرواء (ح: ١٢١٢).

«دَعَتْنِي أُمُّ حَبِيْبَةَ عِنْدَ مَوْتِهَا، فَقَالَتْ: قَدْ كَانَ يَكُوْنُ بَيْنَنَا مَا يَكُوْنُ بَيْنَ الضَّرَائِرِ، فَغَفَرَ اللهُ لِي وَلَكِ مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ. فَقُلْتُ: غَفَرَ اللهُ لَكِ ذَلِكَ كُلَّهُ، وَحَلَّلَكِ مِنْ ذَلِكَ. قَالَتْ: فَسَــرَرْتِنِي سَرَّكِ اللهُ، وَأَرْسَــلَتْ إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فَقَالَتْ لَهَا مِثْلَ ذَلِكَ»[1].

يا الله! أي نســاء كن رضوان الله تعالى عليهن، حتى في الغيرة أدب وتقوى واحترام!

تصف عائشـــة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فتقول: «أَمَا أَنَّهَا كَانَتْ مِنْ أَتْقَانَا لِلَّهِ عز وجل، وَأَوْصَلَنَا لِلرَّحِمِ»[2].

وبالرجوع لبشــرية عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وأنوثتها، هي بَشَــرٌ وامرأةٌ تغارُ كغيرها، فقــد قالت مرة لِلنَّبِيِّ ﷺ: حَسْــبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَــذَا وَكَذَا، تَعْنِي: قَصِيرَةً، فَقَالَ ﷺ: «لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ»[3].

لقــد كانت صفية تغلب نســاء النبي ﷺ أيضًا بجــودة الطهي، فعَنْ

(١) رواه ابن ســعد في الطبقات الكبرى (٨/ ٧٩)، والحاكم في المســتدرك، في معرفة الصحابة، ذكر أم حبيبة بنت أبي سفيان رَضِيَ اللهُ عَنْهَا (ح: ٦٧٧٣).

(٢) رواه الحاكم في المســتدرك، في معرفــة الصحابة، ذكر أم المؤمنيــن ميمونة بنت الحارث رَضِيَ اللهُ عَنْهَا (ح: ٦٧٩٩).

(٣) رواه أبــو داود في الأدب، باب في الغيبــة (ح: ٤٨٧٥)، والترمذي في أبواب صفة القيامــة والرقائــق والــورع (ح: ٢٥٠٢)، وصححه الألباني فــي صحيح الجامع (ح:٥١٤٠).

عَائِشَـــةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ صَانِعَةَ طَعَـــامٍ مِثْلَ صَفِيَّةَ، أَهْدَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ إِنَاءً فِيهِ طَعَامٌ، فَمَا مَلَكْتُ نَفْسِي أَنْ كَسَرْتُهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا كَفَّارَتُهُ؟ فَقَالَ: «إِنَاءٌ كَإِنَاءٍ، وَطَعَامٌ كَطَعَامٍ»(١).

هكذا كانت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في غيرتها وإنصافها أيضًا، فهي أنثى قد تغلبها الغيرة التي جُبِلَت عليها إلا أنها ســرعان ما تتراجع عنها إذا علمت أنها تعدَّت حدَّها المسموح به، فرحم الله عائشة كانت شديدة الغيرة إلا أنها أيضًا وقَّافة عند حدود الله، منصفة، تراجع نفسها.

وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: أين كنت يا رســول الله منذ اليوم؟ فقال: «عند أم سلمة» قالت: ما تشــبع من أم سلمة؟! فتبسم ﷺ، فإذا هي تقول: يا رســولَ اللهِ أَلَا تُخْبِرُنِي عَنْكَ، لَوْ أَنَّكَ نَزَلْتَ بِعُدْوَتَيْنِ، إِحْدَاهُمَا لَمْ تُرْعَ، وَالْأُخْرَى قَدْ رُعِيَــتْ، أَيُّهُمَا كُنْتَ تَرْعَى؟ قَالَ: «الَّتِي لَــمْ تُرْعَ» قالتْ: فَأَنَا لَسْتُ كَأَحَدٍ مِنْ نِسَــائِكَ، كُلُّ امْرَأَةٍ مِنْ نِسَائِكَ قَدْ كَانَتْ عِنْدَ رَجُلٍ، غَيْرِي، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ(٢).

ســبحان الله! ذكاء ولباقة، وحسن منطق وبرهان، والبحث عن رضا

---

(١) رواه النســائي في عشــرة النســاء، باب الغيرة(ح: ٣٩٥٧)، وأبــو داود في أبواب الإجارة، باب فيمن أفســد شــيئًا يغرم مثله(ح: ٣٥٦٨)، وأحمد في مســند النساء، مسند الصديقة عائشة بنت الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ح: ٢٥١٥٥)، وحسن إسناده الحافظ في فتح الباري(٥/ ١٢٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع(ح: ١٤٤٩).

(٢) رواه ابن ســعد في الطبقات الكبرى (٨/ ٦٣)، وأخــرج البخاري نحوه في النكاح، باب نكاح الأبكار (ح: ٥٠٧٧) دون قولها: «ما تشبع من أم سلمة؟ فتبسم ﷺ».

زوج كريم.

كانت عائشـــة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا بحديثها عن زوجات النبي تتحدث عنه ﷺ، فقد علمتنا عائشـــة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا كيف تَعَايَش النبـــي ﷺ زوجًا مع كل أزواجه بكل عدل وإنصاف، علمتنا كيف كان ﷺ ينتصر لصاحب الحق، وإن كان من يناله من أقرب الأحباب.

السؤال التطبيقي:

كيف استطاعت عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا أن تسيطر على غيرتها، وأن تجعلها غيرة إيجابية متزنة منصفة؟

أولًا: علـــم عائشـــة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا وإيمانها دلَّاها علـــى الحكمة والعقل الراجح، والذي هو أساس السعادة الزوجية.

ثانيًا: اجعل الغيرة الزوجية وســـيلة للتحبـــب والقرب، فهي جميلة عندما تكون معتدلة، وبَلِيَّة عندما تكون مليئة بالشكوك والريبة.

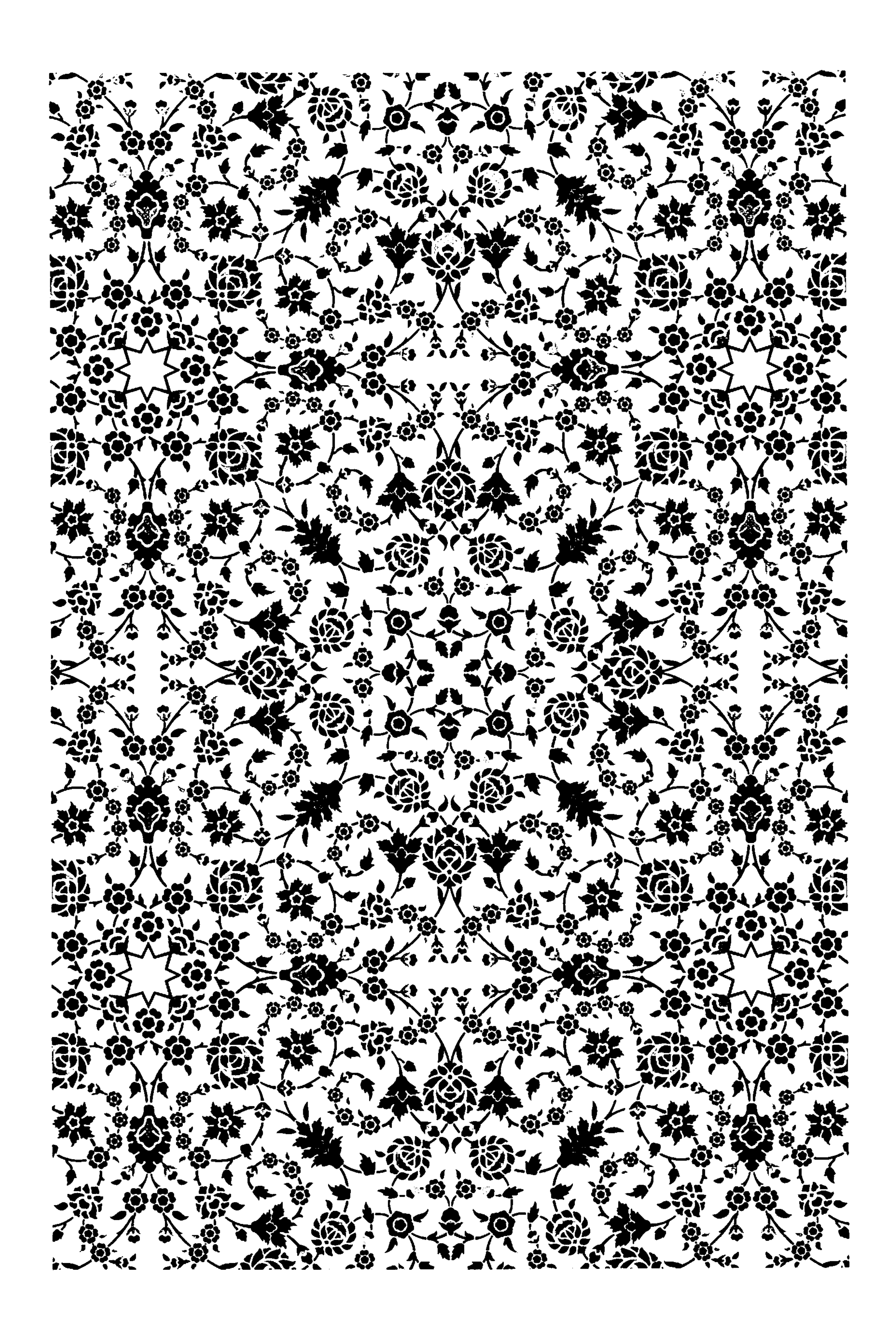
ثالثًا: الخوف من الله، مع الرضا بما قسم الله وقضاه، وتوطين النفس على قبول الأمر الواقع، وحمد الله على كل حال يزيد من الأمن والسكون النفسي للفرد.

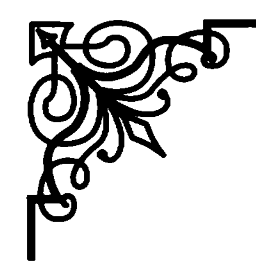
رابعًا: تربية النفس، والإكثار من الدعاء: فلما قالت أم سلمة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا:

«وَأَنَا غَيُورٌ»، أرسل لها ﷺ ردًّا عليها: «وَأَدْعُو اللهَ أَنْ يَذْهَبَ بِالْغَيْرَةِ»[1].

خامسًا وأخيرًا: الثقة بين الطرفين ضرورة، وضبط العواطف والانفعالات مهم، وثق أن المتضرر بالإفراط في الغيرة هو الغيور نفسه.

(١) رواه مسلم في الجنائز، باب ما يقال عند المصيبة (ح: ٩١٨).






[١٦]
عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا سياسيةً

لن ندخل في نزاعات ومتاهات السياســة أبدًا، إنما نشير إلى مكانة عائشــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ومساهمتها في هذا المجال، وقد قضت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ســنوات عمرها في توازن عجيب، إذ لم تُشــغلها الطاعات من: الصلاة، والصيام، والقرآن، والعلم؛ عن التفاعل مع قضايا المســلمين، وحســبنا شهادة أسد المعارك، ورابع الخلفاء الراشدين، وصهر النبي ﷺ، وابن عمه: علي بن أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذ يقول بحق عائشــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «لَوْ كَانَتِ امْرَأَةٌ تَكُونُ خَلِيفَةً لَكَانَتْ عَائِشَةُ خَلِيفَةً»[1].

هذه الشــهادة من علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نابعة من علمه بســعة إدراك عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وكفاءتها في معالجة الواقع وأزمات المسلمين آنذاك، فلم يصفها بأنها تصلح كأمير أو ملِك، وإنما قال: «خليفة»! بكل ما تحمله الكلمة من التزامات وصلاحيات، ومهام وأعباء! فالملك قهرمان[2]، والنساء ريحان،

---

(١) رواه اللالكائي في شــرح أصول اعتقاد أهل الســنة والجماعة (ح:٢٧٦١)، وانظر: طبقات الفقهاء للشيرازي (ص: ٤٧).

(٢) أي: المُسَيْطِرُ الحَفِيظ عَلَى مَنْ تَحْتَ يَدَيْه. ينظر: لسان العرب (١٢/ ٤٩٦).

والخليفة قائم بالميزان كما يقولون.

إنها عائشة المجاهدة، ليس بالقول والحجة فقط؛ بل بالمساهمة في ميادين القتال، ولو أن جبلَ أُحدٍ ينطق، لسـرد على أسماعنا مشاهداته في تلك المعركة التي كانت بين المسلمين ومشركي مكة في السنة الثالثة من الهجرة، وسيحكي لنا عن تلك الفتاة التي كانت تحمل قِربة الماء، وتركض بها في سـرعة وحماس؛ فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَـالَ: «لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ، انْهَـزَمَ النَّاسُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: وَلَقَدْ رَأَيْتُ عَائِشَـةَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ، وَأُمَّ سُـلَيْمٍ وَإِنَّهُمَا لَمُشَمِّرَتَانِ، أَرَى خَدَمَ سُـوقِهِمَا تَنْقُزَانِ[1] القِرَبَ، وَقَالَ غَيْـرُهُ: تَنْقُلاَنِ القِرَبَ عَلَى مُتُونِهِمَا، ثُمَّ تُفْرِغَانِهِ فِي أَفْوَاهِ القَوْمِ، ثُمَّ تَرْجِعَانِ فَتَمْلآَنِهَا، ثُمَّ تَجِيئَانِ فَتُفْرِغَانِهَا فِي أَفْوَاهِ القَوْمِ»[2].

كانت مواقفُها السياسـية تفيـض حكمةً وبصيـرةً، وعقلًا وحنكةً؛ فقد كانـت رابطة الجـأش، ثابتـة القلب والنفـس، لم تُزعزعها شـدة المصائب،ولم تهـز كيانها الفتن، بل كانت دائمـة الدفاع عن الحق، وعن المستضعفين والمظلومين، خاصة من النساء، ومن الأيتام والصغار.

فمن منطلق الشعور بالمسـؤولية، وعلى أساس من العلم والحكمة ومعرفـة الواقع، كانت عائشـة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تشـارك بإيجابيـة في الأحداث

---

(١) من النقز وهو: الوثب والإسراع في المشي. انظر: فتح الباري لابن حجر (٦/ ٧٨).

(٢) رواه البخاري في الجهاد والسير، باب غزو النساء وقتالهن مع الرجال (ح: ٢٨٨٠)، ومسلم في الجهاد والسير، باب غزوة النساء مع الرجال (ح:١٨١١).

السياسية التي تقع في عصرها بحسب ما تقتضيه الظروف والأحوال.

ففي عهد أبيها الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم تكن الظروف تقتضي أن يكون لها دور سياسي بارز، فقد كان جُل اهتمامها بتعليم الناس، وتبصيرهم في دينهم، فقد كانت تُسأل فتجيب، وتُحدث من أتاها سائلًا عن السنن التي عايشتها مع النبي عليه الصلاة والسلام، عملًا بقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤]، والمقصود بالحكمة هنا: سنة النبي ﷺ، وما كان يجري في بيته من أحوال.

وها هي عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا توضّح تدرج الظروف السياسية وتغير الأحوال، فتقول: «قُبض رسول الله ﷺ واشرأب النفاق، ونزل بأبي ما لو نزل على الجبال الراسيات لهاضها»(١).

ثم بيّنت حزم الخليفة أبي بكر بقولها: «فما اختلفوا في نقطة إلا طار أبي بحظها وثناها»(٢).

وقد كانت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تفتي في عهد أبيها أبي بكر وعمر وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إلى أن ماتت يرحمها الله، وكان الأكابر من أصحاب

---

(١) أي: كسرها: والهيض: الكسر بعد الجبر. وهو أشدّ ما يكون من الكسر. وقد هاضه الأمر يهيضه. ينظر: النهاية في غريب الحديث (٥/ ٢٨٨).

(٢) رواه الإمام أحمد في فضائل الصحابة (ح: ٦٨)، وابن أبي شيبة في مصنفه (ح:٣٧٠٥٥).

رســول الله ﷺ عمر وعثمان بعده يرســلان إليها فيسألانها عن السنن[1]، وعَنْ القاســم بن محمد[2] قال: «كَانَتْ عَائِشَــةُ قَدِ اسْــتَقَلَّتْ بِالْفَتْوَى فِي خِلافَةِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَهَلُمَّ جَرًّا إِلَى أَنْ مَاتَتْ يَرْحَمُهَا اللَّهُ، وَكُنْتُ مُلازِمًا لَهَا مَعَ بِرِّهَا بِي»[3].

وبعــد مقتل عمــر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تغيــر الوضع بــأمِّ المؤمنيــن في عهد عثمــان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ نظرًا للفتنــة التي حدثت بيــن الصحابة آنــذاك، وكان المنافقون يثيرون نقعها بخفاء ومكر عجيب، فوجدت عائشــة نفسها فجأة تظهر في واقع سياســي جديد، وأخــذ الناس يرجعون إليهــا في الوقائع والأحداث، حتى كبار الصحابة كانوا يتلمسون عندها نَفَسَ رسول الله ﷺ وحِكمتَه، خاصة في الفتن، وعند اضطراب الأمور.

تطورت مشاركات عائشة السياســية في نهاية عهد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لكن يجــب أن لا يُخلطَ بيــن غضب عائشــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ونُصحها للخليفة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في بعــض تصرفاته، وبيــن ما كان تفعل الفئــة الخارجة على الخليفة وعلى الشــرع، فمراجعات عائشــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عثمان كان من باب إســداء النصح والتوجيه للخليفة، وهذا واجب عليهــا باعتبارها أمًّا للمؤمنين، ومرجعًا شــرعيًّا، فقد كانــت بعلمها وحنكتهــا تُدرك أن من أهم الأســباب في حصول تلــك النزاعات، هو كيد ومكر المندســين في

(١) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٧٥)، وتهذيب الكمال (٢٠/ ١٧).

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٢/ ٢٨٦).

الصفوف، ودسائس المنافقين والمتربصين، ممن تظاهروا بالإسلام ولم يتمكنوا من العمل ضده أو حتى النيل منه، إلا عند حدوث الفتنة في أواخر عهد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فبعد مقتل عثمان كانت حينها في طريقها من مكة إلى المدينة، سمعت بالخبر فعادت إلى مكة، حزينة متألمة لمقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم خرجت تقول في الناس: «أيها الناس، إن الغوغاء من أهل الأمصار وأهل المياه وعبيد أهل المدينة، اجتمعوا على هذا الرجل المقتول ظلمًا بالأمس، ونقموا عليه استعمال من حَدَثَتْ سِنُّه، وقد استُعمِلَ أمثالُهم قبله، ومواضع من الحمى حماها لهم، فتابعهم ونزع لهم عنها. فلما لم يجدوا حجة ولا عذرًا بادروا بالعدوان؛ فسفكوا الدم الحرام، واستحلوا البلد الحرام، والشهر الحرام، وأخذوا المال الحرام، والله لإصبعٌ من عثمان خير من طباق الأرض أمثالهم! ووالله لو أن الذين اعتدوا به عليه كان ذنبًا لخَلُص منه كما يَخْلُصُ الذهب من خَبثه أو الثوب من دَرَنه، إذ ماصوه[1] كما يُماص الثوب بالماء»[2].

وقد كان قتلة عثمان أشاعوا بين الناس كذبًا وزورًا أن عائشة معهم، وكتبوا على لسانها ضد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حتى إن تلميذها مسروقًا سألها قائلًا: أَأَنْتِ كَتَبْتِ إِلَى أُنَاسٍ تَأْمُرِينَهُمْ بِالْخُرُوجِ؟!

(١) الموص: الغسل بالأصابع. يقال: مصته أموصه موصًا. أرادت أنّهم استتابوه عمّا نقموا منه، فلما أعطاهم ما طلبوا قتلوه. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٣٧٢).

(٢) تاريخ الطبري (٤/ ٤٤٨).

فَقَالَتْ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «لَا واللهِ، لا وَالَّذِي آمَنَ بِهِ الْمُؤْمِنُونَ، وَكَفَرَ بِهِ الْكَافِرُونَ، مَا كَتَبْتُ إِلَيْهِمْ بِسَوْدَاءَ فِي بَيْضَاءَ حَتَّى جَلَسْتُ مَجْلِسِي هَذَا»، يقول الْأَعْمَشُ[1]: كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ كُتِبَ عَلَى لِسَانِهَا[2].

هكذا كان موقف عائشة من عثمان رضي الله عنهم جميعًا.

وقد كان من دَيْدَنِ عائشة الحرصُ كلَّ الحرصِ على النصح والصدق للمسلمين، خاصة لخليفة المسلمين؛ عملًا بحديث تَمِيمٍ الدَّارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ»[3].

وقد كان وَقْعُ مقتلِ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فـي المجتمع آنذاك وقعًا عنيفًا، حدثت فتنة عظيمة، وآلت الخلافة إلى علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

(١) هو: سُـلَيْمان بن مهران الأسدي الكاهلي، ولد سـنة إحدى وستين، وكَانَ لا يلحن حرفًـا، وكَانَ عالمًا بالفرائض، ولم يكن فِي زمانه من طبقتـه أكثر حديثًا منه، وكان صاحب سـنة، مات سـنة ثمان وأربعين ومئة. انظر في ترجمته: طبقات ابن سـعد (٦/ ٣٣١)، التاريخ الكبير (٤/ ٣٧)، تهذيب الكمال (١٢/ ٧٦).

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ٦٠)، وابن أبي شيبة في مصنفه (ح:٣٢٠٥١)، والسـنة لأبي بكر بن الخلال (ح: ٤٤٧)، واللالكائي في شـرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (ح: ٢٥٧٩).

(٣) رواه مسلم في الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة (ح: ٥٥).

وزمن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يختلف كثيرًا عن زمن سائر الخلفاء الراشدين، حيث كثرت الفتن، ونشــط المنافقون والمندســون، وحصل خلاف في ترتيب الأولويات بين المســلمين، بل حصل اقتتال بينهم بســبب دسائس المنافقين، إلا أنــه لم يحصل الخلاف في كــون علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو خليفة المســلمين وإمامهم، وأنه أولاهم بهذا الأمر، ولم يرد أحد الخروج عليه، أو رفــض خلافته، وكل ما يقال خلاف ذلــك فليس بصحيح، مثل ما يقال من خروج عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وعدم رضاها بخلافته، أو خروج طلحة والزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فكل هذه الأمور ليس لها أســاس من الصحة، بل كانت عائشة تعرف فضل علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومنزلته، وقرابته للنبي ﷺ، وكانت توصي من اســتنصحها بلزوم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومبايعته، كما قال الأحنف[1]: «لم أبايع عليًّا حتى لقيت طلحة والزبير وعائشة بالمدينة فقلت لكل منهم: إن الرجل مقتول (أي: عثمان) فمن تأمرونني أبايــع؟ فكلهم قال: بايع عليًّا. فقلت: أترضونه لي؟ فقالوا: نعم»[2].

وأمــا ذهاب عائشــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إلى مكــة، ومنها إلى البصــرة، فقد أوضحت مقصد خروجها، وأنهــا أرادت الصلح بين الفريقين، كما قالت

(١) هــو: الأحنف بْن قيس بْــن معاوية بْن حصين، والأحنف لقب، واســمه الضحاك، بصري تابعي ثقة، وَكَانَ ســيد قومه، وَكَانَ أعور أحنف دميمًا قَصِيرًا، توفي سنة سبع وســتين. ينظر في ترجمته: طبقات ابن سعد (٧/ ٦٤)، الثقات للعجلي (١/ ٢١٢)، تهذيب الكمال (٢/ ٢٨٢).

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير (٢/ ٤٣).

عندما سُئِلتْ عن سبب خروجها: «إنما جئت للإصلاح بَيْنَ النَّاسِ...»(١).

لكن مكر المنافقين ودسائســهم هي التي أفسدت خطتها، وأشعلت الفتنة بين المســلمين، وندمت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا على ذلك المسير للبصرة، وكانت إذا قرأت قــول الحق عز وجــل: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ [الأحزاب: ٣٣] تتذكر يوم الجمل، وتبكي حَتَّى تَبُلَّ خِمَارَهَا، وكانت تُحدث نفســها: أَنْ تُدْفَنَ فِي بَيْتِهَا مَعَ رَسُــولِ اللَّهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ، فَقَالَتْ: «إِنِّي أَحْدَثْتُ بَعْدَ رَسُــولِ اللَّهِ ﷺ حَدَثًا، ادْفُنُونِي مَعَ أَزْوَاجِــهِ». فَدُفِنَتْ بِالْبَقِيعِ(٢)، وهذا من إيمانها وخوفها من الله، ومن تواضعها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

يقول الذهبي: «ولا ريب أن عائشــة ندمت ندامةً كليَّةً على مســيرها إلى البصرة، وحضورها يوم الجمل، وما ظنَّت أن الأمر يبلغ ما بلغ»(٣).

وفي حديث للإمام أحمد في مسنده جاء فيه عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قولها: «يرحم اللــه عليًّا، إنه كان من كلامه لا يرى شــيئًا يعجبه إلا قال صدق الله ورسوله، فيذهب أهل العراق يكذبون عليه، ويزيدون عليه في الحديث»(٤).

(١) البداية والنهاية (٧/ ٢٦٥ - ٢٦٦).

(٢) رواه الحاكــم في المســتدرك، في معرفــة الصحابة، ذكر الصحابيــات من أزواج رســول الله ﷺ (ح: ٦٧١٧)، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، وأورده الألباني في الصحيحة (١/ ٨٥٥).

(٣) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٧٧).

(٤) رواه أحمد في مسند علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ح: ٦٥٦)، والحاكم في المستدرك، في قتــال أهل البغي وهو آخر الجهاد (ح: ٢٦٥٧)، وصححه الألباني في الإرواء=

وبعـــد أن نجحت خطــة المنافقين وقتلة عثمـــان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وانجلى الأمــر بقتل آلاف من المســـلمين من الطرفين في معركـــة الجمل، وغلبة علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وجيشـــه، وانهزام الطرف المقابل، فما كان من علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إلا أنه جهَّز عائشة بكل شــيء ينبغي لها من مركب، وزاد، ومتاع، وأخرج معهـــا كلَّ من نجا ممَّن خرج معها، واختار لها أربعين امرأة من نســـاء أهل البصرة المعروفات، وقـــال لأخيها محمد بن أبي بكـــر: «تجهَّزْ يا محمد فبلِّغْها».

فلما كان اليوم الذي ترتحل فيه جاءها حتى وقف لها، وحضر الناس، فخرجت على الناس، فودَّعوها وودّعتهم وقالـــت: «يا بَنيَّ، يَعتُبُ بعضنا على بعض اســـتبطاء وزيادة، فلا يَعْتدن أحد منكم على أحد بشيء بلغه من ذلك، إنه -واللهِ- ما كان بيني وبين عليٍّ في القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها، وإنه عندي - على مَعْتِبتي - لَمِنَ الأخيار».

وقال علي: «يأيُّها الناس، صدقت وبرَّت، ما كان بيني وبينها إلا ذاك. وإنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة»[١].

هكذا كان صفاء عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، وهكذا كان صفاء علي رضوان الله تعالى عليه.

= (ح:٢٤٥٩).

(١) انظر: الفتنة ووقعة الجمل لســـيف بن عمر التَّمِيمـــي (ص: ١٨٣)، وتاريخ الطبري (٤/ ٥٤٤)، الكامل في التاريخ (٢ / ٦١٤)، والبداية والنهاية (٧ / ٣٣٧).

هذه خطوط عريضة في مواقف عائشـــة السياســية في حياة الخلفاء الراشدين، فكيف كانت علاقتها بمن أتى بعدهم؟

موقف عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا السياسي في خلافة معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كان له جانبان:

أولهما: ما كان يحرص عليه معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنفســه من اســترضاء عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وطلب النصيحة منها، وزيارتها.

الموقف الثاني: ما كانت تواجهه هي به، من نصيحة، وإنكار، ومكاتبة لبعض ممارساته، أو ممارسات أتباعه وأنصاره.

في أكثر من مناســبة كتب لهــا معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كتابًــا يطلب فيه نصيحتها، فكانت تنصحه، وكان يرســل إليهــا بالهدايا والمنح، فكانت تأخذها، وتقســمها وتوزعها على الفقراء والمحتاجيــن، يقول عُرْوَةَ: كَتَبَتْ عَائِشَــةُ إِلَى مُعَاوِيَةَ - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا- أَمَّــا بَعْدُ: «فَاتَّقِ اللَّهَ؛ فَإِنَّكَ إِذَا اتَّقَيْتَ اللَّهَ كَفَاكَ النَّاسَ، وَإِذَا اتَّقَيْتَ النَّاسَ لَمْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا»[1].

رضي الله تعالى عن عائشــة، بهذه البســاطة، وهذا الجمال، وهذا الهدوء، وهذا الصفاء، وهذا النقاء، كانت مواقفها السياسية، فيا عجبًا لمن

(١) رواه ابــن المبارك فــي الزهــد والرقائــق (ح:١٩١)، وابن أبي شــيبة في مصنفه (ح:٣٥٧١٧).

يفتــري عليها رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا، أو لمن يُقحمها في إثـــارة الفتن، وهي بريئة منها، بل علـــى العكس كانت تدرأ الفتنة، وكانت تحرص عل الإصلاح، وكانت معينًا للخلفاء، تُثبــت الناس في مواقفهم، في شـــدة الحال في الظروف، كانت رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا نبراسًا ونورًا في الفتنة وعند الظلمة، ومواقفها كثيرة خاصة التي نقلتها كتب السنة الموثوقة، والثابتة في المصادر الأصلية والصحيحة عنها رضوان الله تعالى عليها، فلنتق الله في عائشـــة، في أمنا، أم المؤمنين رضوان الله تعالى عليها.

السؤال التطبيقي:

كيف أعطت عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا الأنموذج العملي والإيماني في مواقفها السياسة؟

الإجابة:

أولًا: مواقف عائشة السياسية ليست نابعة عن مصالحها الخاصة، بل كانت عن مسؤولياتها الدينية والشرعية، وباعتبارها أمًّا للمؤمنين، وعالمةً بالدين، وسنة سيد المرسلين.

ثانيًا: بإدراكها لمكر ودسائس الأعداء، وسعيهم في خلخلة المجتمع الإسلامي، وبث الفرقة فيه.

ثالثًا: بورعها وإخلاصها وحبها الصادق، والنصح لعامة المســـلمين ولأئمتهم، وطهارة وسلامة صدرها.

رابعًـــا: تمحيصها للمواقــف، والتثبت ممـــا يُنقل إليهـــا، مع كثرة استشاراتها وسؤالاتها، بل وتحرِّيها في الأمر ممن يعنيهم الأمر.



[١٧]

عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا والزينة

عجيب! عائشة العالمة العابدة، وعائشة الفقيهة، وعائشة الزاهدة...، ثم نتحدث الآن عن عائشة والزينة؟!

ربما كان هذا لسان حال البعض!

عائشة كغيرها من النســاء تحب التجمل، فالزينة فطرة وجبلَّة، وهي فطــرة وطبيعة في المــرأة، والعبادة والزهد والفقــه لا تمنع أخذ الحلال، والتمتع به، فالتوازن هو المطلب الشــرعي: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ [القصص:٧٧].

عائشــة زوجة مثالية، كانت كثيرًا ما تَتزين بنفســها، وتُزين حجرتها وبيتها بما ترى أنه يُدخل السرور إلى قلب زوجها؛ فقد ورد في الصحيحين: أَنَّهَا اشْتَرَتْ نُمْرُقَةً (١) فِيهَا تَصَاوِيرُ، فَلَمَّا رَآهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَامَ عَلَى الْبَابِ فَلَمْ يَدْخُلْ، فَعَرَفَتْ فِي وَجْهِهِ الْكَرَاهِيَةَ، فقالت: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ

---

(١) النمرقة: هي الوســادة، وهي بضم نون وراء وبكســرهما، وجمعها نمارق. مجمع بحار الأنوار (٤/ ٧٨٦).

وَإِلَى رَسُولِهِ مَاذَا أَذْنَبْتُ؟ فَقَالَ ﷺ: «مَا بَالُ هَذِهِ النُّمْرُقَةِ؟» فَقَالَتْ: اشْتَرَيْتُهَا لَكَ لِتَقْعُدَ عَلَيْهَا وَتَوَسَّـدَهَا! فَقَالَ: «إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّـوَرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُعَذَّبُونَ، يُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ»[1].

فعائشـــة هنا حرصت على زينة وجمال بيتها فاجتهدت، فأرشـــدها حبيبها ﷺ للخطأ الذي وقعت فيه، فامتثلت واســتجابت وتابت إلى الله، وهكذا المؤمن وقَّاف عند حدود الشرع في كل أمر من أمره.

ومن حرصهـــا على الزينة، أنها تلبس لرســول اللــه ﷺ المعصفر والمضرَّج، وتتزين بما يُعجبه من الطيب والحلية، حتى إنها كانت تتزين له وهي في أســفاره، بل كانت تستعير الحُليَّ من أختها أسماء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حتى تتزين بها، كما جــاء في قصة ضياع عقدها في غزوة بني المصطلق، عندما نزلت آيات التيمم، فقد ذكرت: **«أَنَّهَا اسْــتَعَارَتْ مِنْ أَسْمَاءَ قِلَادَةً فَهَلَكَتْ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِهِ فِي طَلَبِهَا، فَأَدْرَكَتْهُمُ الصَّلَاةُ، فَصَلَّوْا بِغَيْرِ وُضُوءٍ، فَلَمَّا أَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ شَكَوْا ذَلِكَ إِلَيْهِ، فَنَزَلَتْ آيَةُ التَّيَمُّمِ»**[2].

وأيضًــا في قصَّة حادثة الإفك، لمــا قالت: **«فَلَمَّا قَضَيْتُ شَــأْنِي**[3]

---

(١) رواه البخاري في البيوع، باب التجارة فيما يكره لبسه للرجال والنساء (ح: ٢١٠٥)، ومسـلم في اللبـاس والزينة، بـاب لا تدخل الملائكـة بيتا فيه كلـب ولا صورة (ح:٢١٠٧).

(٢) رواه البخـاري في النكاح، باب اسـتعارة الثياب للعـروس وغيرها (ح: ٥١٦٤)، ومسلم في الحيض، باب التيمم (ح: ٣٦٧).

(٣) أي: فرغتُ من قضاء حاجتي. ينظر: فتح الباري (٨/ ٤٥٩).

أَقْبَلْتُ إِلَى الرَّحْلِ، فَلَمَسْــتُ صَــدْرِي فَإِذَا عِقْدٌ لِي مِنْ جَــزْعِ ظَفَارِ[1] قَدْ انْقَطَعَ؛ فَرَجَعْتُ فَالْتَمَسْــتُ عِقْدِي، فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ»[2]، هذا من حرصها على أدوات زينتها رضي الله عنها وأرضاها.

قال ابن أخيها القاســم بن محمّد: «..وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ عَائِشَــةَ تَلْبَسُ الْمُعَصْفَرَ، وَتَلْبَسُ خَوَاتِيمَ الذَّهَبِ»[3].

وقَالَتْ عائشة رَضِيَاللَّهُعَنهَا: «دَخَلَ عَلَيَّ رَسُــولُ اللَّهِ ﷺ فَرَأَى فِي يَدَيَّ فَتَخَاتٍ مِنْ وَرِقٍ[4]، فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا عَائِشَةُ؟»، فَقُلْتُ: «صَنَعْتُهُنَّ أَتَزَيَّنُ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ...»[5].

---

(١) أي: الخَرَز اليَماني، الْوَاحِدَةُ جَزْعَة، وظِفَار: اسم مدينة لحمير باليمن. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٢٦٩، ٣/ ١٥٨).

(٢) رواه البخاري في الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضًا (ح: ٢٦٦١).

(٣) رواه ابن ســعد في الطبقات الكبرى (٨/ ٥٥)، ورواه البخاري في صحيحه معلقًا، قال: « بَابُ الخَاتَمِ لِلنِّسَــاءِ، وَكَانَ عَلَى عَائِشَةَ، خَوَاتِيمُ ذَهَبٍ » (٧/ ١٥٨)، وحسنه الألباني في آداب الزفاف ص: (٢٦٠).

(٤) أي: خَواتِيم كِبارٌ تُلْبس فِي الأَيْدِي، ورُبمــا وُضِعَت فِي أَصَابِعِ الأَرْجُل. وَقِيلَ: هِيَ خَواتيمُ لَا فُصُوص لَهَا. النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٤٠٨).

(٥) رواه أبــو داود في الــزكاة، باب الكنز ما هو؟ وزكاة الحلــي (ح: ١٥٦٥)، والحاكم في المســتدرك، في الــزكاة (ح: ١٤٣٧)، وقال: « هذا حديث صحيح على شــرط الشــيخين، ولم يخرجاه». قال الحافظ ابن حجر في إتحاف المهرة (١٧/ ١٩): «هو كمــا قال، فقد احتجا بجميع رواته، إلا أن يحيى بن أيوب في حديثه لين، ولم يخرجا له إلا قليلًا ممَّا توبع عليه». وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح:١٥٦٥).

وكانت عائشـــة تصطحـــب معهـــا العطر حتـــى في أســـفارها مع رســـول الله ﷺ، فتطيب به النبي ﷺ، ففي الصحيحين عنْها قَالَت: «كُنْتُ أُطَيِّبُ رَسُـــولَ اللَّـــهِ ﷺ لإِحْرَامِهِ قَبْلَ أَنْ يُحْـــرِمَ، وَلِحِلِّهِ قَبْـــلَ أَنْ يَطُوفَ بِالْبَيْتِ»[1].

مواقـــف متعددة لعائشـــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تـــدور حول موضـــوع التجمل والتزيـــن، واللباس والطيب، ولبس القلائد، والخواتم، وما شـــابههما من أدوات الزينة، لكن عائشـــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لم تكن تُبالغ أبدًا في زينتها، ولم تكن تسرف بالمال لاقتناء هذه الأدوات والثياب؛ لسان حالها يقول: «ربَّ زهرة جميلة على الشَّعْرِ أجملُ من عقدٍ نفيسٍ حول الرقبة!».

وهذه حقيقة تغفل عنها بعض النساء، فكم نشتري من أدوات التجمل والزينة، وبأثمان باهظة، لكن ربما لمســـة جميلة هنـــا أو هناك، أو زهرة، أو طريقة معينة، أفضل بكثير من هذا العقد الذي اشتريناه بأموال طائلة!

كأن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تقول للنســـاء: إن التجمل والزينة، فن، وذوق، وبساطة، وليس مجرد تفاخر وتنافس ووجاهة، فهل وصلت الرسالة؟!

لم تكن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تجعل هَمّها هو مظهرها وزينتها فقط، فقد عرفنا الكثير عن صفات عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وعن علمها، وعبادتها، وزهدها، وجدِّيتها،

(١) رواه البخـــاري في الحج، بـــاب الطيب عند الإحرام، وما يلبـــس إذا أراد أن يحرم، ويترجل ويدهن (ح: ١٥٣٩)، ومســـلم في الحج باب الطيب للمحرم عند الإحرام (ح: ١١٨٩).

وحكمتها، وغير ذلك كثير، مما قد يجعل البعض يستنكر أو يستغرب الحديث عن عائشة والزينة، نسي هؤلاء أن كمال بناء تميز الشخصية: المظهر، والروائح، نعم إذا أردت لشخصيتك أن تتميز، لا بد أن تعتني بشخصيتك المظهرية، مما أباحه الله، وأمر به، ولذا كان ﷺ يلبس الجديد من الثياب، ويُرَجِّلُ شَعْرَهُ، ويحب الطِّيْبَ، ونحو ذلك مما ثبت عنه في هذا الباب، كانت عائشة تتأسى بحبيبها ﷺ، تحاول كسب قلبه بكل ما تملك، بل كانت تشارك في زينته، وفي لباسه وتجمُّله، وتصلح من شأنه وثيابه.

فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا أَنَّهَا قَالَتْ: «كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ يَسْتَاكُ، فَيُعْطِينِي السِّوَاكَ لِأَغْسِلَهُ، فَأَبْدَأُ بِهِ فَأَسْتَاكُ، ثُمَّ أَغْسِلُهُ وَأَدْفَعُهُ إِلَيْهِ»(١). إلى هذه الدرجة وصل حب عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا زوجها الحبيب ﷺ.

وفي الصحيحين عن عَائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا قالت: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا اعْتَكَفَ يُدْنِي إِلَيَّ رَأْسَهُ فَأُرَجِّلُهُ(٢) وَأَنَا حَائِضٌ»(٣).

(١) رواه أبو داود في الطهارة، باب غسل السواك (ح: ٥٢)، قال النووي في المجموع شرح المهذب (١/ ٢٨٣): «حديث حسن، رواه أبو داود بإسناد جيد». كما جوَّد إسناده ابن الملقن في البدر المنير (٢/ ٤٥)، وحسنه الألباني في تخريج المشكاة (ح: ٣٨٤).

(٢) أي: أمشطه.

(٣) رواه البخاري في الحيض، باب غسل الحائض رأس زوجها وترجيله (ح: ٢٩٥)، ومسلم في الحيض، باب جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله وطهارة سؤرها والاتكاء في حجرها وقراءة القرآن فيه (ح: ٢٩٧).

لم يكن النبي ﷺ عاجزًا عن أن يفعل هذا بنفســـه، لكنه أُنس الحبيب بحبيبه، والاســـتكثار من الود والمؤانســـة بينهما، رضي اللـــه تعالى عنها وصلَّى الله وسلَّم على رسوله.

تأملـــوا هذا المشـــهد الجميل والموقـــف المعبر الرائـــع، ترويه لنا عَائِشَـــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فتقول: «سَـقَطَتْ قِلَادَةٌ لِي بالصحـــراء وَنَحْنُ دَاخِلُونَ الْمَدِينَةَ، فَأَنَاخَ النَّبِيُّ ﷺ وَنَزَلَ، فَثَنَى رَأْسَهُ على حَجْرِي رَاقِدًا، أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ فَلَكَزَنِي لَكْزَةً شَـدِيدَةً وَقَالَ: حَبَسْتِ النَّاسَ فِي قِلَادَةٍ؟! تقول: فَبِي الْمَوْتُ لِمَكَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ أَوْجَعَنِي»(1).

قولها: (فَبِي الْمَوْتُ) أي: كاد ينزل بي الموت من شـــدة الوجع، ولم أتحرَّك حتى لا أزعج رسول الله ﷺ(2).

لله درك يا عائشـــة! فهي هنا ترسل رســـالة، بل رسائل عدة للفتيات وللنساء، بأنه ليس الإنسان بتجمله ولباسه وزينته ومظهره فقط، بل كما أن جمال الخَلق مطلب مهمّ، فجمال وزينة الأخلاق أهمّ، وتميز شـــخصيتك بالأخلاق وبالتعامل الراقي وبالمظهر الجميل كما فعلت عائشـــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مع النبي ﷺ، فتميز الإنسان بهما معًا.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رســـول الله ﷺ: «**إن الله لا ينظر**

(1) رواه البخاري في تفســـير القـــرآن، باب قولـــه: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النساء: 43] (ح: 4608)، ومسلم في الحيض، باب التيمم (ح: 367).

(2) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (24/ 21).

إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»[1].

والحديث إن أكـد أهمية أعمال القلوب والجـوارح فلا يعني ترك المال وإهمال المظهر أبدًا، بل كل أنثى تُدرك بفطرتها أنها مهما بلغت من المكانـة والوجاهة والعلم، والفقه، إلى غير ذلـك؛ فهي أيضًا بحاجة إلى إشـباع أنوثتها الرقيقة بالزينة، وأهمية تمتعها بروح مرحة، لتكسـب قلب زوجها، وتشيع حولها جوًّا من الأنس والألفة.

وثقافة اللبـاس والزينة والتجمـل والموضات والمـاركات، كلنا يعرف أنها أصبحت اليوم هي لغـة العصر للجميع من ذكور وإناث، حتى بعـض الذكور اليوم أصبح ينافس، وحق له ذلك مـا دام في دائرة الحلال المشروع، لكن لا شـك أن الزينة لغةٌ أخصّ بالفتيات وبالنساء، قال الله: ﴿ أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٖ ۝١٨ ﴾ [الزخرف: ١٨].

فأعظم درس وأعظم هدية تُهديها عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في هذه المواقف للمرأة، هو: كيف توظف المرأة لغة الزينة والجمال والموضات في تحقيق السعادة الزوجية، وبناء الشخصية المظهرية؟

ومن خلال هـذا الموقف الأسـري النبوي الظريـف؛ تأملوا هذه الرسـالة: حيث يُروى عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قَالَتْ: وَجَدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ

---

(١) رواه مسـلم في البر والصلة، باب تحريم ظلم المسـلم، وخذلـه، واحتقاره ودمه، وعرضه، وماله (ح: ٢٥٦٤).

عَلَى صَفِيَّةَ بنت حيي في شيء (أي: غضب عليها) فَقَالَتْ صفية: يا عائشة، «هَلْ لَكِ إِلَى أَنْ تُرْضِي رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِّي وَلَكِ يَوْمِي؟».

(يا تُرى ماذا فعلت عائشـــة؟ وكيف ســترضي رســول الله ﷺ عن صفية؟!)

قالت (أي: عائشـــة): نعم، فَأَخَذَتْ خِمَارًا لَهَــا مَصْبُوغًا بِزَعْفَرَانٍ، فَرَشَّــتْهُ بِالْمَاءِ لِيَفُوحَ رِيحُهُ، ثُــمَّ قَعَدَتْ إِلَى جَنْبِ رَسُــولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا عَائِشَــةُ إِلَيْكِ عَنِّي، إِنَّهُ لَيْسَ يَوْمَــكِ» فَقَالَتْ: ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، فَأَخْبَرَتْهُ بِالْأَمْرِ فَرَضِيَ عَنْهَا[1].

لاحظوا كيف استثمرت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لباس الزينة؟ وكيف وظفته بذكائها لصالحها، ولصالح صفية أيضًا بإرضاء النبي ﷺ عنها.

ومن رسائل عائشة في الزينة: أن الزينة ليست لباسًا وموضات فقط، بل أيضًا نظافة واغتسال، وتتبع لسنن الفطرة الثابتة، كما جاء في السنن، فقد

(١) رواه النسائي في الســنن الكبرى، في عشرة النســاء، باب المرأة تهب يومها لامرأة من نســاء زوجها (ح٨٩٣٣). وابن ماجه -واللفظ له- في النكاح، باب المرأة تهب يومها لصاحبتها (ح١٩٧٣). وأحمــد (٦/ ٩٥ و١٤٥). قال البوصيري في الزوائد (٢/ ١١٦): «هذا إســناد ضعيف سمية البصرية لا تعرف كذا قال صاحب الميزان». وقال الألباني في الإرواء (٧/ ٨٥): «رجاله ثقات رجال مسلم، غير سمية هذه، وهي مقبولة عند الحافظ ابن حجر». وقال الأرنؤوط وزملاؤه في تحقيقهم لمسند أحمد (٤١/ ١٨٤): «إسناده ضعيف..».

روت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها كَانَتْ مرة مُضْطَجِعَةً مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، فجأة وثَبَتْ وَثْبَةً شَدِيدَةً -أي: قامت فزعة- فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا لَكِ؟ لَعَلَّكِ نَفِسْتِ» يَعْنِي: الْحَيْضَةَ، قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ ﷺ: «شُدِّي عَلَى نَفْسِكِ إِزَارَكِ، ثُمَّ عُودِي إِلَى مَضْجَعِكِ»[1]، فظهر من وثبة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حرصها على طهارتها ونظافتها رضي الله تعالى عنها.

ودخلت بَكْرة بنت عقبة على عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وهي جالسة في معصفرة؛ فسألتها عن الحناء، فقالت: شجرة طيبة، وماء طهور. وسألتها عن الحفاف فقالت لها: «إن كان لك زوج فاستطعت أن تنزعي مقلتيك فتضعيهما أحسن مما هما فافعلي»[2]. والحفاف هو: إزالة الشَّعر من الوجه[3].

كأن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تضع لنا قاعدة في الزينة، وأن ما لم يكن محرمًا فالمساحة مفتوحة، يبدو أن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا رأت أن بكرة بنت عقبة ستكثر من الأسئلة حول أدوات الزينة والتجمل، فرأت عائشة بحنكتها أن تختصر لها الإجابة بمثل هذا التوجيه الرائع لكل امرأة ذات زوج، لاحظوا الجواب الجميل: «إن كان لك زوج فاستطعت أن تنزعي مقلتيك فتضعيها له أحسن مما هما فافعلي».

---

(١) رواه مالك في الموطأ، في الطهارة باب ما يحل للرجل من امرأته وهي حائض (ح:٩٤)، وأحمد مسند الصديقة عائشة بنت الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ح: ٢٥٥١٤).

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٨/ ٥٦).

(٣) انظر: لسان العرب (٩/ ٥٠) (حفف).

يـــا الله! ما أروع الرســـالة الجميلة من عائشـــة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا كل نســـاء العالمين، حتى تكوني أقرب وأحب إلى زوجك افعلي ذلك!، ولا شـــك أن هذا من عظيم فقه عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، ومن وصاياها، بل والله من هداياها الغالية لنساء الأمة.

وعائشـــة تُدرك بتجاربها بأطهر بيـــت أن الحياة الزوجية لا تخلو من مشاكل ومكدرات، لكن أيضًا هناك في المقابل مهدئات ومسكنات، هكذا تألقت عائشـــة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا بتوظيفها وتفعيلها لأمور الزينة في أعظم وأســـعد بيت عرفته البشرية.

السؤال التطبيقي:

ما هي الأســـس التي من خلالها اســـتطاعت عائشـــة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا بناء شـــخصيتها المظهرية زينة وشكلًا وجمالًا؛ لتتناغم مع الصفات الأخرى للتميز: مـــن عبادة، وعلم، وثقافـــة، وفقه، بل وزهد، حتـــى تتكامل في تميزها؟

الإجابة:

أولًا: وضوح الهدف لدى عائشـــة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا فـــي حياتها، وأن الزينة وسيلة وليست غاية.

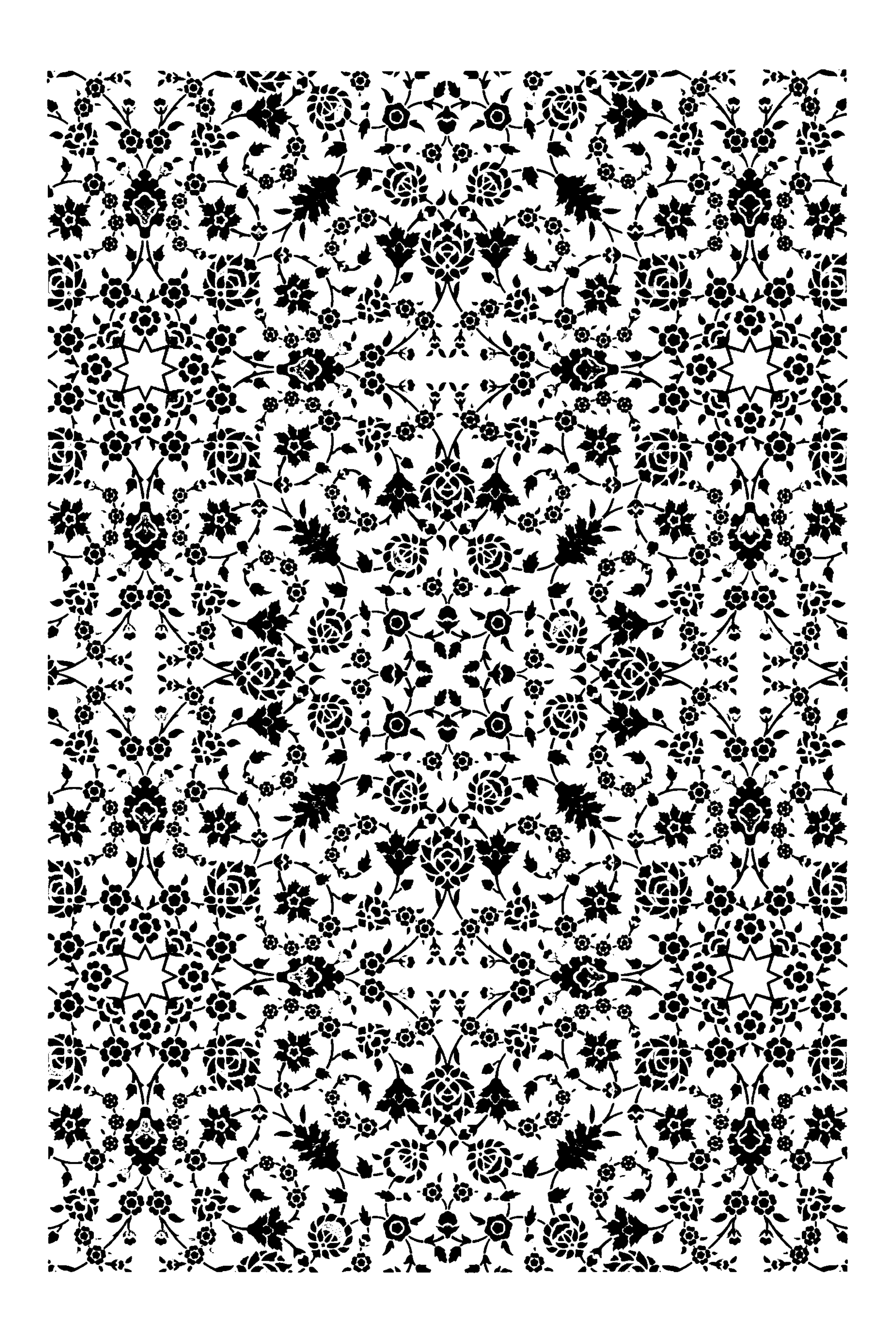
ثانيًـــا: همتها العالية في تكامل شـــخصيتها وتميزها، وحرصها على تزكية نفسها وتربيتها.

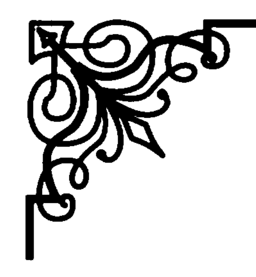
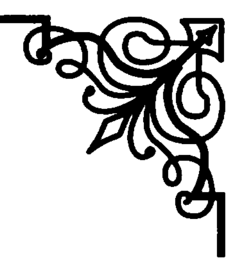
ثالثًــا: فهمها العميق للجمع بين الدين والدنيا معًا، وأن الدنيا مزرعة جميلة للآخرة.

رابعًــا: التزامها بحقوق الآخرين، وإعطاء كل ذي حق حقه من نفس وزوج وولد وعمل.

خامسًــا وأخيرًا: الاقتصاد وعدم المبالغة في الزينة، وحرصها على الزينة الشرعية التي يَرضى الله عنها، فهي تتعامل معها كأنها عبادة لله.





[١٨]
عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا والمرح

الابتسامة والمرح ملح الحياة، بل هي من جماليات شرعنا الحنيف، فالابتسامة صدقة، و«**لا تحقرن من المعروف شيئًا، ولو أن تلقى أخاك بوجهٍ طلق**»(١)، فمهما بلغ الإنسان من المكانة والعلم لا يُمثِّل ذلك المتجهم العبوس إلا نفسه، ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢].

رغم أن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عالمة فقيهة، عابدة زاهدة، لها مكانتها ووجاهتها، وابنة أبي بكر الصديق، وهي زوجة النبي الأمين، وأم المؤمنين، وعلمها بحر في القرآن، وفي الحديث، وفي الفقه، وفي الفرائض، ولها باع طويل في الطب، ونصيب وافر في الشعر، وعلم النسب، ورغم أنها كانت ذات عزيمة وهمة وطموح، فإنها كانت فيما يُستنتج من سيرتها: ذات دُعابة لطيفة، وابتسامة وبشاشة، ومرح ومزاح، فعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لها في كل فن نصيب، وتكامل في شخصيتها عجيب.

---

(١) رواه مسلم في البر والصلة والآداب، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء (ح: ٢٦٢٦).

هذا المرح وهذا المزاح نجده جليًّا واضحًا في مواقف عدة في حياتها، تأملوا مثلًا سرعة بديهتها، وحسن جوابها في هذا الموقف الظريف: يُروى أن الضحاك الكلابي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ(1) أتى رسولَ الله ﷺ فبايعه، كان رجلاً دميمًا، ثم قال: يا رســـول الله، «عندي امرأتان أحسن من هذه الحميراء، أفلا أنزل لك عن إحداهما فتتزوجها؟ وعائشـــة جالســـة قبـــل أن يُضرب الحجاب، فقالت عائشة: أهي أحسن أم أنت؟ فقال: بل أنا أحسن منها وأكرم، فضحك رسول الله ﷺ من مسألة عائشة إياه، وكان دميمًا قبيحًا»(2).

فلنتأمل حسن إجابتها، وردها المفحم الطريف، إجابة مضحكة، بل والله مُسْكِتَة، وهذا يؤكد ذكاء عائشة، وسرعة البديهة عندها.

حينما يُـــخيم اللطفُ والتبسمُ والحب على الحياة الزوجية فإن هذه اللحظات تمر مر المُزْنِ في كبد السماء، تبقى الحياة حلوة لا تُـمل، ويبقى بيت الزوجية ظلًّا وارفًا على الزوج والزوجة.

(1) الضَّحاك بن ســفيان الكِلابي، له صحبةٌ، كان ينزل نجدًا، وكان واليًا للنبي ﷺ هناك على قومه، وكان أحد الأبطال، يقوم على رأس رســـول الله ﷺ متوشـــحًا ســـيفه، وكان يعـــد بمائة فارس وحده. انظر في ترجمته: الاســـتيعاب في معرفة الأصحاب (2/ 742)، أسد الغابة في معرفة الصحابة (3/ 47)، تهذيب الكمال (13/ 261).

(2) قـــال العراقي فـــي المغني عن حمل الأســـفار في تخريـــج أحاديث إحيـــاء علوم الدين (3/ 130): «رواه الزبير بن بكار في الفكاهة من رواية عبد الله بن حسن مرسلًا أو معضلًا. وللدارقطنـــي نحو هذه القصة مع عيينة بن حصن الفزاري بعد نزول الحجاب من حديث أبي هريرة». اهـ. وانظر: إكمال تهذيب الكمال (7/ 15)، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (6/ 338)، سبل الهدى والرشاد (11/ 399)، المراح في المزاح (ص:78).

تقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «رَجَعَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ مِنْ جَنَازَةٍ بِالْبَقِيعِ، وَأَنَا أَجِدُ صُدَاعًا فِي رَأْسِي، وَأَنَا أَقُولُ: وَارَأْسَاهْ، قَالَ: «بَلْ أَنَا وَارَأْسَاهْ»، إذًا الموقف متأزم، فيه وجع، وفيه شكوى.

ثم قَالَ لها النبي ﷺ: «مَا ضَرَّكِ لَوْ مِتِّ قَبْلِي، فَغَسَّلْتُكِ وَكَفَّنْتُكِ، ثُمَّ صَلَّيْتُ عَلَيْكِ، وَدَفَنْتُكِ؟» قالت عائشة: لَكَأَنِّي بِكَ، وَاللهِ لَوْ فَعَلْتَ ذَلِكَ لَرَجَعْتَ إِلَى بَيْتِي، فَأَعْرَسْتَ فِيهِ بِبَعْضِ نِسَائِكَ، فتبَسَّمَ ﷺ»[1].

ففي كل بيت مزاح وتعليق بين الزوجين، الجميل أن تعليق عائشة من طبيعة النساء المعتادة حينما يمازحُهنَّ أزواجهن في قضية الزواج من امرأة أخرى، ونسيانها بعد الموت، كما يجري اليوم في بيوتنا.

ثم تُعلق عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فتقول بعد هذا الموقف الظريف والجميل: «والله لطار عني ما أجد، وكدت أن استطار، فسكنني بالمزاح على تجشم منه»[2].

كلاهما مريض يشكو رأسه، ومع ذلك لاحظ هذه العلاقة، وهذا المرح، وهذا اللطف بين عائشة وبين النبي ﷺ.

---

(١) رواه ابن ماجه في الجنائز، باب ما جاء في غسل الرجل امرأته، وغسل المرأة زوجها (ح: ١٤٦٥)، وأحمد في مسند النساء، مسند عائشة بنت الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ح:٢٥٩٠٨) وصححه الألباني في الإرواء (ح: ٧٠٠).

(٢) مختصر تاريخ دمشق (٢/ ٣٧٢).

بــل وصل المزاح والمرح بينهما حتى في أثناء الغســل من الجنابة، «تغتسل عائشــة مع النبي ﷺ وبينهما إناء يتسابقان بغرف الماء، وكان كل واحد منها يقول: دَعْ لِي، دَعْ لِي»[1].

فالفُكاهة والمــرح في بعض الأحايين بيــن الزوجين تقوي أواصرَ المحبَّةِ، وتربط بين القلبين أكثر فأكثر.

تحكــي عائشــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا موقفًا أُســريًّا زوجيًّا فيه أجــواء من المرح والممازحة، والعجيب أنها تصف فيه بدقة كيف كان تقاربهما الجسدي في أثناء اللعب والمرح، تقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «دعاني رسول الله ﷺ والحبشة يلعبون بحرابهم في المســجد في يــوم عيد، فقال لي: «يَا حُمَيْــرَاءُ أَتُحِبِّينَ أَنْ تَنْظُرِي إِلَيْهِمْ؟» فقلــت: نَعَمْ. فَقَامَ بِالْبَابِ، وَجِئْتُــهُ فَوَضَعْتُ ذَقَنِي عَلَى عَاتِقِهِ، فَأَسْــنَدْتُ وَجْهِي إِلَى خَدِّهِ، فنظرت من فوق منكبيه». هنا يظهر ذكاء عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وحسن تصرفها واستغلالها الموقف بطريقة المرح والدلال.

«فَقَالَ رَسُــولُ اللهِ ﷺ: «حَسْــبُكِ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ لَا تَعْجَلْ، فَقَامَ لِي. ثُمَّ قَالَ: «حَسْــبُكِ»، فَقُلْتُ: لَا تَعْجَلْ يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا لِي حُبُّ النَّظَرِ إِلَيْهِمْ، وَلَكِنِّي أَحْبَبْتُ أَنْ يَبْلُغَ النِّسَاءَ مَقَامُهُ لِي، وَمَكَانِي مِنْه»[2].

---

(١) رواه البخاري في الغســل، باب تخليل الشعر حتى إذا ظن أنه قد أروى بشرته أفاض عليه (ح: ٢٧٣)، ومســلم في الحيض، باب القدر المســتحب من الماء في غســل الجنابة (ح: ٣٢١)، واللفظ له.

(٢) رواه النسائي في السنن الكبرى، في عشرة النساء، باب إباحة الرجل لزوجته النظر=

كأنها كانت وقتها توجه رسالة بلسان الحال، ثم هي بعد ذلك وجهتها صريحة بلسان المقال، فقالت: «فَاقْدُرُوا قَدْرَ الجَارِيَةِ الحَدِيثَةِ السِّنِّ، تَسْمَعُ اللَّهْوَ»(١).

ومرة قالت عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا: «دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ تُغَنِّيَانِ بِغِنَاءِ بُعَاثَ»، وفي رواية: «وَلَيْسَتَا بِمُغَنِّيَتَيْنِ»، يعني هما: جاريتان صغيرتان لم يبلغا، وليستا ممن يُعرفن بالغناء؛ وهذا منها تحرز عن الغناء المعتاد عند المشتهرين به، وهو الذي يُحرك الساكن، ويبعث الكامن.

«فَاضْطَجَعَ عَلَى الفِرَاشِ، وَحَوَّلَ وَجْهَهُ، وَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ، فَانْتَهَرَنِي وَقَالَ: مِزْمَارَةُ الشَّيْطَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ -عَلَيْهِ السَّلاَمُ- فَقَالَ: «دَعْهُمَا»، فَلَمَّا غَفَلَ غَمَزْتُهُمَا فَخَرَجَتَا»، وفي رواية أخرى: «دَعْهُمَا يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيدًا، وَهَذَا عِيدُنَا»(٢).

= إلى اللعب (ح: ٨٩٠٨). وأصله في الصحيحين: البخاري في النكاح، باب نظر المرأة إلى الحبش ونحوهم من غير ريبة (ح: ٥٢٣٦)، ومسلم في صلاة العيدين، باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد (ح: ٨٩٢)، والحديث صححه الألباني في الصحيحة (ح: ٣٢٧٧).

فائدة: قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٢/ ٣٥٥) عن الحديث: «إسناده صحيح، ولم أر في حديث صحيح ذكر الحميراء إلا هذا».

(١) رواه البخاري في النكاح، باب حسن المعاشرة مع الأهل (ح: ٥١٩٠)، ومسلم في صلاة العيدين، باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد (ح: ٨٩٢).

(٢) رواه البخاري في الجهاد والسير، باب الدَّرَقِ (ح: ٢٩٠٦)، وفي أبواب العيدين، باب سنة العيدين لأهل الإسلام (ح: ٩٥٢)، ومسلم في صلاة العيدين،=

وفي موقف ظريف أيضًا، يتســم بالمرح والأنس في بيت النبي ﷺ، تقول عائشة: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ بِخَزِيرَةٍ[1] طَبَخْتُهَا لَهُ، فَقُلْتُ لِسَوْدَةَ، وَالنَّبِيُّ ﷺ بَيْنِـي وَبَيْنَهَا: كُلِـي، فَأَبَتْ، فَقُلْـتُ: لَتَأْكُلِنَّ أَوْ لَأُلَطِّخَـنَّ وَجْهَكِ، فَأَبَتْ، فَوَضَعْتُ يَدِي فِي الْخَزِيرَةِ، فَطَلَيْتُ وَجْهَهَا، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ، فَوَضَعَ بِيَدِهِ لَهَا، وَقَالَ لَهَا: «**الْطَخِي وَجْهَهَا**»، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ[2].

ما أجمل الابتســامة! وما أجمل المرح! عندما يعيش الإنسان حياته بشوشًا باســم الثغر، الموقف الســابق موقف محرج بين ضرتين، تحول لـموقف ضحك ومرح وابتسامة، خرجت منه الضرتان بوجهين ملطخين، وشفتين باسمتين، وقلبين نظيفين طاهرين!

كم هي رائعة عائشــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عندما تُحــوِّل بذكائها ولطفها موقف الخصومة إلى موقف مرح ومزاح ومداعبة، هي رغم ما وجدته في نفســها على سودة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بسبب رفضها الأكل، لكن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لم تغضب ولم تتأفف، بل عالجته بذكاء ولطف ومرح، شاع في البيت روح الابتسامة والمرح المتبادل، جعل الحياة سعادةً وأنسًا، فلله در عائشة!

= باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد (ح: ٨٩٢).

(١) الْخَزِيرَةُ: لَحْمٌ يَقَطَّع صِغَارًا ويُصَبُّ عَلَيْهِ ماءٌ كَثِير، فَإِذَا نَضِج ذُرَّ عَلَيْهِ الدَّقيق، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهَا لَحْمٌ فَهِيَ عَصِيدَة. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٢٨).

(٢) رواه أبو يعلى في مســند عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ح: ٤٤٧٦)، وأحمد في فضائل الصحابة، في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ح: ٥٠٤)، والنسائي في السنن الكبرى، في عشرة النساء، باب الانتصار (ح: ٨٨٦٨)، وحسنه الألباني في الصحيحة (ح: ٣١٣١).

وحكــت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن موقف آخر، فقالــت: «رأيتُ النبي ﷺ طيبَ النَّفْس، قلت: يا رسولَ الله، ادعُ اللهَ لي، فقال: «**اللهمَّ اغفرْ لعائشةَ ما تقدَّم مِن ذنبِها وما تأخَّر، وما أسَــرَّتْ وما أعْلَنتْ**». فضحِكتْ عائشةُ حتى سقَط رأســها في حجْرِ رســولِ الله ﷺ من الضحِك، فقال: «**أيَسرُّكِ دُعائي؟**»، قالت: وما لي لا يَسرُّني دعاؤك؟! فقال: «**واللهِ إنَّها لدَعْوَتي لِأُمَّتي فِي كُلِّ صَلَاةٍ**»»[1].

يعني: لم أنس أمتي من دعائي، فكيف أنســى أحب الناس إلى قلبي من دعائي؟! والعبارة رغم عمومها، إلا إن المرءَ ليشم فيها رائحة العاطفة الحانية.

وقولها: «رأيتُ النبي ﷺ طيبَ النَّفْس»، فيه: أنها تبحث عن الفرص المناسبة وتستغلها.

المــزاح، واللعب، والابتســامة والمــرح بين الزوجيــن فعلًا ملح الحيــاة، ويأتي الموقف التالي في هذا الباب ليؤكد علوَّ مكانة عائشــة في قلبه ﷺ، كما يؤكد مراعاته ﷺ لمقتضى ســنها الصغير! إذ تســافر عائشة مع رســول الله ﷺ، ومعه أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فمــا كان منه ﷺ إلا أن أمر أصحابــه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أن يتقدموا. لماذا؟ نعرف هدفه ﷺ في قوله لعائشــة: «**تَعَالَيْ أُسَابِقْكِ**».

---

(١) رواه ابن حبان (ح: ٧١١١)، وأورده الألباني في الصحيحة (ح: ٢٢٥٤).

هـــذا إذًا ما يريده النبـــيُّ ﷺ، أن يخفف عن حبيبتـــه وزوجته وعثاء السفر، تخفيفًا ومراعيًا فيه حداثة سنها.

وهنا تتذكر عائشـــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا موقفًـــا مماثلًا حدث في الســـابق في إحدى أســـفار النبي ﷺ التي رافقته فيها، حيث تســـابق الاثنان، فســـبقته عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها كانت خفيفة اللحم.

أمَّا وقد حملت اللحم، فهي تعلم أنها لن تباري النبي ﷺ في السباق، فألقت عائشـــة دعابتها الجميلة قائلةً: كَيْفَ أُسَابِقُكَ يَا رَسُولَ اللهِ وَأَنَا عَلَى هَـــذِهِ الْحَـــالِ؟ ويُصرُّ النبي ﷺ علـــى الترويح عنها، فجرى الســـباق بين الحبيبين، فسبقها النبي ﷺ، ثم قال لها: «هَذِهِ بِتِلْكَ السَّبْقَةِ»[1].

يا الله! جوٌّ رائع من الحميمية، من المرح، والســـباق، وممارسة نوع من الرياضة يُضفي على الحياةِ الزَّوجيَّةِ البهجةَ والسَّـــعادةَ، يكســـر الرتابة البغيضَة، والملل فيها.

وفي موقف آخر يُبرز مكانة أم المؤمنين عائشـــة، إذ يأتي جارٌ فارسي إلى رســـول الله ﷺ يدعوه إلى تناول طعام صنعه له في داره، وقد كان هذا الجـــار معروفًا بطيب المرق فيقول له الحبيب ﷺ: «وَهَذِهِ؟»، مشـــيرًا إلى عائشـــة، فقال: لا. قال النبي ﷺ: «لا». ثم عاد يدعوه، فقال ﷺ: «وَهَذِهِ؟»

(١) رواه أبو داود في الجهاد، باب في الســـبق على الرجل (ح: ٢٥٧٨)، وابن ماجه في النكاح، باب حسن معاشرة النســـاء (ح: ١٩٧٩)، وصححه الألباني في الصحيحة (ح:١٣١).

قـــال: لا. فقال النبي ﷺ: «لا» ثم عاد في المرة الثالثة، قال ﷺ: «وَهَذِهِ؟»، قال: نعم في الثالثة. فقاما يتدافعان حتى أتيا منزله[1].

صـــورة زوجية جميلة، وإظهار لمكانة عائشـــة فـــي قلبه ﷺ، وبعد رضوخ الفارسي للشـــرط انطلق الحبيبان يتدافعان إلى دار الجار في حب جارف، وودٍّ فائق.

فما أجمل تلقائيتها في مزاحها وفكاهاتها! فإذا رأيتَ ثَمَّ رأيتَ البراءة والصفاء، لا تتصنع مرحًا أو دلالًا، فقد كانت في ذلك منبعًا وأصلًا.

يقـــول النووي: «فكـــره ﷺ الاختصاص بالطعـــام دونها، وهذا من جميل المعاشرة، وحقوق المصاحبة، وآداب المجالسة المؤكدة»[2].

وقد كانت عائشـــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في طفولتها مثـــل جميع الأطفال؛ كثيرة اللعب، كثيـــرة المرح، دائبة الحركة، لها صواحـــب تلعب معهن، وتلعب معهن بأرجوحة بين شـــجرتين، حتى تزوجت وانتقلت لبيت النبوة، فكان النبي ﷺ من عظيم أخلاقـــه أنه يُراعي صغر ســـنها، ويمكنها من المرح، واللعب مع صويحباتها، فكان يُقَدِّرُ -عليه الصلاة والسلام- حداثة سنها، وحاجتها إلى المرح والترفيه، في هذا الســـن، فكان يُسَرِّبُ لها صواحباتها يلاعبنها.

(١) رواه مســـلم في الأشربة، باب ما يفعل الضيف إذا تبعه غير من دعاه صاحب الطعام، واستحباب إذن صاحب الطعام للتابع (ح: ٢٠٣٧).

(٢) انظر: شرح النووي على مسلم (١٣/ ٢٠٩).

تقول عائشـــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كُنْتُ أَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ عِنْـدَ النَّبِيِّ ﷺ، وَكَانَ لِي صَوَاحِبُ يَلْعَبْنَ مَعِي، فَكَانَ رَسُـولُ اللَّه ﷺ إِذَا دَخَـلَ يَتَقَمَّعْنَ[1] مِنْهُ، فَيُسَرِّبُهُنَّ إِلَيَّ فَيَلْعَبْنَ مَعِي»[2].

وذات مرة: «قَدِمَ رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ تَبُـوكَ، -أَوْ خَيْبَرَ- وَفِي سَهْوَتِهَا[3] سِتْرٌ، فَهَبَّتْ رِيحٌ فَكَشَفَتْ نَاحِيَةَ السِّتْرِ عَنْ بَنَاتٍ لِعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لُعَبٍ، فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا عَائِشَةُ؟» قَالَتْ: بَنَاتِي. وَرَأَى بَيْنَهُنَّ فَرَسًا لَهُ جَنَاحَانِ مِنْ رِقَاعٍ، فَقَالَ: «مَا هَذَا الَّذِي أَرَى وَسْطَهُنَّ؟» قَالَتْ: فَرَسٌ. قَالَ: «وَمَا هَذَا الَّذِي عَلَيْهِ؟» قَالَتْ: جَنَاحَانِ. قَالَ: «فَرَسٌ لَهُ جَنَاحَانِ؟!» قَالَتْ: أَمَا سَمِعْتَ أَنَّ لِسُلَيْمَانَ خَيْلًا لَهَا أَجْنِحَةٌ؟ قَالَتْ: فَضَحِكَ حَتَّى رَأَيْتُ نَوَاجِذَهُ»[4].

في هذا الجواب يظهر ذكاء عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا رغم صغر سنها، وسرعة بديهتها: ألم يكن لسـليمان بن داود خيل لها أجنحة؟ فضحك ﷺ تعجبًا من هذا الرد السريع والمقنع، وفيه دِلالة على سعة اطلاعها، وسرعة إدراك الأمور في سن مبكرة.

---

(١) أي: يتغيبن حياءً منه، وهيبةً. ينظر: شرح النووي على مسلم (١٥/ ٢٠٤).

(٢) رواه البخاري في الأدب، باب الانبساط إلى الناس (ح: ٦١٣٠)، ومسلم في فضائل الصحابة، باب في فضل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ح: ٢٤٤٠).

(٣) السَّـهْوَةُ: بيت صغير منحدر في الأرض قليلًا شبيه بالمخدع والخزانة. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٤٣٠).

(٤) رواه أبو داود في الأدب، باب في اللعب بالبنات (ح: ٤٩٣٢)، وصححه الألباني في تخريج المشكاة (ح: ٣٢٦٥)

كان المرح والابتسامة والدعابة سمة في حياة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهي في هذا الموقف الآتي تُوجه بأن الضحك والمرح لا يجب أن يؤذي الآخرين، أو أن يكون شماتة تجرح مشاعر الآخرين، أو تُستغل المواقف الحرجة كما يحصل بين الناس في بعض الأحيان، أو بين بعض الشباب لِيَضحك البقية: دَخَلَ شَبَابٌ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى عَائِشَةَ وهم بِمِنًى، وَهُمْ يَضْحَكُونَ، فَقَالَتْ: مَا يُضْحِكُكُمْ؟ قَالُوا: فُلَانٌ خَرَّ عَلَى طُنُبِ[1] فُسْطَاطٍ، فَكَادَتْ عُنُقُهُ، أَوْ عَيْنُهُ أَنْ تَذْهَبَ، قَالَتْ عائشة: لَا تَضْحَكُوا، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُشَاكُ شَوْكَةً، فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا كُتِبَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ»**[2] توجيه منها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لهؤلاء الشباب ولنا جميعًا، وتقدير منها لحالة ذلك الشاب، وتحفيز له، ومراعاة لمشاعره.

إذًا المرح والمزاح المباح، والابتسامة والدعابة كل ذلك يؤدي إلى كسب القلوب، وتطييب الخواطر، والترويح عن النفوس يغرس بذور المحبة بين الناس، هكذا نجد في شخصية عائشة أم المؤمنين توازنًا عجيبًا، ولها في كل سهم نصيب!

(١) الطُنب: وَهُوَ الْحَبل الَّذِي يشد إِلَى الوتد وَالْجمع أطناب. ينظر: جمهرة اللغة (١/ ٣٦١).

(٢) رواه البخاري في المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض (ح: ٥٦٤٠)، ومسلم في البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض، أو حزن، أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها (ح: ٢٥٧٢).

السؤال التطبيقي:

كيف جمعت عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا بين الجدِّية والمرح، والمكانة الوقورة والمهابة والابتسامة، دون أن تُنقص من شخصيتها، أو مكانتها، أو وقارها وهيبتها؟

الإجابة:

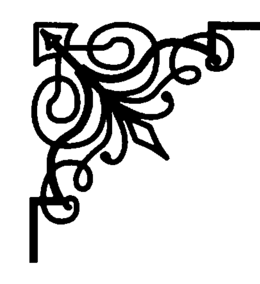
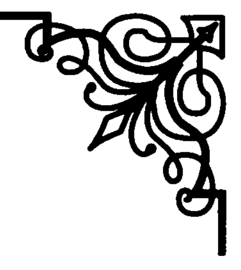
أولًا: فَهْمُ عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا الصحيح للحياة وللدين، وأن الجمع بين حلاوة الإيمان، وحلاوة الحيـــاة بحلالها هو أصل معنى العبادة الحقيقي، فتبسمك في وجه أخيك صدقة.

ثانيًا: توازن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا، وإعطاء كل ذي حق حقه؛ زاد من علمها ومن مكانتها، ورفع قدرها، وأثبت هيبتها.

ثالثًا: عائشة عاشـــت حياتها بطبيعتها كبشـــر دون تصنع أو تكلف، ودون أقنعة أو تزييف.

رابعًا: لا تعارض بين المرح والتبســم، وبين الهمـــوم التي يحملها المرء تجاه أمته، أو قضاياها التي ربما يتفطر القلب عليها، الحزن والوجوم لا يحل قضية، ولا يذهب بمشكلة.

خامسًـــا وأخيرًا: لم يمنع المرح والمزاح عائشـــة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا من قول الحق، كما أن قولها الحق لا يمنع تبسمها ومزاحها.

[١٩]
عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ووداع الحبيب

آهٍ للموت هاذم اللذات!

آهٍ للموت الذي يفرق بين الأحبة في أصعب لحظات الحياة! تلك اللحظات الحرجة التي يشعر معها الإنسان بتوقف الحياة، بل ويتمنى أن لو لم يعش تلك اللحظات العصيبة، لولا الإيمان والصبر والرضا بقضاء الله وقدره.

كيف إذا كان الفراق للعشير والزوج؟!

كيف إذ كان الفراق لرفيق العمر، وحبيب الروح؟! ما أشد الموقف! وما أصعبه!

يا تُرى ماذا سنقول إذًا إذَا كان هذا الزوج والحبيب هو نبي الأمة أفضل الخلق ﷺ؟!

لا شك أن الحدث جلل، والمصيبة عظيمة، فبموته عم الحزن أرجاء الدنيا بأسرها، واضطرب الجميع؛ رجالًا ونساءً، شيوخًا وشبابًا،

مهاجريـــن وأنصارًا، الكل أصابـــه الفزع والهلع والحيـــرة، حتى عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أخذ يجوب شـــوارع المدينة، ويُكذِّب الخبر، بل ويُهدد من يقول أن النبي ﷺ مات.

والشـــاهد هنا أنها إذا كانت الأحزان والمشـــاعر والآلام قد وصلت بالناس في المدينة إلى هذا الحد، فكيف بأقرب الناس لرسول الله ﷺ؟!

كيف بالحبيبة؟!

كيف بالزوجة الفتاة ذات الثمانية عشر ربيعًا؟!

كيف بعائشة التي لامس الحب والحنان كل نَفَسٍ منها، بل كل قطرة من دماء جسدها وقلبها؟!

كيف حال من كانت تُشاهد وتتابع حالة الاحتضار؟!

كيف حال الفتاة الشابة وحبيبها بين سَحرها[1] ونحرها، فترى بعينيها سكرات الموت خطوة بخطوة؟!

بدأ المرض الأخير بحبيبها رسول الله ﷺ بوجع في الرأس، فدخل على عائشة وسمعها تشكو رأسها فتقول: «وَارَأْسَاهْ... فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بَلْ

(١) السَّـــحْر: الرِّئة؛ أي: مات وهو مســـتند إلى صدرها وما يحاذي ســـحرها منه. انظر: مجمع بحار الأنوار (٣/ ٤٤)، النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٣٤٦).

أَنَا وَارَأْسَــاه»[1] قالها من ألم الصداع الشديد في رأسه، فما هي إلا ساعات وتتوالى الأيام ويشتد الألم برسول الله ﷺ، ويرغب في أن يُمرض في بيت عائشــة، لكنه لم يفعل ذلك، ظلَّ ﷺ يقسم بين نسائه حتى ثَقُل به المرض، فأحــب أن يكون قراره في بيت أحب أزواجه إليــه، ففي بعض الروايات: «أنه لما ثَقُل برســول ﷺ المرض استأذنت عائشــة أزواجه أن تُمرضه في بيتها فأذنَّ لها»[2].

وفي رواية أخرى: «أَنَّ رَسُــولَ اللَّهِ ﷺ، لَمَّــا كَانَ فِي مَرَضِهِ، جَعَلَ يَدُورُ بين نِسَــائِهِ، وَيَقُولُ: «أَيْــنَ أَنَا غَدًا؟ أَيْنَ أَنَا غَــدًا؟» حِرْصًا عَلَى بَيْتِ عَائِشَةَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: «فَلَمَّا كَانَ يَوْمِي سَكَنَ»[3]. أي: مات فيه.

فكان تمريضه ﷺ في آخر أيامه في بيت عائشة، كما هي رغبته، فهي أقرب الناس إليه، وأحب الناس إليه، وإلى قلبه، ولفضائل كثيرة خصَّها الله عز وجل بها؛ كنزول الوحي على رســول الله ﷺ في لحافها، وغيرها من الفضائل، وكأنه أرد التمريض في بيت عائشة والاستقرار فيه، رغبة منه بأن تحفظ كل الأقوال والأفعال الصــادرة منه ﷺ في أيامه ولحظاته الأخيرة، فكثيرًا من أخبار النبي ﷺ وأحواله عند الاحتضار، لم يعرفها المســلمون إلا من أحاديث عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا.

---

(١) رواه البخاري في الأحكام، باب: الاستخلاف (ح: ٧٢١٧).

(٢) رواه ابن حبان في السيرة (ص: ٣٩٧).

(٣) رواه البخاري في أصحاب النبي ﷺ، باب: فضل عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا (ح: ٣٧٧٤)، ومسلم في فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب: في فضل عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا (ح: ٢٤٤٣).

فها هي عائشة تجلس بجواره تُتابعه لحظة بلحظة، تَرقب الألم وهو يَشتد عليه.

لكن ماذا عساها أن تفعل إلا أن تُخفف عنه، وتُهون عليه، فتنفث على يديه، تمســح عليهما، وتدعو له مما علمه إياهـــا، تقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**أَذْهِبِ الْبَاسَ، رَبَّ النَّاسِ، وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا**»[1].

تخيلوا الموقف في الساعات الأخيرة في وداع الحبيب ﷺ!

كان متكئًا على عائشة بين سحرها ونحرها!

يا لهذا الحب العجيب؟!، فلا هي أســندته إلى وسادة، ولا هي ملّت من اضطجاعه حتى آخر لحظة وهو يجود بنفسه، إنه الحب في أعلى صوره، حتى أصبح من فضائل عائشـــة التي تفخر بهـــا وتعدُّها، وحُق -والله- لها ذلك.

إننـــا حين نتذكر هذه اللحظات الأخيـــرة لحبيبنا ﷺ، والله لا يمكننا وصف مشـــاعرنا، وما يدور بدواخلنا من الألم والحزن، رغم أننا في هذا الزمان، فكيف لو كنا مع عائشـــة وهي تُمرِّض رسول الله ﷺ في لحظات احتضار الحبيب ﷺ؟

(١) رواه ابن ماجه في الجنائز، باب: ما جاء في ذكر مرض رســول الله ﷺ (ح: ١٦١٩) وصححه الألباني في الصحيحة (ح: ٢٧٧٥).

يقول أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «بَيْنَمَا المُسْـلِمُونَ فِي صَلاَةِ الفَجْرِ لَمْ يَفْجَأْهُمْ إِلَّا رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ، كَشَفَ سِتْرَ حُجْرَةِ عَائِشَـةَ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ صُفُوفٌ، فَتَبَسَّـمَ يَضْحَكُ (فرح ﷺ باجتماعهم وألفتهم، على الصلاة التي كانت قرة عينه. حين خرج النبي ﷺ يطّلع على أصحابه من خلف ستر بيت عائشـة، فحدثت همهمة ففهم الصديق الأمر) وَنَكَـصَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (وقد كان يؤم المسـلمين في الصلاة) لِيَصِـلَ لَهُ الصَّفَّ، فَظَـنَّ أَنَّهُ يُرِيدُ الخُرُوجَ، وَهَمَّ المُسْـلِمُونَ أَنْ يَفْتَتِنُوا (أي: فرحًا برسول الله ﷺ وهم) فِي صَلاَتِهِمْ، فَأَشَـارَ إِلَيْهِمْ ﷺ أَتِمُّوا صَلاَتَكُمْ، فَأَرْخَى السِّتْرَ وَتُوُفِّيَ مِنْ آخِرِ ذَلِكَ اليَوْمِ»[1].

من بيت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كانت آخر نظرة لرسول الله ﷺ على أصحابه مجتمعين.

ومن بيت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كانت آخر نظرة لأصحابه له ﷺ.

وكان آخر كلمات سـمعتها عائشـة من حبيبها ﷺ وهو يودع الدنيا وعلى صدرها: «لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ! إِنَّ لِلْمَوْتِ سَـكَرَاتٍ» ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ: «فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى» حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ ﷺ»[2].

---

(١) رواه البخاري في الأذان، باب: هل يلتفت لأمر ينزل به، أو يرى شـيئًا، أو بصاقًا في القبلة؟ (ح: ٧٥٤)، ومسلم في الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر (ح: ٤١٩).

(٢) رواه البخاري في المغازي، باب: مرض النبي ﷺ ووفاته، (ح: ٤٤٤٩)، ومسـلم =

علمت الحبيبة أن حبيبها قد اختـــار الرفيق الأعلى، فقد كان أخبرها بقوله ﷺ: «**إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، ثُمَّ يُخَيَّرَ**»(١).

وها هي اللحظات الأخيرة تتســـارع، ولحظـــات الفراق تقترب، لتصور لنا عائشة -وهي مُسْـــنِدَةٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ على صدرها- أصعب لحظـــات الاحتضار، وأشـــد المواقـــف التي مرت عليها فـــي حياتها، فتقـــول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «إِنَّ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيَّ: أَنَّ رَسُـــولَ اللَّـــهِ ﷺ تُوُفِّيَ فِي بَيْتِي، وَفِي يَوْمِي، وَبَيْنَ سَـــحْرِي وَنَحْـــرِي، وَأَنَّ اللَّهَ جَمَـــعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ: دَخَلَ عَلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَبِيَدِهِ السِّـــوَاكُ، وَأَنَا مُسْـــنِدَةٌ رَسُـــولَ اللَّهِ ﷺ، فَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ السِّـــوَاكَ، فَقُلْتُ: آخُذُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِـــهِ: «**أَنْ نَعَمْ**» فَتَنَاوَلْتُهُ، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ، وَقُلْتُ: أُلَيِّنُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ: «**أَنْ نَعَمْ**» فَلَيَّنْتُهُ، فَأَمَرَّهُ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ - أَوْ عُلْبَةٌ - فِيهَا مَاءٌ، فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي المَاءِ فَيَمْسَـــحُ بِهِمَا وَجْهَهُ، يَقُولُ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَـــكَرَاتٍ**» ثُمَّ نَصَبَ يَـــدَهُ، فَجَعَلَ يَقُولُ: «**فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى**» حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ»(٢).

= فـــي فضائـــل الصحابة رضي اللـــه تعالى عنهـــم، باب: في فضل عائشـــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ح:٢٤٤٣).

(١) رواه البخاري في المغازي، باب: آخر ما تكلم به النبي ﷺ (ح: ٤٤٦٣)، ومسلم في فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب: في فضل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ح:٢٤٤٤).

(٢) رواه البخاري في المغازي، باب: مرض النبي ﷺ ووفاته (ح: ٤٤٤٩)، ومســـلم في فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب: في فضل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ح:٢٤٤٣).

تقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «فَلَمَّا خَرَجَتْ نَفْسُهُ، لَمْ أَجِدْ رِيحًا قَطُّ أَطْيَبَ مِنْهَا»[1].

ولا أقول في مثل هذه الحال إلا كما قال حسان:

فَبَكِّي رَسولَ الله يا عَينُ عَبْرَةً
ولا أعرِفَنْكِ الدّهرَ دمعَكِ يَجْمَدُ
وَمَا لكِ لا تَبْكِينَ ذا النّعْمَة الّتي
على النّاسِ مِنها سابغٌ يَتَغَمَّدُ
فَجُودي عَلَيْهِ بالدّموعِ وأعْوِلي
لِفَقْدِ الذي لا مِثْلُهُ الدّهرَ يُوجَدُ[2]

لحظات مؤلمة وهي ترى أمام عينيها وفي حضنها حبيبها يعاني من سكرات الموت، مات حبيبها على صدرها، كان من شدة الفاجعة عليها تقول: «فَمِنْ سَفَهِي وَحَدَاثَةِ سِنِّي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قُبِضَ وَهُوَ فِي حِجْرِي، ثُمَّ وَضَعْتُ رَأْسَهُ عَلَى وِسَادَةٍ، وَقُمْتُ أَلْتَدِمُ مَعَ النِّسَاءِ، وَأَضْرِبُ وَجْهِي»[3].

---

(١) رواه أحمد (ح: ٢٤٩٠٥).

(٢) ديوان حسان بن ثابت، بشرح عبد الرحمن البرقوقي (ص: ٩٥).

(٣) رواه أحمد (ح: ٢٦٣٤٨)، وأبو يعلى (ح: ٤٥٨٦) بسند حسن.

والالتدام: ضرب النساء وجوههنّ في النياحة. النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٢٤٥).

لقد كان لوفاة الرسول ﷺ وقع أليم في صدور المسلمين، كما كانت لحظات الاحتضار وخروج الروح إلى بارئها من أصعب اللحظات التي مرت عليها، فنراها تحكي بكل شفافية وبراءة ما كان منها بعد وفاة النبي ﷺ، وليس لأحد حُجة بفعلها، فقد اعتذرت بصغر سنِّها وجهلها، بل رجعت وأنكرت صنيعها، مع أن قواعد الشرع تؤكد أن عائشة بل وسائر الصحابة -رضوان الله عليهم- غير معصومين من الخطأ، فلا عصمة إلا لرسول الله ﷺ، الذي شدَّد ونهى عن ضرب الوجه، وشق الجيب عند المصيبة، لكن الخبر يوضح شدة وقع المصيبة على تلك الفتاة الصغيرة، اسمعوها وهي تتابع وصف لحظات السكرات، لحظات الاحتضار لحبيبها.

ومن يصف لنا ذلك الموقف العصيب سواها!

من يشعر بالحرقة والألم، ويجسد الهمسات والسكنات كما كانت سواها!

دعوها تحكي، فمنطقها أبلغ وأحكم، فتقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «إِنَّ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيَّ أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ تُوُفِّيَ فِي بَيْتِي، وَفِي يَوْمِي، وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي، وَأَنَّ اللَّهَ جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ»[1].

(١) رواه البخاري -واللفظ له- في المغازي، باب: مرض النبي ﷺ ووفاته (ح:٤٤٤٩)، ومسلم في فضائل الصحابة، باب: فضل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ح:٢٤٤٣).

قيــل: إنه من تقدير الله لرســوله ﷺ أن اليوم الذي مات فيه لم يكن لأحــد من زوجاته، بل كان يوم عائشــة، فجمعت عائشــة المفاخر كلها: يُمرض فــي بيتها، ويُقبض في يومها، ويكون موته بين ســحرها ونحرها، ويدفن بعد ذلك في حجرتها، فلله درّ ابنة أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا وعن أبيها.

هكذا كانت عائشــة الفتاة بنت الثامنة عشرة ســنة، لا يَتخيل إنسان حالها ومشاعرها إلا حين يُعايش ما عايشت، ويُتابع ما روت وما أخبرت، كيف كانت بحبِّ حبيبها لها ذخرًا للأمة بعد رســول ﷺ، وكأن الله أخَّرها نحو خمســين ســنة لتصل أمور النبي ﷺ إلى أمته كاملة؛ في سننه وآثاره وأيامه، وما جرى في بيته معها ومع زوجاته المطهرات رضوان الله عليهن أجمعين.

وداع الحبيب وداع صعب لنا نحن، فكيف لعائشة، الزوجة الحنون، الحبيبة رضي الله تعالى عنها وأرضاها؟!

السؤال التطبيقي:

كيف نتأســى بوفاة حبيبنا ﷺ، وبصبر الفتاة ذات الثمانية عشرة سنة على الفراق، وتحملها لحظات وداع الحبيب ﷺ؟

الإجابة:

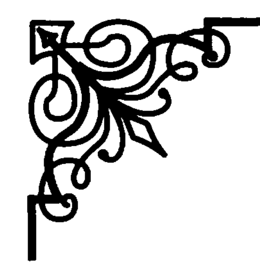
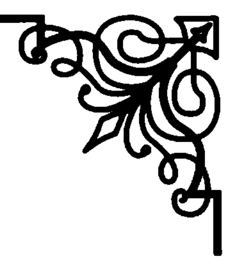
أولًا: لنــا بوفاته ﷺ عزاء عند فقد كل حبيب وغالٍ، فكل مصيبة بعد موته ﷺ تهون.

ثانيًا: العيش مع قصة وفاة النبي ﷺ فيها تهيئة للنفس للاستعداد لمثل هذه اللحظات الأخيرة التي سيمرُّ بها كل أحد.

ثالثًا: شدة ســكرات الموت واحتضاره ﷺ لنا فيها عظة لكل عاقل، « **كفى بالموت واعظًا** »، فهذا رســول الله ﷺ، فكيف بمن بعده من الناس، فاللهم هوِّن علينا سكرات الموت.

رابعًا: عمق إيمان عائشـــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وحسن علاقتها بربها، كان سببًا لثباتها رضي الله تعالى عنها، وتحمل لوعة فراق حبيبها رغم صغر سنها.

وخامسًا وأخيرًا: يقولون: الحب يصنع المعجزات، وأما لسان الحال لعائشة فيقول: الحب غذاءٌ للحقوق والواجبات، وسرّ الوجود في الحياة.

[٢٠]

عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا وفاطمة

عاشت عائشة داخل البيت النبوي مع أسرة كبيرة، وعاشت مع زوجات النبي ﷺ، كما عاشت مع آل بيته وقرابته ﷺ، وهنا سنفرد هذا الموضوع عن علاقة أم المؤمنين عائشة بسيدة النساء فاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنهما.

كيف كانتا مع بعضهما؟

وكيف كانت علاقتهما ببعضهما؟

فهما حبيبتان للحبيب ﷺ، فكلٌّ منهما يحلُّ في قلب الحبيب ﷺ، ويحتل المكانة العظمى.

وكلٌّ منهما تتنافسان أن تكون محبة النبي ﷺ له في أعلى درجة، وحُقَّ -والله- لهما ذلك، فكيف كان هذا التنافس بينهما؟

عائشة زوجة أب، وفاطمة ابنة زوج، وقد جرت عادة الناس عبر أزمانهم المختلفة أن يتحدثوا عن علاقة متوترة بين البنت وزوجة أبيها، وكلنا سمع الكثير عن مثل هذا، فهل وقع شيء من هذا بين عائشة وفاطمة؟

هل هناك من يُشنشن ويحاول أن يصطاد في الماء العكر؟

على كلٍّ الأهم عندنا الأحاديث الصحيحة في هذه العلاقة حتى نقف على الحقيقة من مصادرها الأصلية، ثم استنتاج الدروس والعبر.

كانت فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تكبر عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بثماني سنين[1] تقريبًا.

وعائشـــة دخلت بيت النبوة وعمرها تســـع ســـنوات، وفاطمة بنحو الثامنة عشر تقريبًا.

إذًا همـــا ينتميان تقريبًـــا إلى جيل واحد، وهذا التقـــارب غالبًا مظنة التنافس.

وكانت مكانة فاطمة عند أبيها ﷺ مكانة لا تعدلها مكانة.

وعائشة الزوجة التي لا مثيل لها عند النبي ﷺ قدرًا ومنزلة.

إذًا هكذا هما في قلب الحبيب ﷺ.

فقد دخلت عائشـــة بيت النبوة بعد بناء النبيّ ﷺ بها خاصة بعد غزوة بدر.

وتزوجت فاطمة بعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بعد غزوة أحد.

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ١٣٩).

إذًا فقد تعاشرتا في بيت النبوة حوالي عام واحد تقريبًا، ولكن عاشتا معًا سنين طويلة، إذ البيت الذي نزلت فيه فاطمة بعد الزواج، لا يفصل بينه وبين حجرة عائشة سوى جدارٍ، به نافذةٌ، تتحدثان من خلالها، كما يتحدث الأهل والأحباب بصفاء نفس يظهر بجلاء على السمت والسلوك.

وهل تصدقون أنني لم أقف في شـيء من المراجع على أي موقف سلبي وقع بين عائشة وفاطمة؛ مشـاجرة، أو حتى تأفف، أو هجران؟! بل إن أصحاب السير والأخبار قد أجمعوا على أن العلاقة والصلة التي ربطت بين عائشـة وفاطمة كانت على أكمل ما ترضاه السـجية الإنسانية في كل صلة، صلة يملؤها الحب والود والصفاء والوئام والنقاء، لذلك لم تسجل لنا كتـب الأحاديث واقعة واحدة صحيحة تدل علـى أن واحدة منهما قد حملت شيئًا في نفسها على الأخرى!

وإن ممـا يـدل على قـوة الأواصر والروابـط المتينة بين عائشـة وفاطمة ما روته عائشـة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حيث قالت لها: «أَلَا أُبَشِّرُكَ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُـولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: سَيِّدَاتُ نِسَـاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَرْبَعٌ: «مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُـولِ اللَّهِ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ»»[1]، ولو لم يكن بينهما إلا الود والحب لما بشرتها بهذه البشارة.

حقًّا لقد كانت الرابطة بين «عائشة» و«فاطمة» متينة إلى حدٍّ عجز معه

(١) رواه أحمد في فضائل الصحابة، باب: فضائل فاطمة بنت رسول الله ﷺ (٢/ ٧٦٠، ح: ١٣٣٦)، وصححه الألباني في الصحيحة (ح: ١٤٢٤).

طالبوا الفتنة ومشعلوها عن الإتيان بشـــاهدٍ تاريخي واحدٍ مسندٍ يشير من قريبٍ أو بعيدٍ بأنَّ عداءً نشب بينهما.

رغم أن عائشـــة بلغة واقعنا المعاصر زوجة أب، وفاطمة بنت زوج، بل أجمع أصحاب الســـير على أن الصلة بينهما كانـــت على أكمل وجه، ولا غرابة فهما شـــريفتان كريمتان، عظيمتان في أخلاقهما، وعلوّ شأنهما، يكفي أنهما تربتا ونشأتا في بيت النبوة، درستا في المدرسة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

لقـــد كانـــت أمّ المؤمنيـــن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تحمل فـــي صدرها ونفســـها لفاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فضيلة ومزية على كل النساء، كانت تقول: «إِنْ كُنْتُ لَأَرَى أَنَّ لِهَذِهِ الْمَرْأَةِ فَضْلًا عَلَى النِّسَاءِ»[1].

وفي رواية: «إِنْ كُنْتُ لأَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ مِنْ أَعْقَلِ نِسَائِنَا»[2].

فهذا ما كان في قلب عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لفاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

بل تصف عائشةُ فاطمةَ فتقول: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشْبَهَ سَمْتًا وَدَلًّا وَهَدْيًا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي قِيَامِهَا وَقُعُودِهَا مِنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»[3].

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (ح: ٩٤٧)، وصححه الألباني.

(٢) رواه الترمذي في المناقب عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ح: ٣٨٧٢)، وصححه الألباني.

(٣) رواه الترمذي في المناقب عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ح: ٣٨٧٢)، وصححه الألباني.

وتقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أيضًا عنها: «إِنَّا كُنَّا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ، لَمْ تُغَادَرْ مِنَّا وَاحِدَةٌ، فَأَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ -عَلَيْهَا السَّلاَمُ- تَمْشِي، لاَ وَاللَّهِ مَا تَخْفَى مِشْيَتُهَا مِنْ مِشْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا رَآهَا ﷺ رَحَّبَ بها»[1].

لقد كانت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من أبرز النساء اللاتي قمن بتجهيز فاطمة للعرس، والعناية بإعداد أغراض البيت، وترتيب أمور الزواج، ونحو ذلك، حيث يُروى عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: «أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نُجَهِّزَ فَاطِمَةَ حَتَّى نُدْخِلَهَا عَلَى عَلِيٍّ، فَعَمَدْنَا إِلَى الْبَيْتِ، فَفَرَشْنَاهُ تُرَابًا لَيِّنًا مِنْ أَعْرَاضِ الْبَطْحَاءِ، ثُمَّ حَشَوْنَا مِرْفَقَتَيْنِ لِيفًا، فَنَفَشْنَاهُ بِأَيْدِينَا، ثُمَّ أَطْعَمْنَا تَمْرًا وَزَبِيبًا، وَسَقَيْنَا مَاءً عَذْبًا، وَعَمَدْنَا إِلَى عُودٍ، فَعَرَضْنَاهُ فِي جَانِبِ الْبَيْتِ، لِيُلْقَى عَلَيْهِ الثَّوْبُ، وَيُعَلَّقَ عَلَيْهِ السِّقَاءُ، فَمَا رَأَيْنَا عُرْسًا أَحْسَنَ مِنْ عُرْسِ فَاطِمَةَ»[2]. وبهذا الوصف الجميل ختمت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حكايتها لقصة تجهيز فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وما من شك أن في هذا دلالة قوية على متانة العلاقة، وقوة المحبة بينهما رضي الله تعالى عنهما.

---

(١) رواه البخاري في الاستئذان، باب من ناجى بين يدي الناس، ومن لم يخبر بسر صاحبه، فإذا مات أخبر به (ح: ٦٢٨٥)، ومسلم في فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب فضائل فاطمة بنت النبي عليها الصلاة والسلام (ح: ٢٤٥٠).

(٢) رواه ابن ماجه في النكاح، باب الوليمة (ح: ١٩١١)، قال البوصيري في مصباح الزجاجة (٢/ ١٠٨): «هذا إسناد فيه المفضل بن عبد الله وهو ضعيف وشيخه جابر الجعفي متهم، وله شاهد من حديث أنس رواه أصحاب الكتب الستة، وأصله في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي أسيد الساعدي»، وضعفه الألباني.

ومما يؤكد -أيضًا- متانة العلاقــة بينهما ما رواه عَلِيٌّ بن أبي طالب زوج فاطمة رضي الله تعالى عنهما: «أَنَّ فَاطِمَةَ -عَلَيْهَا السَّــلاَمُ- اشْتَكَتْ مَا تَلْقَى مِنَ الرَّحَى مِمَّا تَطْحَنُ، فَبَلَغَهَا أَنَّ رَسُــولَ اللَّهِ ﷺ أُتِيَ بِسَبْيٍ، فَأَتَتْهُ تَسْــأَلُهُ خَادِمًا[1]، فَلَمْ تُوَافِقْهُ، (ولفظ مســلم: فَلَمْ تَجِدْهُ) فَذَكَرَتْ لِعَائِشَةَ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا، فَأَتَانَا (أي: النبي ﷺ)، وَقَدْ دَخَلْنَا مَضَاجِعَنَا، فَذَهَبْنَا لِنَقُــومَ، فَقَالَ: «عَلَى مَكَانِكُمَا». حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِي، فَقَالَ: «أَلاَ أَدُلُّكُمَا عَلَى خَيْرٍ مِمَّا سَــأَلْتُمَاهُ، إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا فَكَبِّرَا اللَّهَ أَرْبَعًا وَثَلاَثِينَ، وَاحْمَدَا ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَسَــبِّحَا ثَلاَثًا وَثَلاَثِيــنَ، فَإِنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمَا مِمَّا سَــأَلْتُمَاهُ (ولفظ مســلم: خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ)»[2].

ففي الحديــث دلالة على عمــق متانة العلاقة بين عائشـــة وفاطمة رضــوان الله تعالى عليهما، فقد كانت عائشـــة كثيرًا مــا تروي كيف كان تعامله ﷺ مع أهل بيته، وذريته، وعن طريقها نُقلت كثير من فضائل فاطمة الزهراء رَضِيَٱللَّهُعَنهَا.

(١) الخادم: واحــد الخدم، ويقع على الذكــر والأنثى؛ لإجرائه مجرى الأســماء غير المأخوذة من الأفعــال، كحائض وعاتق. انظر: النهاية فــي غريب الحديث والأثر (٢/ ١٥)، فتح الباري لابن حجر (٩/ ٢٧١).

(٢) رواه البخاري في فرض الخمس، باب الدليل على أن الخمس لنوائب رسول الله ﷺ والمســاكين وإيثار النبي ﷺ أهل الصفة والأرامل (ح: ٣١١٣)، ومســلم في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التسبيح أول النهار وعند النوم (ح: ٢٧٢٧).

قَالَتْ عَائِشَةُ: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ غَدَاةً وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مُرَحَّلٌ[1]، مِنْ شَعْرٍ أَسْوَدَ، فَجَاءَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ جَاءَ الْحُسَيْنُ فَدَخَلَ مَعَهُ، ثُمَّ جَاءَتْ فَاطِمَةُ فَأَدْخَلَهَا، ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ قَالَ: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[الأحزاب: ٣٣]»[2].

تروي عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا الخبر بكل أريحية، ولم تجد في نفسها أي غضاضة، أو تسأل لِمَ لم يُدخلها حبيبها ﷺ معهم، أو لِمَ لم يذكرها معهم، ونحو هذا، بل تروي الخبر بكل فخر، وبكل حب لروعة العلاقة بينها وبين أسرة زوجها وحبيبها، فهو يُبين في هذا الحديث فضل فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وآل بيتها، وعلوّ منزلتهم رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

كما بيّن ﷺ لابنته فاطمة أيضًا فضل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وعلو منزلتها، فليس أبلغ من قوله لفاطمة لما جاءت تتشفع لزوجات رسول الله ﷺ بأن يُنصفهن من ابنة الصديق، فماذا قال لفاطمة؟ قال: «**يَا بُنَيَّةُ أَلا تُحِبِّينَ مَا أُحِبُّ؟**» قَالَتْ: بَلَى. قال: «**فأحبِّي هذه**»[3].

---

(١) المرط: كساء من صوف أو خز، والْمُرَحَّل هو: الَّذِي قَدْ نُقش فِيهِ تَصاوير الرِّحَال. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٣١٩) و(٢/ ٢١٠).

(٢) رواه مسلم في فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب فضائل أهل بيت النبي ﷺ (ح: ٢٤٢٤).

(٣) رواه البخاري في باب من أهدى إلى صاحبه وتحرى بعض نسائه دون بعض (ح:٢٥٨١)، ومسلم في فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب في فضل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ح: ٢٤٢٤).

فهذه إشارة منه ﷺ إلى فضل عائشة وعلو منزلتها، وأن فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كانت تحبها.

وها هي عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مرة أخرى تصف موقفًا آخر في بيت النبي ﷺ يعبــر عن مبلغ حب النبي ﷺ لفاطمة، فتقــول: «كَانَتْ إِذَا دَخَلَتْ عليه (أي: النبي ﷺ) قَامَ إِلَيْهَا، فَأَخَذَ بِيَدِهَا، وَقَبَّلَهَا، وَأَجْلَسَهَا فِي مَجْلِسِهِ، وَكَانَ النَّبِي ﷺ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهَا قَامَتْ إِلَيْهِ، فَأَخَذَتْ بِيَدِهِ فَقَبَّلَتْهُ، وَأَجْلَسَتْهُ فِي مَجْلِسِهَا»(١).

علاقة أبويَّة حميمة، بنوَّة وأبوَّة رائعة، تصفها عائشة بكل حبٍّ ووفاء، بل تصف طريقة القيام للاســتقبال، وإجلاس كل منهما الآخر بمكانه، بل تصــف التقبيل بين الأب وابنته دون غضاضة أو غيرة، بل ترويها بكل فخر وإنصاف وإعجاب.

وتُحدثنا -أيضًا- عائشــة عــن ثقتها الكبيرة بفاطمــة إلى أبعد حدٍّ، فتقول: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا قَطُّ أَصْدَقَ مِنْ فَاطِمَةَ غَيْرَ أَبِيهَا، وَكَانَ بَيْنَهُمَا شَــيْءٌ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ سَلْهَا؛ فَإِنَّهَا لَا تَكْذِبُ»(٢).

(١) رواه أبــو داود في أبواب النوم، باب ما جاء في القيــام (ح: ٥٢١٧)، والترمذي في المناقب عن رســول الله ﷺ، باب ما جاء فــي فضل فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ح: ٣٨٧٢)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، والأرنؤوط ومن معه في تحقيقهم لسنن أبي داود.

(٢) رواه أبو يعلــى (ح: ٤٧٠٠)، والطبراني في الأوســط (ح: ٢٧٢١)، وأبو نعيم في الحليــة (٢/ ٤١)، قال الهيثمــي في مجمع الزوائــد (٩/ ٢٠١): رواه الطبراني في الأوسط وأبو يعلى ورجالهما رجال الصحيح.

فانظر ثقة عائشـــة بفاطمة، هكذا كان التعامل بين فاطمة وبين عائشة رضي الله تعالى عنهما، علاقة حميمية رائعـــة، قائمة على الثقة، والمحبة المتبادلة، على التعاون بينهما.

ســـبحان الله هذا هو بيت النبوة، وهذه هي زوجتـــه، وهذه ابنته من زوجته خديجة، فتأملوا روعة التعامل بينهما، والعلاقة الوطيدة، والأواصر الأسرية الرائعة بينهما؟!

فأين من يُســـجل هذه المواقف؟ اكتب يا تاريخ، ســـجل عن روعة المحبـــة والحـــب بين فاطمة الزهراء ســـيدة النســـاء وبين عائشـــة حبيبة الحبيب ﷺ.

وفي حديث المَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، عندما قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَـــرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا»**(١)، هذا الحديث ترويه عائشة وهي تُدرك أن النبي ﷺ اختار من الخلق أقربهم إليه، وأشدهم له شـــفقة وحنانًا ورحمة، هذه هي عائشـــة الصديقة لم يُعرف في وصف لفاطمة أفضل مما قالت وســـاقت من فضائل ومناقب، ليعلم كل أحد قوة ومتانة العلاقة والمحبة بين عائشة وفاطمة، وأنهما يستقيان من معين واحد لا ينضب، ويأخذان من نهر واحد لا يجف!

---

(١) رواه البخـــاري في أحاديـــث الأنبياء، باب حديث الغار (ح: ٣٤٧٥)، ومســـلم في الحدود، باب قطع الســـارق الشـــريف وغيـــره، والنهي عن الشـــفاعة في الحدود (ح:١٦٨٨).

فرحم الله عائشة أم المؤمنين حبيبة الحبيب ﷺ.

ورحم الله فاطمة ابنة أشـــرف الخلق وســـيدة النســـاء، وأم سيّدي شـــباب أهل الجنة، درة الدهر الحسنين رضوان الله تعالى عنهم أجمعين، ويعلم الله حبنا لهم جميعًا، كما يعلم الله علو قدرهم في قلوبنا، يُحبهم كلُ مؤمن، ولا يُبغضهم إلا فاجر.

السؤال التطبيقي:

عائشة وفاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عينان في رأس، حبيبتان للرسول ﷺ، بينهما من الود والحب ما يُدهش ويُعجب، فكيف وصتلا يا ترى لهذا رغم أنهما زوجة أب، وابنة زوج، وكيف نصل نحن في واقعنا المعاصر إلى ما وصلتا إليه رضوان الله تعالى عليهما؟

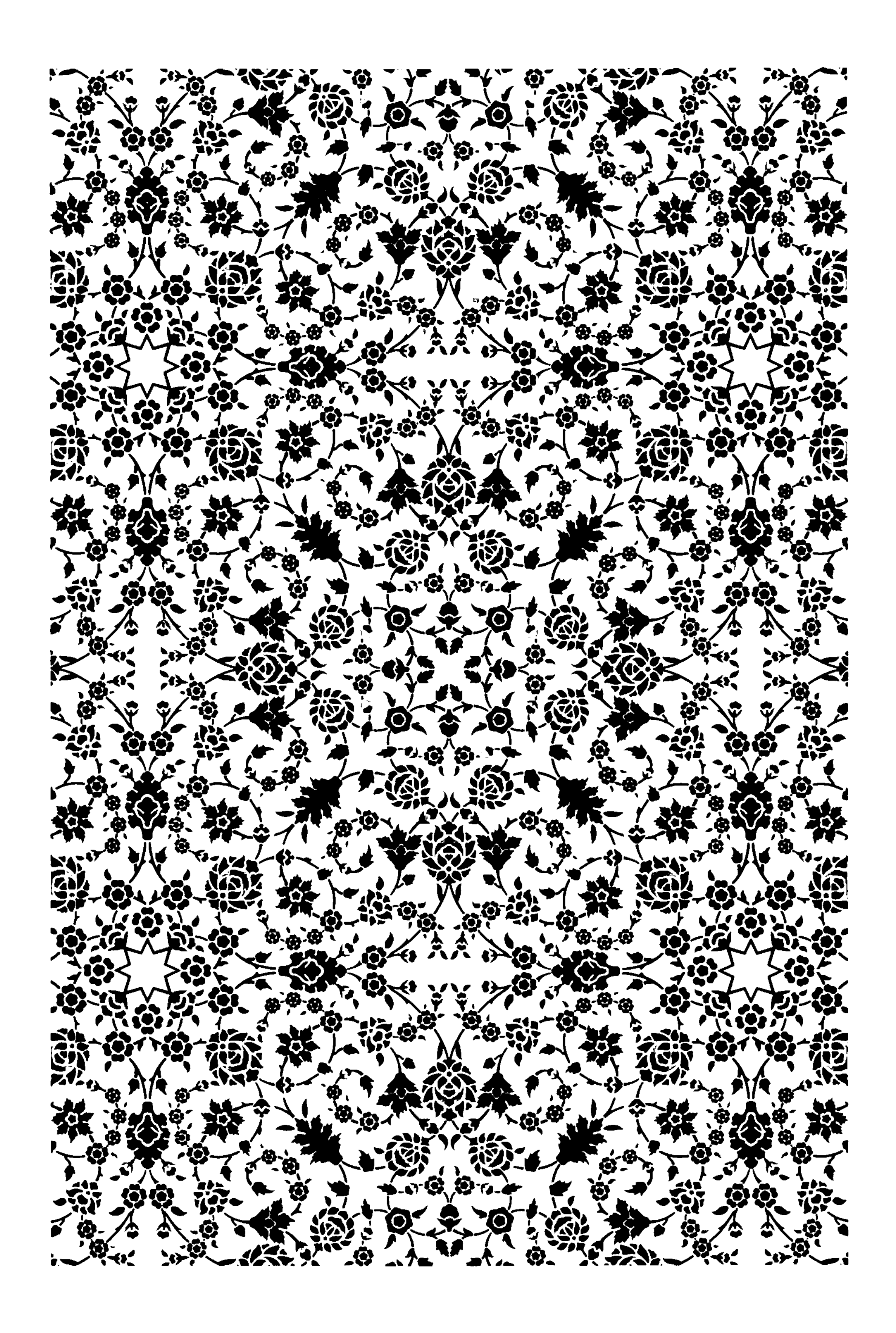
الإجابة:

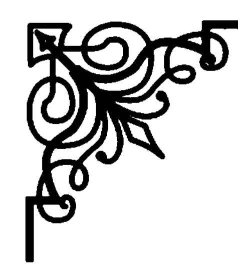
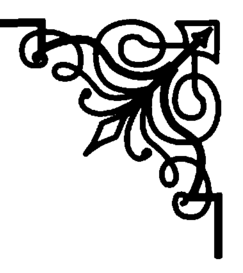
أولًا: عائشـــة وفاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا تربتا في المدرســـة المحمدية على مكارم الأخلاق، من حب وتسامح وإنصاف.

ثانيًا: الأصل بينهما كأســـرة واحدة: الحـــب والتراحم، ومتانة وقوة العلاقة، فزادهما الإيمان والمحبة في اللـــه متانة، فعلاقتهما الإيمانية قبل العلاقة الأسرية.

ثالثًا: للعلم الشـــرعي وتزكية النفس وتربيتها ومجاهدتها أثر كبير في التعامل مع الناس، وحسن الظن بالآخر، وسلامة الصدر تجاه الآخرين.

رابعًا: حب عائشة وفاطمة -رضوان الله عليهما- من كمال الإيمان، وبغضهما أو بُغض إحداهما مــن نقائص الإيمان، ولا يبغضهما أو يُبغض إحداهما إلا حاقد فاجر.



[٢١]
عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عابدةً

عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا شـخصية إيمانيَّة من طراز فريد، فالعبادة في مفهوم عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ليسـت العبادات الكبرى فقط: صلاة، صيام، حجّ، زكاة، قراءة القـرآن...، ونحوها، بل فهمت شـمولية العبـادة لمناحي الحياة، فجعلت حياتها كلها عبادة.

وكيف لا تكون عابدة وهي بصحبة سيِّد العباد صلوات الله وسلامه عليه، تربت في حضن حبيبها، كان ﷺ أسـوة لها في حسن العلاقة بالله، وحب الله جلَّ جلاله، حتى نالت منزلة عجيبة بشَّـرها بها النبيُّ ﷺ فقال لهـا: «أما ترضين أن تكوني زوجتي في الدنيا والآخرة؟» قالت: بلى والله. قال: «فأنت زوجتي في الدنيا والآخرة»[١].

فهنيئًا لعائشـة هذا الفضل العظيم، فقد نالته بفضـل الله ثم بجدِّها واجتهادها وتربية نفسـها إيمانيًّا، فقد كان هدفها في حياتها واضحًا؛ وهو:

---

(١) رواه ابن حبان (ح: ٧٠٩٥)، والحاكم في المسـتدرك (ح: ٦٧٢٩)، وقال: صحيح، ووافقه الذهبي. وقال الألباني في الصحيحة (ح:٢٢٥٥): «وهو كما قالا».

الحرص على رضا الله، وطاعة الله في كل شيء.

لقـــد تأثرت رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا كثيـــرًا بما رأته من عبادة النبـــي ﷺ وهديه في العبادات، وكانت تقتدي به في الصلاة، فإنه «لَمَّا انْكَسَـــفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُـــولِ اللهِ ﷺ، نُودِيَ بِالصَّلَاةَ جَامِعَةً، فَرَكَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَكْعَتَيْنِ فِي سَـــجْدَةٍ، ثُمَّ قَامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ فِي سَجْدَةٍ، ثُمَّ جُلِّيَ عَنِ الشَّمْسِ» فَقَالَتْ عَائِشَةُ: مَا رَكَعْتُ رُكُوعًا قَطُّ، وَلَا سَجَدْتُ سُجُودًا قَطُّ، كَانَ أَطْوَلَ مِنْهُ»[1]، فكان لهذا الموقف وما شـــابهه من المواقف الأثر الكبير في شـــخصيتها الإيمانية، فمن يتتبع سيرة عائشـــة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا سيرى بوضوح قوة شخصيتها الإيمانية، فهي بحق أنموذج ومنهج تربوي وعملي لكل مسلم ومسلمة.

فممـــا يُروى عنها أنها ركعـــت ثَمَانِي رَكَعَاتٍ وَقَالَتْ: «لَوْ نُشِـــرَ لِي أَبو بَكْرٍ مَا تَرَكْتُهُنَّ، وَقَالَتْ: رَكَعْتُهُنَّ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ». وفي رواية: «لن أَزَال أصلي ثَمَاني رَكْعَات مثله»[2]. أي: مثل النبي ﷺ.

فهـــي هنا تُعلن أنها لن تترك صلاة الضحى حتى ولو عاد أبو بكر مرة أخرى إلى الحياة فإنها لن تنشـــغل به عن ركعات الضحى الثمان التي رأت حبيبها ﷺ يركعها.

---

(١) رواه البخاري في الكسوف، باب طول السجود في الكسوف (ح: ١٠٥١)، ومسلم في الكسوف، باب ذكر النداء بصلاة الكسوف الصلاة جامعة (ح: ٩١٠).

(٢) رواه البخـــاري في التاريخ الأوســـط (١/ ١٧٢)، والحديث أصلـــه في موطأ مالك (ح: ٣٠)، والسنن الكبرى للنسائي (ح: ٤٨٤).

هذه منزلة صلاة الضحى عند عائشة، فكيف إذًا بمنزلة الصلوات الخمس المفروضة؟!

فمن منهج عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أنها إن واظبت على عبادة داومت عليها ولا تتركها، فإن نامت عنها أو سهت سارعت بقضائها عملًا بما ورد في الحديث، فذات مرة دخل عليها ابن أخيها القاسم بن محمد قبل صلاة الفجر وهي تصلي، فقال لها: ما هذه الصلاة؟ قالت: «نِمْتُ عَنْ جُزْئِي اللَّيْلَةَ فَلَمْ أَكُنْ لِأَدَعَهُ»[١].

فهي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تُداوم على نوافل الطاعات تأسِّيًا واقتداءً بالحبيب ﷺ، الذي روت عنه قوله: «إِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ. وَكَانَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ إِذَا عَمِلُوا عَمَلًا أَثْبَتُوهُ»[٢].

وبفضل الله ثم مجاهدتها في التقرب إلى الله تعالى بأنواع العبادات والقربات، أكرمها الله بميزة لم توجد عند غيرها من أمَّهات المؤمنين، فلم يكن الوحي ينزل على رسول الله ﷺ وهو في لحاف امرأة من نسائه سوى عائشة[٣]، ولذا احتجَّ النبي ﷺ على نسائه بهذا، فما خصَّها الله دون نسائه بهذه المنقبة إلا لِما كانت عليه من العبادة والديانة، وجميل الصفات في العمل والطاعة، فقد كانت تتنوع في عبادتها لربها، فتضرب في كل ميدان،

(١) رواه الدارقطني (ح: ٩٦٦).

(٢) رواه مسلم في الصلاة، باب: فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره (ح: ٧٨٢)

(٣) رواه البخاري في أصحاب النبي ﷺ، باب فضل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ح: ٣٧٧٥).

وفي كل ركن بســـهم ونصيب، وإذا دخل شهر رمضان يكون لها شأن آخر كحبيبها ﷺ مع الطاعات والعبادات، فكانت تهتم بصلاة التراويح اهتمامًا بالغًا، تأمر مولاها ذكوان لكي يؤمها ويقرأ من المصحف [1].

ولم تترك بعد وفاة النبي ﷺ الاعتكاف في العشر الأواخر في رمضان، وبلغ حبها للصوم مبلغًا كبيرًا، فكثيرًا ما كانت تســـرد الصوم طوال العام، فلا تفطر إلا في العيدين، وفي يوم من الأيام وافق صيامها الحر الشـــديد، وقـــد دخل عليها عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ يَـــوْمَ عَرَفَةَ وَهِيَ صَائِمَةٌ، وَالْمَاءُ يُرَشُّ عَلَيْهَا من شـــدة التعب والعطش، فَقَالَ لها: أَفْطِرِي! قَالَتْ: أُفْطِرُ وَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ صَوْمَ يَوْمِ عَرَفَةَ يُكَفِّرُ الْعَامَ الَّذِي قَبْلَهُ**»[2].

الأصل: لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، إلا أن عائشة آثرت أن تتحمل العطش؛ لتنال أجر صيام يوم عرفة.

أما عائشـــة والحج فحدِّث ولا حرج، فلا يمكن أن يفوتها باختيارها بعدما سمعت من رسول الله ﷺ في شـــأن الحج كما في البخاري قَالَت: «قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَلَا نَغْزُو وَنُجَاهِدُ مَعَكُمْ؟ فَقَالَ: «**لكِنَّ أَحْسَنَ الْجِهَادِ**

---

(١) رواه البخـــاري في صحيحـــه (١/ ١٤٠) معلقًا بصيغة الجـــزم. ووصله البيهقي في السنن الكبرى (٣/ ١٢٦، ح: ٥١٢٢). وصحح النووي إسناده في خلاصة الأحكام (١/ ٥٠٠). انظر: تغليق التعليق (٢/ ٢٩٠).

(٢) رواه أحمـــد (٤١/ ٤٣٨، ح: ٢٤٩٧٠) وضعـــف ســـنده الأرنـــؤوط وزملاؤه في تحقيقهم للمســـند، وفي صحيح مســـلم (ح: ١١٦٢) أنه ﷺ قال: «صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده».

وَأَجْمَلَهُ: الْحَجُّ حَجٌّ مَبْرُورٌ»، فَقَالَتْ عَائِشَـةُ: فَلَا أَدَعُ الْحَجَّ بَعْدَ إِذْ سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هذا الحديث»[1].

لقد بلغ بها الورع والخشية في العبادة والحج مبلغًا عظيمًا، إذ كانت رقيقـة القلب، نقية الفؤاد، لا تملك نفسـها من البـكاء، ولما أصابها في حجة الوداع ما يصيب بنات آدم (الحيض)، فلم تقدر أن تعتمر، «فَنَسَـكَتْ المَنَاسِـكَ كُلَّهَا غَيْرَ أَنَّهَا لَمْ تَطُفْ بِالْبَيْتِ، قَالَ: فَلَمَّا طَهُرَتْ وَطَافَتْ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَنْطَلِقُونَ بِعُمْرَةٍ وَحَجَّةٍ وَأَنْطَلِقُ بِالحَجِّ؟ فَأَمَرَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي بَكْرٍ أَنْ يَخْرُجَ مَعَهَا إِلَى التَّنْعِيمِ، فَاعْتَمَرَتْ بَعْدَ الحَجِّ فِي ذِي الحَجَّةِ»[2]، فقرّ قرارها، وهدأ خاطرها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وفي الصدقـات، والكرم، والإنفاق وصلت فيه عائشـة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حـدًّا لا يخطر على بال، فاسـتحقّ أن نُفرد له موضوعًا خاصًا (عائشـة الكريمة)، ومثلـه أيضًا دورها في نفع الناس، والمجتمع، وكفالة الأيتام، فعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تُدرك تمامًا أن العبادة المتعدي نفعها للغير أعظم وأحبّ عند الله من العبادة القاصرة علـى النفس، فكان لها أدوار حياتية متنوعة تتقرب بها إلى الله تعالى.

لنتأمل في كيفية وخطوات بناء عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا شخصيتها الإيمانية، وكيف كانـت تحرص على علاقتها بربها؟ فإن من أعظم ما يعين العبد في

(١) رواه البخاري في جزاء الصيد، باب حج النساء (ح: ١٨٦١).
(٢) البخاري، في الحج، باب: عمرة التنعيم (ح:١٧٨٥).

دنيـــاه هو قوة العلاقة مع اللـــه جلَّ جلاله، والدرس الرائـــع الذي تعلمناه من عائشة العابدة؛ أنه رغم كل هذا الشـــغف بالعبادات إلا أنه كان بتوازن واعتدال، فلم يؤثر أو تُقصر في الحقوق الأخرى، مثل حق نفســـها، وحق زوجها، وحقوق الآخرين، بل جعلت هذه الحقوق بفهمها الشامل والعميق لمفهوم العبـــادة عبادات أخرى تتقرَّب بها إلى اللـــه تعالى؛ وهذا الجمال الرائع في مفهوم العبادة عندما يكون توازن الإنسان بين دينه ودنياه.

كما أن من أجلِّ العبادات: العلم، وبذله لطلابه، ونفع الناس بمســـائل الديـــن، والإفتاء، ومســـائل الفقه؛ فلم يكنْ أحد يبارز عائشـــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في العلم بفقـــه وحال النبيِّ ﷺ؛ مما لا يطلع عليـــه غيرها وزوجاته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ، حتى صارت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أعلم النساء على الإطلاق، ولا شك أنها كانت تتقرب إلى الله بنشـــر العلم، وتفقيه الناس، وتربية الصغار على ذلك، حتى تخرج منهم علماء وأفذاذ، فقد ســـارع إليها طلاب العلم ينهلون من معينها، ويقتبسون من نورها؛ فأصبحت حجرتها المباركة وِجْهَةً لطلاب العلم، حتى غدت هذه الحجرة أول مدارس الإسلام، وأعظمها أثرًا في تاريخ الإسلام.

كما أن من أعظم العبادات بل من أُسها: قراءة القرآن، وتدبر القرآن، ويا الله كيف كانت عائشة مع القرآن ومع تدبر القرآن مما جعلني أُخصص موضوعًا مستقلًّا عن (عائشـــة المتدبرة للقرآن الكريم)، وعندما «ذُكِرَ لَهَا أَنَّ نَاسًـــا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ فِي اللَّيْلَةِ مَرَّةً، أَوْ مَرَّتَيْـــنِ، فَقَالَتْ: «أُولَئِكَ قَرَءُوا، وَلَـــمْ يَقْرَءُوا، كُنْتُ أَقُومُ مَعَ رَسُـــولِ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ التَّمَام، فَكَانَ يَقْرَأُ سُـــورَةَ الْبَقَرَةِ، وَآلِ عِمْرَانَ، وَالنِّسَاءِ، فَلَا يَمُرُّ بِآيَةٍ فِيهَا تَخَوُّفٌ، إِلَّا دَعَا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ

وَاسْتَعَاذَ، وَلَا يَمُرُّ بِآيَةٍ فِيهَا اسْتِبْشَارٌ، إِلَّا دَعَا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَرَغِبَ إِلَيْهِ»[1].

قولها: «أُولَئِكَ قَرَءُوا، وَلَمْ يَقْرَءُوا» أي: أنهم قرءوا بلسانهم ولم يتدبروا معانيه بقلوبهم فكأنهم لم يقرءوا، واستدلت على ذلك بقراءة رسول الله ﷺ، فإن من تدبر معنى القراءة ودعا الله - عز وجل - عند كل آية فيها استبشار، وتعوذ بالله من النار عند كل آية فيها تخويف لا يمكنه أن يقرأ القرآن كله في ليلة[2].

وها هو القاسم بن محمد ابن أخ عائشة وربيبها يقول عن خالتها عائشة: «كنت إذا غدوت بدأت ببيت عائشة، أُسلِّم عليها، فغدوت يومًا فإذا هي قائمة تسبح (أي: تصلي) وتقرأ: ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ۝٢٧ ﴾ [الطور: ٢٧]، وتدعو وتبكي، وترددها. فقمت حتى مللت القيام، فذهبت إلى السوق لحاجتي ثم رجعت فإذا هي قائمة كما هي، تصلي وتبكي»[3].

ما أروع الموقف! وطول التدبر! تأملوا كيف يغوص الإنسان بمشاعره بعمق في آيات القرآن ومعانيه.

ويقول عَبْدُ اللهِ بْنَ أَبِي مُوسَى: «أَرْسَلَنِي مُدْرِكٌ -أَوْ ابْنُ مُدْرِكٍ- إِلَى

(١) رواه أحمد في مسنده (٤١/ ١٥٥، ح: ٢٤٦٠٩). وحسنه الحافظ في نتائج الأفكار (٣/ ١٥٥). وجود سنده الألباني في: أصل صفة صلاة النبي ﷺ (٢/ ٥٠٦).

(٢) ينظر: الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني (٤/ ٢٦٤).

(٣) صفة الصفوة (١/ ٣١٩).

عَائِشَةَ أَسْأَلُهَا عَنْ أَشْيَاءَ، قَالَ: فَأَتَيْتُهَا، فَإِذَا هِيَ تُصَلِّي الضُّحَى، فَقُلْتُ: أَقْعُدُ حَتَّى تَفْرُغَ، فَقَالُوا: هَيْهَاتَ..»[1]. أي: هيهات أن تنتهي من صلاتها بالسرعة التي تتصورها، بل سيطول انتظارك لها؛ لأنها ستطيل في صلاتها جدًّا.

يا الله! قراءة تدبر وتأمل وخشوع!

أذكر أني كنت أسأل البعض في سورة الفلق نرددها كثيرًا: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝ ﴾[الفلق: ١-٣] ما معنى (وقب)[2]؟ فكنت أعجب عندما يقف هؤلاء مندهشين من السؤال، مع أننا نردد هذه السورة كثيرًا؟!

(١) رواه أحمد (٤١/ ٤١٩، ح: ٢٤٩٤٥). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٤٤): «ورجاله رجال الصحيح». وصححه الأرنؤوط ومن معه في تحقيقهم للمسند.

(٢) على قول الجمهور أنه: الليل إذا أظلم، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ ﴾[الإسراء: ٧٨] وهذا قول الأكثرين، واختار الطبري العموم فقال في جامع البيان (٢٤/ ٧٤٩): «وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب، أن يقال: إن الله أمر نبيه ﷺ أن يستعيذ ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ ﴾[الفلق: ٣] وهو الذي يُظلم، يقال: قد غسق الليل يغسق غسوقًا: إذا أظلم ﴿ إِذَا وَقَبَ ۝ ﴾[الفلق: ٣] يعني: إذا دخل في ظلامه؛ والليل إذا دخل في ظلامه غاسق، والنجم إذا أفل غاسق، والقمر غاسق إذا وقب، ولم يخصص بعض ذلك بل عم الأمر بذلك، فكلٌّ غاسق، فإنه ﷺ كان يؤمر بالاستعاذة من شره إذا وقب. وكان يقول في معنى وقب: ذهب». وقال بعض المفسرين: أن الغاسق هو نوع من الثعابين شديد السمية كان يُهدد حياة العرب في الصحراء فإذا وقب بنابه بالجسد أهلكه، وأن القرآن ضرب به المثل بما يُهددهم من هوام ودواب الأرض خاصة في ظلام الليل. انظر: تفسير الكشاف للزمخشري (٤/ ٨٢١)، وقد ضعف الرازي هذا التأويل في تفسيره (٣٢ - ٣٧٤).

أما عائشة فتعيش مع القرآن بحق، كما يقول الشاعر:

إن كُنتَ تَزعُمُ حُبِّي
فَلِمَ جَفوتَ كِتابي
أما تأمَّلتَ ما فيـ
ـهِ مِنْ لَطيفِ عِتابي[1]

كما أن الدرس الآخر الذي لا ننساه، بل - والله - يهزنا من الأعماق، يوقظ فينا الحذر من «الأنا»، وغرور الذات، خاصة مع فتورنا، مع غفلتنا، مع تقصيرنا -والله المستعان- بالفرائض فضلًا عن النوافل، فعائشة يُبشِّرها الرسول ﷺ بأنها زوجته بالدنيا والآخرة، وهذه البشارة لم تزدها إلا شكرًا وعبادة وتقربًا وإقبالًا على الله تعالى، دون فتور، ودون أن تركن لتلك البشارة، بل ظلت فترات عمرها تنتقل في أجزاء يومها من عبادة إلى عبادة أخرى، حتى آخر لحظة من حياتها، فلما كانت على فراش الموت أخذ ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يُثني عليها بما هي أهلٌ له، وهي تستحق رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، يحدو بها إلى حسن الظن، ويبشرها؛ لأن الميت في حالة الاحتضار في أمس الحاجة إلى من يحسِّن ظنه بالله جلَّ وعلا، فكان يبشِّرها بفضائلها ومناقبها، ويبشِّرها بالاقتران بالحبيب ﷺ، فإذا بها -رضوان الله عليها- تُفاجئ من حولها فتقول: «وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ شَجَرَةً، وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي

(١) انظر: جامع العلوم والحكم (٢/ ٣٤٣)، اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى (ص: ١٣٠)، كلاهما لابن رجب.

كُنْتُ مَدَرَةً، وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ خَلَقَنِي شَيْئًا قَطُّ!»[1].

يا الله! ما أعظمك يا عائشـــة! إنه فن البناء الإيماني، والتربية للنفس وتزكيتهـــا، فالمؤمن بين الخوف والرجاء، تـــوازن عظيم إلى أن يلقى الله سبحانه وتعالى.

السؤال التطبيقي:

إذا كان هـــذا حال عائشـــة العابدة مع النوافل، فكيـــف إذًا حالها مع الفرائض التي هي آكد وأوجب، فكيف وصلت لهذا؟!

الإجابة:

أولًا: كان لعائشـــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا هدف واضح في عبادتها وهو: رضا الله أوَّلًا.

ثانيًا: اهتمامها الواضح ببناء شـــخصيتها الإيمانية، وحســـن علاقتها بربها، بل وشدة محبتها لله.

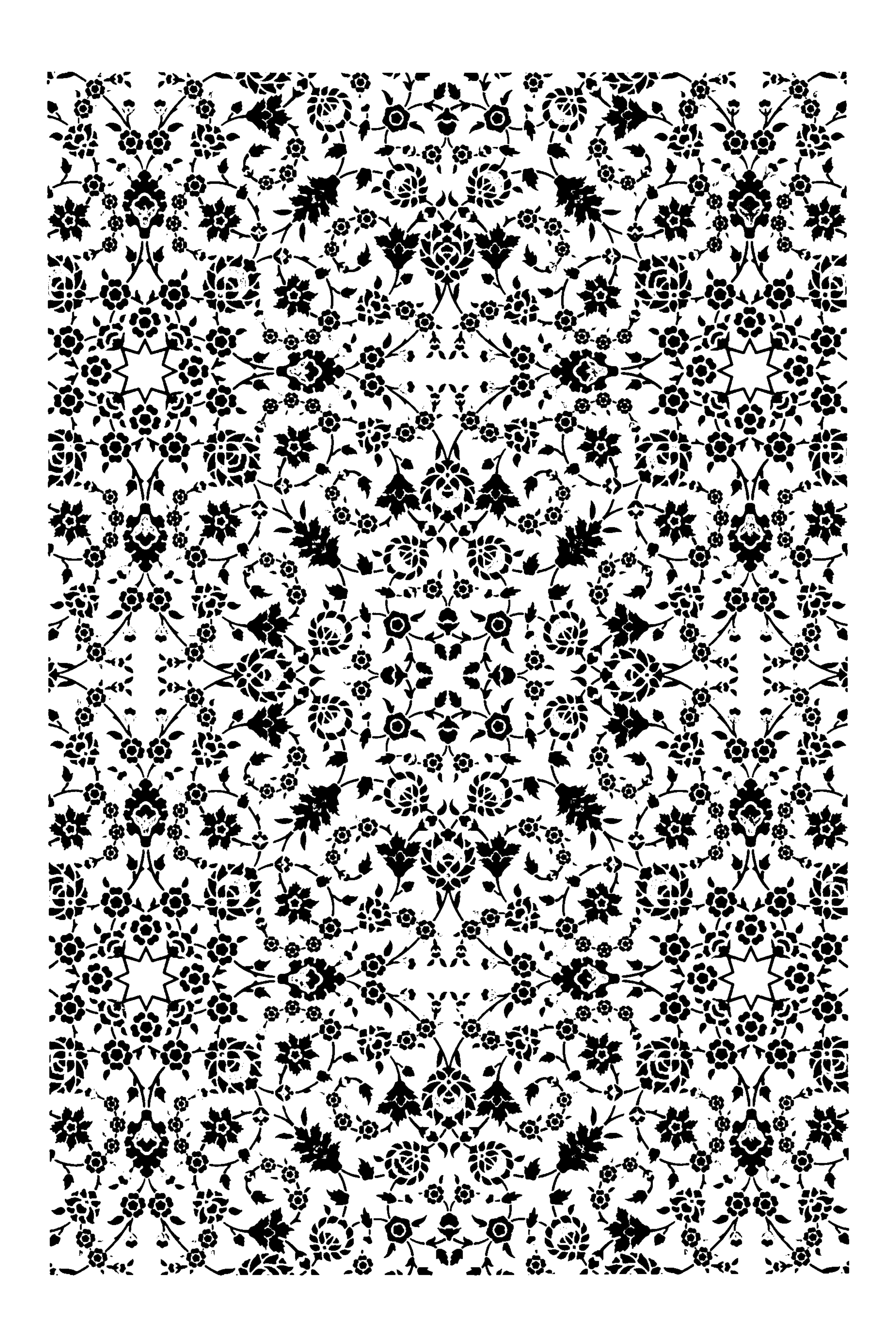
ثالثًا: مفهوم عائشـــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لشمولية العبادة لجميع مناحي الحياة، ولذا كانت تتنوع فيها، وتضرب بكل اتجاه بسهم.

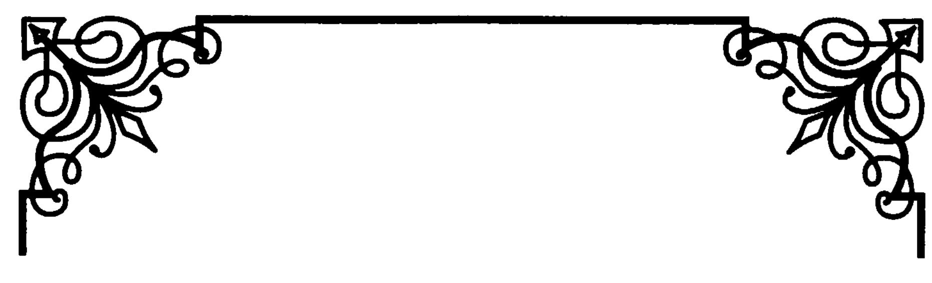
رابعًا: قربها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من النبي ﷺ، ومعرفتها القوية بســـيرته وسننه، وبإمـــكان كل أحـــد الآن التعرف عليها من خلال كتب الســـيرة والســـنن

(١) الطبقات الكبرى (٨/ ٥٩).

مما نقلته وروته عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا وغيرها في دقائق حياة النبي ﷺ.

خامسًا وأخيرًا: الهمة العالية، ومجاهدة النفس، والطموح، والرغبة الجادة بما عند الله من الجزاء والأجر العظيم.





[٢٢]
عائشة الكريمة والزاهدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

عائشـــة الكريمة، أم الأيتام، الســخيّة، خادمة الفقراء والمســاكين، عائشـــة الزاهدة تنسى نفســها أمام حاجة المحتاجين، حتى أصبحت رمزًا عجيبًا في البذل والعطاء، غايةً في العظمة، وســخاء النفس، وبدون مبالغة حين نتحدث عن مواقفها في البذل والكرم، وزهدها بما في يدها، تتلاشى عند ذلك الكلمات، وتَشرد المعاني خجلًا من أن تُدرك حقيقة سخاء نفس عائشة وبساطتها، ولماذا العجب فهي غرس ترعرع في حضن الحبيب ﷺ، أصل الكرم والزهد بالدنيا؛ ثم أليس أبوها أبا بكر الذي لم ولن يسبقه أحد في الجود والعطاء بعد رســول الله ﷺ، فقد جاد بماله كله في سبيل الله! فعرّفتها مدرسة النبي ﷺ حقيقة الجود والعطاء، والبذل والكرم والسخاء، فــكان من فضل هذه التربيــة المباركة العظيمة التي عاشــتها وعاينتها في حياتها مع النبي ﷺ أن قامت بهذا الواجــب الكبير طيلة عمرها وحياتها، فلا تكاد تُبقي لنفسها شــيئًا من المال حتى تُنفقه على الفقراء والمساكين، وبلغت بهذا أعلى درجات الجود والسخاء.

إذًا عائشـــة بذرة نشأت في حشاشـــة الكرم، والبذل والعطاء، وكتب

الســـير والتراجم تحفل بمواقف مشـــرقة عن كرم عائشـــة تُذهل كلَّ أحد، مواقف عجيبة، ومشاهد غريبة في الكرم، وسخاء النفس.

هذا موقف عجيب، عن أم ذرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -والتي كانت تخدم عائشة- فقالت: بعث ابن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى عائشة بمال في غرارتين[1] قالت: أُراه ثمانين -أو مائة- ألف، فدعت بطبق وهي يومئذ صائمة، فجلســـت تقسم بين الناس، فأمست وما عندها من ذلك درهم، فلما أمست قالت: «يا جارية هلمي فطري» فجاءتها بخبز وزيت، فقالت لها أم ذرة: أمَا اســـتطعت مما قسمت اليوم أن تشـــتري لنا لحمًا بدرهم نفطر عليه؟! قالت: «لا تُعنفيني، لو كنت ذكّرتيني لفعلت»[2].

وفي رواية عن عُرْوَة بـــن الزُّبَيْر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: إنَّ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعَثَ مَرَّةً إِلَى عَائِشَةَ بِمائَةِ أَلْفِ دِرْهَم، فَوَاللهِ مَا أَمْسَتْ حَتَّى فَرَّقَتْهَا وتصدَّقت بها، فَقَالَتْ لَهَا مَوْلاَتُهَا: لَوْ اشْتَرَيْتِ لَنَا مِنْهَا بِدِرْهَم لَحْمًا؟ فَقَالَتْ: أَلاَ قُلْتِ لِي؟!»[3].

يا اللـــه! «أَلَا قُلْتِ لِي؟!»، «لو كنتِ ذكّرتينـــي لفعلت»؟! أيعقل أن ينسى الإنسان نفسه؟! موقف يهز الوجدان؟! فهل يصل التجلي والإيمان

(١) مفردها: الغرارة وهي وعاء من الخيش ونحوه يوضع فيه القمح ونحوه. انظر: معجم ديوان الأدب (٣/ ٩٦)، المعجم الوسيط (٢/ ٦٤٨).

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ٤٧).

(٣) رواه الحاكم في المستدرك (ح: ٦٧٤٥).

بالإنسان حتى أنه ينسى نفسه أمام السخاء والكرم؟!

يجود بالنفس إن ضنَّ البخيل بها
الجــود بالنفس أغلــى غاية الجود[1]

وعَنْ عُرْوَةَ -أيضًا- قال: «إن عَائِشَــةَ تَصَدَّقَتْ بِسَــبْعِينَ أَلْفًا، وَإِنَّهَا لَتَرْقَعُ جَانِبَ دِرْعِهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وأرضاها»[2]. يا الله! أيعقل أن اهتمام عائشة بالمحتاج والمسكين يفوق اهتمامها بنفسها ودرعها!

بل لقد بلغ حب الإنفاق والكرم والجود لدى عائشــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إلى الحد الذي باعت معه عقاراتها من أجل النفقة على الفقراء، ولهذه العبارة قصــة حملت في طياتها ملامح تلك النفــس الكريمة، كريمة في الإنفاق، وكريمة في العفو، فبعد أن باعت عائشــة عقارها من أجل إنفاق ثمنه على الفقراء والمحتاجين، غضب ابن أختها عبد الله بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إشــفاقًا عليها، إذ يرى شــظف العيش الذي تحيا فيه خالته، وَهَالَه ألا تدّخر شــيئًا لنفسها، فقال: «وَاللَّهِ لَتَنْتَهِيَنَّ عَائِشَــةُ أَوْ لَأَحْجُرَنَّ عَلَيْهَا! فَقَالَتْ: أَهُوَ قَالَ هَذَا؟! قَالُــوا: نَعَمْ. قَالَتْ: هُوَ لِلَّــهِ عَلَيَّ نَذْرٌ، أَنْ لاَ أُكَلِّمَ ابْــنَ الزُّبَيْرِ أَبَدًا. فَاسْتَشْفَعَ ابْنُ الزُّبَيْرِ إِلَيْهَا، حِينَ طَالَتِ الهِجْرَةُ. فَقَالَتْ: لاَ وَاللَّهِ لاَ أُشَفِّعُ فِيهِ أَبَدًا، وَلاَ أَتَحَنَّثُ إِلَى نَذْرِي. فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ، كَلَّمَ المِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الأَسْوَدِ بْنِ عَبْدِ يَغُوثَ، وَهُمَا مِنْ بَنِي زُهْرَةَ، وَقَالَ

(١) البيت لمسلم بن الوليد الأنصاري الملقب بصريع الغواني. انظر: ديوانه (ص:٢١).
(٢) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٨/ ٥٣)، وهناد في الزهد (ح: ٦١٧)

لَهُمَا: أَنْشُــدُكُمَا بِاللَّهِ لَمَّا أَدْخَلْتُمَانِي عَلَى عَائِشَةَ، فَإِنَّهَا لاَ يَحِلُّ لَهَا أَنْ تَنْذِرَ قَطِيعَتِي. فَأَقْبَلَ بِهِ المِسْوَرُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ مُشْتَمِلَيْنِ بِأَرْدِيَتِهِمَا، حَتَّى اسْتَأْذَنَا عَلَى عَائِشَةَ، فَقَالاَ: السَّلاَمُ عَلَيْكِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ أَنَدْخُلُ؟ قَالَتْ عَائِشَةُ: ادْخُلُوا، قَالُــوا: كُلُّنَا؟ قَالَتْ: نَعَم، ادْخُلُوا كُلُّكُــمْ، وَلاَ تَعْلَمُ أَنَّ مَعَهُمَا ابْنَ الزُّبَيْرِ، فَلَمَّا دَخَلُوا دَخَلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ الحِجَابَ، فَاعْتَنَقَ عَائِشَةَ وَطَفِقَ يُنَاشِدُهَا وَيَبْكِي، وَطَفِقَ المِسْــوَرُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ يُنَاشِدَانِهَا إِلَّا مَا كَلَّمَتْهُ، وَقَبِلَتْ مِنْهُ، وَيَقُــولاَنِ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَمَّــا قَدْ عَلِمْتِ مِنَ الهِجْــرَةِ، فَإِنَّهُ: «**لاَ يَحِلُّ لِمُسْــلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ**». فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَى عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مِنَ التَّذْكِرَةِ وَالتَّحْرِيجِ، طَفِقَتْ تُذَكِّرُهُمَا نَذْرَهَا وَتَبْكِي وَتَقُولُ: إِنِّي نَذَرْتُ، وَالنَّذْرُ شَــدِيدٌ، فَلَمْ يَــزَالاَ بِهَا حَتَّى كَلَّمَتْ ابْنَ الزُّبَيْــرِ، وَأَعْتَقَتْ فِي نَذْرِهَا ذَلِكَ أَرْبَعِينَ رَقَبَــةً، وَكَانَتْ تَذْكُرُ نَذْرَهَا بَعْدَ ذَلِكَ، فَتَبْكِي حَتَّى تَبُلَّ دُمُوعُهَا خِمَارَهَا»[1].

لا أدري هل أعلِّق على هذا السخاء والكرم والجود، أم أتحدَّث عن شــدة المحافظة على النَّذْر، أم أشير إلى الاســتجابة الفورية عندما ذُكِّرت بقول النبي ﷺ في النهي عن الهجران فوق ثلاث؟ أم أتطرق لكرم نفســها وتجاوزها وعفوها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ؟!

لله درُّكِ يا أماه! فقد أعجزتْ شمائُلك قدرتي على البيان، فما مفردات اللغة لتسعفني في وصف نفسك الكريمة الزاهدة!

(١) رواه البخاري في الأدب، باب الهجرة (ح: ٦٠٧٣).

أماه عذرًا إذا ما الشعر قام
على سوق الكساد ينادي من يواسيني
مالي أراه إذا ما جئت أكتبه
ناح القصيدُ ونَوْحُ الشعر يشجيني
حاولت أكتب بيتًا في محبتكم
يا قمة الطهر يا من حبكم ديني
فأطرقَ الشعرُ نحوي رأسَه خَجَلًا
وأسبلَ الدمع من عينيه في حينِ
وقال: عذرًا فإنّي مسني خَورٌ
شحَّ القصيدُ وقام البيتُ يرثيني

عائشة كغيرها من النساء في الدنيا، إلا أنها كانت لتعقُّلها، وحُسن تدبيرها، وسعيها لتحقيق مقاصد الشريعة، كأنها رسمت خطة للإنفاق تضمن تحقيق أهدافها، خاصة وهي ترى شدة الحال والحاجة بالناس، حتى عبد الله بن الزبير وهو يستنكر شدة إنفاق عائشة وبذلها لأموالها يُخبرنا أن لها منهجًا مدروسًا في الكرم والإنفاق، فها هو يَقُوْلُ: «مَا رَأَيْتُ امْرَأَةً قَطُّ أَجْوَدَ مِنْ عَائِشَةَ وَأَسْمَاءَ؛ وَجُوْدُهُمَا مُخْتَلِفٌ: أَمَّا عَائِشَةُ، فَكَانَتْ تَجْمَعُ الشَّيْءَ إِلَى الشَّيْءِ، حَتَّى إِذَا اجْتَمَعَ عِنْدَهَا وَضَعَتْهُ مَوَاضِعَهَ، وَأَمَّا أَسْمَاءُ، فَكَانَتْ لاَ تَدَّخِرُ شَيْئًا لِغَدٍ»[1].

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (ح: ٢٨٠).

ومن يتتبع ســيرة عائشــة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا في الكرم والسخاء، والإنفاق في ســبيل الله ليحار عقله من قــوة الإيمان بالله، واليقيــن الذي جعلها ربما اقترضت رغبــة في الإنفاق، «قِيلَ لَهَــا: مَا لَكِ وَلِلدَّيْنِ؟ قَالَتْ: سَــمِعْتُ رَسُــولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «مَــا مِنْ عَبْدٍ كَانَتْ لَهُ نِيَّةٌ فِــي أَدَاءِ دَيْنِهِ، إِلَّا كَانَ لَهُ مِنَ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- عَوْنٌ، فَأَنَا أَلْتَمِسُ ذَلِكَ الْعَوْنَ»[1].

إنه ســخاء نفس عائشة المبني على العلم، ومعرفة أقدار الناس، فقد كانت تُعين أصحاب الحاجات علــى قدر مراتبهم، وحاجاتهم، فصاحب الحاجة اليسيرة تعطيه شــيئًا يســيرًا، أما صاحب الحاجة الكبيرة، فتعطيه -أيضًا- على حســب حاجته، وكانت تعتني بأعزاء ذلوا، وأغنياء افتقروا؛ من باب: «ارحموا عزيزَ قومٍ ذلَّ، وغني قومٍ افتقر»[2]، فكانت فعلًا إذا افتقر هؤلاء حرصت أن تبذل ما تستطيع لهم.

فربيعة الأســلمي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لما احتاج إلى شــيء من المال، وأرسله النبي ﷺ إلى عائشــة، فأعطته كل ما عندها في البيت حتى لم يَبق لها شيء

(١) رواه أحمد في المســند (ح: ٢٤٧٢٣)، و(ح:٢٥٠٣٧)، والحاكم في المســتدرك (ح:٢٢٠٢)، وقال: هذا حديث صحيح ولم يخرجاه، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (١٨٠١).

(٢) مــن قول فضيل بن عياض رحمــه الله، ولا يصح رفعه. انظــر: الموضوعات لابن الجــوزي (١/ ٢٣٧)، وتخريج أحاديث إحياء علــوم الدين للعراقي (٥/ ٢١٠٠)، والمقاصــد الحســنة (ص: ١٠٢)، والأســرار المرفوعة في الأخبــار الموضوعة (ص:٤٦٣).

تأكله![1].

وسخاؤها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ليس مع الفقراء والمحتاجين فقط، فالكرم ليس بالمال فقط، بل بسخاء النفس، فنجد أنها أذنت لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يُدفن مع صاحبيه في حجرتها، فآثرته على نفسها تقديرًا لمقام عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وتنزيلًا له المنزلة المناسبة، مع أنها كانت قد تركت هذا المكان لنفسها، كانت تتمنى أن تُدفن بجوار زوجها ووالدها، إلا أنها آثرت عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، تقديرًا له ولمقامه، فأيّ سخاء هذا يا ترى؟!

لقد كانت صفة السخاء والكرم خُلُقًا أصيلًا في عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، والذي لا يُمكن أن يتغير حتى أيام الشدة والعوز والحاجة وقلة ذات اليد، لأن يقينها في الله - عز وجل - أقوى وأوثق من يقينها بما في يدها، كما جاء عَنْها: «أَنَّ مِسْكِينًا سَأَلَهَا وَهِيَ صَائِمَةٌ وَلَيْسَ فِي بَيْتِهَا إِلَّا رَغِيفٌ، فَقَالَتْ لِمَوْلَاةٍ لَهَا: أَعْطِيهِ إِيَّاهُ، فَقَالَتْ: لَيْسَ لَكِ مَا تُفْطِرِينَ عَلَيْهِ يا أم المؤمنين؟! فَقَالَتْ: أَعْطِيهِ إِيَّاهُ، قَالَتْ: فَلَمَّا أَمْسَيْنَا أَهْدَى لَنَا أَهْلُ بَيْتٍ أَوْ إِنْسَانٌ مَا كَانَ

(١) رواه الطيالسي في مسنده (٢/ ٤٩٢، ح: ١٢٦٩)، وأحمد (٢٧/ ١١١، ح:١٦٥٧٧)، والطبراني في الكبير (٥/ ٥٨، ح: ٤٥٧٧)، والحاكم (٢/ ١٨٨ - ١٨٩، ح: ٢٧١٨) وقال: «حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه»، وتعقبه الذهبي بقوله: «لم يحتج مسلم بمبارك». وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٢٥٧) وقال: «وفيه مبارك بن فضالة، وحديثه حسن، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح». وأورده الألباني في الصحيحة (٧/ ٤٠٨) وقال: «وإسناده حسن، والمبارك بن فضالة صدوق مدلس، ولكنه قد صرح بالتحديث في كل الطرق عنه، فأمنّا تدليسه».

يُهْدِي لَنَا شَاةً وَكَفَنَهَا، فَدَعَتْنِي عَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَتْ: كُلِي مِنْ هَذَا، هَذَا خَيْرٌ مِنْ قُرْصِكِ» أي: من رغيفك(١).

ما أروعك يا عائشة! كرم فوق الوصف، ثقة ويقين بوعد رب العالمين حتى وصل بها الأمر أن لا تحقر من المعروف شيئًا؛ فقد أخبرتنا مرة فقالت: «جَاءَتْنِي امْرَأَةٌ وَمَعَهَا ابْنَتَانِ لَهَا تَسْأَلُنِي، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي شَيْئًا غَيْرَ تَمْرَةٍ وَاحِدَةٍ فَأَعْطَيْتُهَا إِيَّاهَا فَأَخَذَتْهَا فَشَقَّتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا، وَلَمْ تَأْكُلْ مِنْهَا شَيْئًا، ثُمَّ قَامَتْ فَخَرَجَتْ وَابْنَتَيْهَا، فَدَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ فَحَدَّثْتُهُ حَدِيثَهَا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنِ ابْتُلِيَ مِنَ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ»(٢).

اعتادت على الجود والبذل، ولم تحتقر أن تتصدق بتمرة لا تملك سواها، لعلمها أن صدقتها من أجل الله، وأن الله يسمع ويرى، ويضاعف أضعافًا كثيرة، عملًا بقوله ﷺ: «اتقوا النار ولو بشق تمرة»(٣).

فهي الكريمة بنت الكريم في السراء والضراء، لا يخفى عليها وهي العالمة الفقيهة أنه ليس من شرط الكرم أن تُقدم الأموال، أو أن تُقدم

---

(١) رواه مالك في الموطأ (ح: ٥) بلاغًا.

(٢) رواه البخاري في الزكاة، باب اتقوا النار ولو بشق تمرة والقليل من الصدقة (ح:١٤١٨)، ومسلم في البر والصلة والآداب، باب فضل الإحسان إلى البنات (ح:٢٦٢٩).

(٣) رواه البخاري في الزكاة، باب اتقوا النار ولو بشق تمرة والقليل من الصدقة (ح:١٤١٧)، ومسلم في الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار (ح: ١٠١٦).

القناطير المقنطرة، بل الجود من الموجود، كما يقال، فإذا لم تجد عائشة إلا تمرة فلتكن، وإذا لم تجد عائشة إلا عنبة فلتكن، لأن الله يقول: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾ [الحج: ٣٧]، فمرة استطعمها مسكين وبين يديها عنب، فقالت لإنسان: خذ هذه العنبة فأعطه إياها، فجعل ينظر إليها ويعجب، فقالت: أتعجب؟! كم ترى في هذه الحبة من مثاقيل الذر؟ وكأنه تُذكره بقول الله تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ ﴾ [سورة الزلزلة: ٧].

المهم بل الأهم: لا للبخل، لا لشح النفس، بل العطاء ولو بشربة ماء، ولو بتمرة، أو بحبة عنب، ولو بكلمة طيبة، ولو بابتسامة مشرقة، فالأثر الإيجابي على قلبك ونفسك أكبر وأعظم؛ وهذا ما توصل إليه علماء النفس؛ بأن من أراد السعادة فعليه أن يبذل، وأن يعطي، فتبذل من طعامك، أو دراهمك، أو من أخلاقك، وربما شفاك الله -عز وجل- بها من مرض ونحوه؛ كما قال ﷺ: «داووا مرضاكم بالصدقة»[1].

ومن أبرز صور الكرم والسخاء التي تجلت في حياة عائشة: كثرة العتق، فقد أعتقت في كفارة نذرها أربعين رقبة[2]، وبلغ عدد المعتقين

(١) رواه أبو الشيخ في الثواب من حديث أبي أمامة كما في السراج المنير في ترتيب أحاديث صحيح الجامع الصغير (٢/ ١٠٢٧)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (ح: ٣٣٥٨).

(٢) رواه البخاري في الأدب، باب الهجرة (ح: ٦٠٧٣).

على يدها سبعًا وستين رقبة[1]، وقد أرشدها النبي ﷺ لمبدأ العتق، فكانت عندهـــا جارية من قبيلة تميم فقـــال لها النبي ﷺ: «**أعتقيهـــا فإنها من ولد إسماعيل**»[2].

السؤال التطبيقي:

كيف وصلت عائشـــة رضي الله عنها إلـــى هذه الدرجـــة العالية من البذل والسخاء، وكيف نقتدي بها في هذا الخلق العظيم؟

الإجابة:

أولًا: الكرم كان أصلًا في طبع عائشة رضي الله عنها، متجذرًا في سجيتها وخُلقها، فعوِّد نفســـك على السخاء، وجاهدها، ولا تستسلم لشح نفسك، وبخلها.

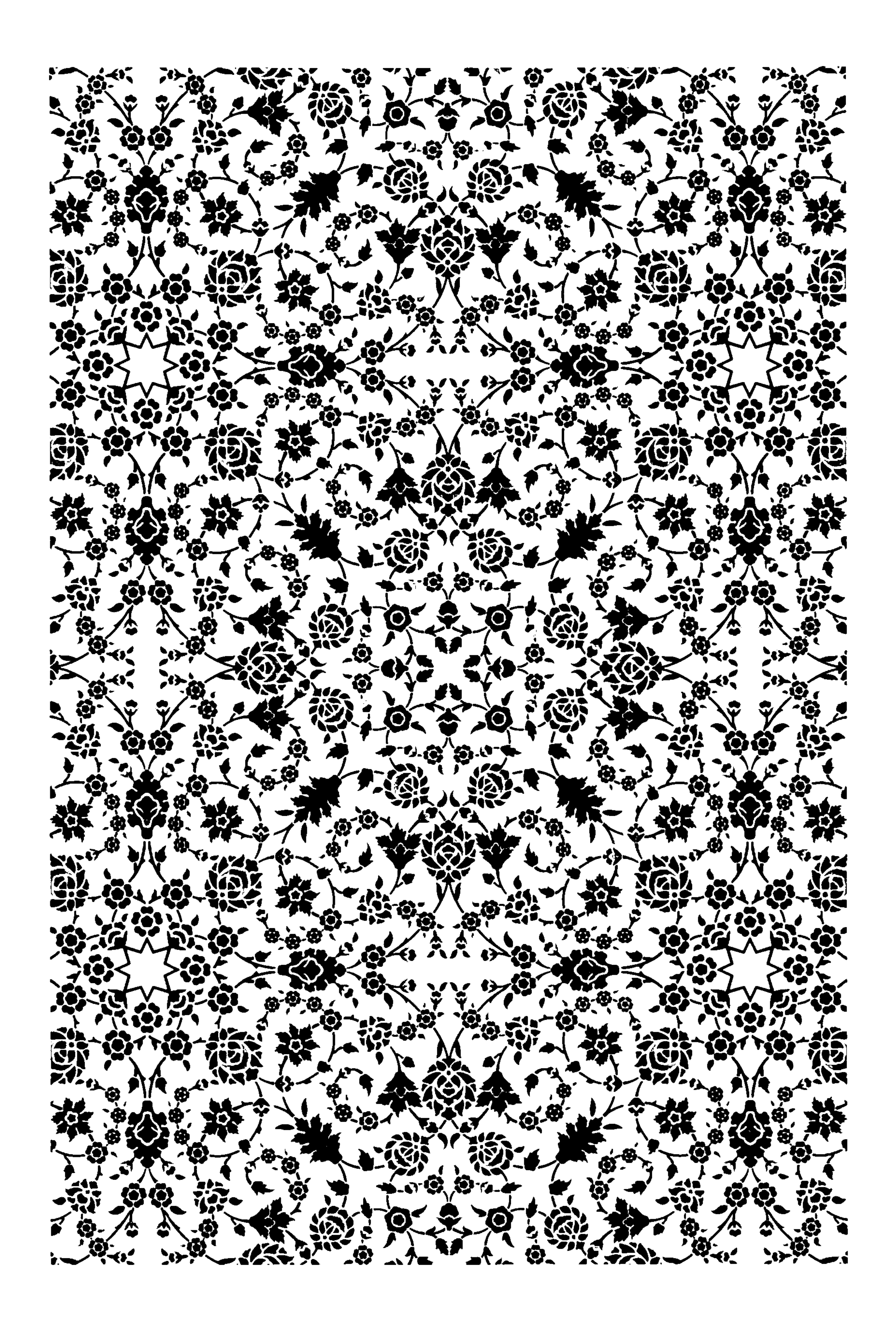
ثانيًا: كان يقين عائشـــة رضي الله عنها فيما عند الله أقوى وأوثق من يقينها بما في يدها، فلم تعد ترى الدنيا إلا أنها مزرعة للآخرة، فثق بأن ما عند الله خير وأبقى.

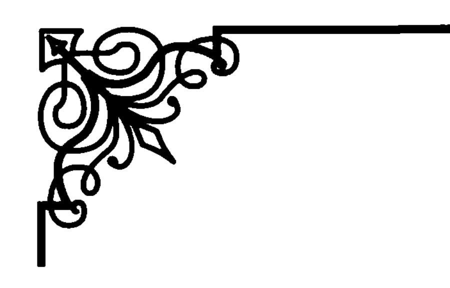
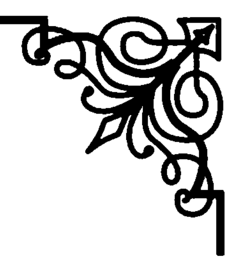
(١) ينظر: سبل السلام، للصنعاني (٤/ ١٣٩). ومنهم: بريرة، وسائبة، ومرجانة، وليلى، وذكوان، وأبو يونس رضي الله عنهم أجمعين. انظر: عائشـــة أم المؤمنين، إعداد مجموعة من العلماء (ص: ٥٢- ٥٥).

(٢) رواه البخـــاري في العتق، باب من ملك من العرب رقيقًا، فوهب وباع وجامع وفدى وســـبى الذرية (ح: ٢٥٤٣)، ومســـلم في فضائل الصحابة، بـــاب من فضائل غفار وأسلم (ح: ٢٥٢٥).

ثالثًا: حب عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لإنسان، والرحمة به، خاصة صاحب الحاجة، وحبها للمساكين وخدمتهم، ومسح دمعتهم، وأن هذا من أعظم معاني الإسلام وشعائره.

رابعًا: عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لا تُعقد الأمور، وتبحث وتنظر للبعيد فَتمل وتُسوف، بل ابدأ بمن حولك من أهل وأقارب وخدم «فالأقربون أولى بالمعروف».



[٢٣]

عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا والإنصاف

الإنصاف صفة إيمانية عظيمة، وهي من أعظم وأهمِّ صفات البناء لتميّز الشخصية، بل لا أبالغ إذا قلت: دواء الاختلاف في الإنصاف، نعم لننصف الجميع، وستصلح أوجاع أمتنا وواقعنا المتناحر، فالعدل والإنصاف قامت عليهما السموات والأرض.

أما عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فأعجوبة زمانها في إنصافها، لم تغب شمسه عنها في رحلتها مع الحياة؟ تربت عمليًّا على العدل والإنصاف، وصارت نموذجًا يُحتذى به فيهما، فقد أعطت عائشة الأنموذج الأمثل للجميع، وخاصة المرأة المسلمة العاقلة التي لا تأخذها سَورة الغضب عن إنصاف من تضررت منهم.

وتنوعت مناحي الإنصاف عند عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فمع ضرائرها في بيت النبوة تارة، ومع من قتل أخاها محمدًا تارة، ومع من كانت بينها وبينه معاملات أو منافسات تارات أخرى، ولن نتحدث بطبيعة الحال عن خديجة وإنصاف عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لها، لأنها لم ترها، ولم تتعامل معها

مباشرة، مع أنها كانت تغار منها لكثرة ذكر النبي ﷺ لها، ومدحه إياها؛ ومع هذا نجد أن عائشـــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا روت كثيرًا من فضائلها ومآثرها، إلى درجة لا تظن وأنت تســمعها أنها تتحدَّث عن ضرَّتها، لكـــن الرائع هو إنصاف عائشـــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لمن تعاملت وعاشت معهن من زوجات النبي ﷺ، فعلى الرغم مما كان يحدث بينهن وبين عائشـــة كغيرهن من الضرائر، إلا أنها لم تكن تذكر واحدة إلا بكل خير فضلًا عن ذكرهن بالثناء الجميل، يتضح هذا في مواقف كثيرة، ومنها على سبيل المثال:

تحكي عائشـــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن أم المؤمنين زينب بنت جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنهـــا هي من كانت من زوجات النبي ﷺ تُنافســـها على رســـول الله ﷺ، ورغم هذه المنافســـة بينهما إلا أنها لما استشـــهد بها النبي ﷺ يسألها عن عائشة في حادثة الإفك لم تقل زينب في عائشة إلا خيرًا، وهذا مما حفظته عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لها فقالت: «**عَصَمَهَا اللَّهُ بِالوَرَعِ**»[1].

وتقول عائشـــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في بيان مكانة زينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : «وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَـــامِينِي مِنْهُنَّ فِي الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ» ولم يمنعها ذلك من أن تُنصفها في بيان مناقبها وشـــمائلها، فتتابع قولها: «وَلَمْ أَرَ امْرَأَةً قَطُّ خَيْرًا فِي الدِّينِ مِنْ زَيْنَبَ. وَأَتْقَى لِلَّـــهِ، وَأَصْدَقَ حَدِيثًا، وَأَوْصَلَ لِلرَّحِمِ، وَأَعْظَمَ صَدَقَةً، وَأَشَدَّ ابْتِذَالًا لِنَفْسِهَا فِي الْعَمَلِ الَّذِي تَصَدَّقُ بِهِ، وَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللهِ

(١) رواه البخاري في المغازي، باب حديث الإفك (ح:٤١٤١)، ومسلم في التوبة، باب في حديث الافك وقبول الله توبة القاذف (ح: ٢٧٧٠).

تَعَالَــى»[1]، فلم يمنعها زواج زينب من حبيبها رســول الله ﷺ أن تذكرها بما عُلِــمَ من فضائلها ومناقبها، وذلك إن دلَّ فإنما يدل على الصفاء القلبي الذي حازته لأمهات المؤمنين رضوان الله عليهن.

وتقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أيضًــا: «كَانَتْ زَيْنَــبُ امْرَأَةً صَنَّاعَةَ الْيَــدِ، فَكَانَتْ تَدْبُغُ وَتَخْرُزُ وَتَصَدَّقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»[2]، مما جعلها أول زوجات النبــي ﷺ لحاقًا به، فالنبــي ﷺ قال: «**أولكن لحالقًا بــي أطولكن يدًا**»[3] فجعل نســاء النبي ﷺ يضعن أيديهن بجوار بعض ليرين كل واحدة منهن أيهن أطول يدًا، زينب هي التي كانت من بين أزواج النبي ﷺ أطولهن يدًا، يعني: بالصدقة والإنفاق، فكانــت تعمل بيدها، هكذا وبكل إنصاف تُخبر عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن زينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وتقــول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن جويرية بنت الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «ما رَأَينَا امْرَأَةً كَانَــتْ أَعْظَمَ بَرَكَةً عَلَى قَوْمِهَا مِنْهَا، أُعْتِقَ فِي سَــبَبِهَا مِائَةُ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ»[4].

---

(١) رواه مسلم في فضائل الصحابة، باب في فضل عائشة (ح:٢٤٤٢).

(٢) رواه الحاكم في المســتدرك (ح: ٦٧٧٦)، وقال: هذا حديث صحيح على شــرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٣) رواه البخاري في الزكاة، باب فضل صدقة الشحيح الصحيح (ح: ١٤٢٠)، ومسلم في فضائل الصحابة، باب من فضائل زينب أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ح: ٢٤٥٢).

(٤) رواه أبــو داود في العتق، بــاب في بيع المكاتب إذا فســخت الكتابة (ح: ٣٩٣١)، وحسنه الألباني.

وتقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن ميمونة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَمَـا أَنَّهَا كَانَتْ مِنْ أَتْقَانَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَوْصَلَنَا لِلرَّحِمِ»[1].

وبالعمـوم فقد كان للإنصاف الذي تمتعت به عائشـة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أثره المحسوس فيما كان بينها وبين أمهات المؤمنين من توقير وتقدير وإجلال واحترام، فلم تذكرهن ولم يذكرنها إلا بالخير والثناء والجميل.

وكان إنصاف عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فاطمة بنت رسول الله ﷺ قمة في التألّق والمحبة، رغم أن عائشـة زوجة أب، وفاطمة ابنة زوج! فمرةً نساء النبي ﷺ استعنّ بفاطمة ضد عائشـة، لتشـفع لهن عند أبيها، فقالت فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لأبيها: «إن زوجاتـك يطلبن إنصافهن من ابنة أبي قحافـة»[2]، رغم هذا لم تغضب عائشة من فاطمة، بل كانت تقول في شأنها: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَصْدَقَ لَهْجَةً مِنْهَا إِلَّا أَنْ يَكُونَ الَّذِي وَلَدَهَا»[3] تعني: رسـول الله ﷺ، فلا الصديق، ولا عمـر، ولا أمها أم رُومان، ولا أخوها عبد الرحمن بن أبي بكر، بل فاطمة بنت محمد ﷺ هي أصدق الناس عند عائشة بعد رسول الله ﷺ.

(١) رواه الحاكم في المسـتدرك (ح: ٦٧٩٩)، وقال: هذا حديث صحيح على شـرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) رواه البخـاري في الهبة وفضلهـا والتحريض عليها، باب من أهـدى إلى صاحبه وتحرى بعض نسائه دون بعض (٢٥٨١)، ومسـلم في فضائل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، باب فضل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ح: ٢٤٤٢).

(٣) رواه الحاكم في المسـتدرك (ح: ٤٧٥٦)، وقال: هذا حديث صحيح على شـرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

قــد يقول البعض هذا خُلقها وإنصافها مــع أهل بيت النبي ﷺ وهم أهلها وأســرتها. فأقول: بل ومــع غيرهم، فالإنصاف خلــق رفيع ملازم لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

فعن عبد الرحمن بن شماســة قال: دخلت على عائشــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فقالت: من أنت؟! قلــت: من أهل مصر. فقالت: كيف وجدتم ابن خَديج فــي غزاتكم هذه؟! قال: قلت: خير أمير، ما يقف لرجل من فرس ولا بعير إلا أبدل مكانه بعيــرًا، ولا غلام إلا أبدل مكانه غلامًا. قالت عائشــة: إنه لا يمنعني قتله أخي أن أُحدثكم ما سمعت من رسول الله ﷺ، إني سمعته يقول: «**اللهم مَنْ ولي من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم فارفق به، ومن شق عليهم فاشقق عليه**»[1].

سبحان الله!! رغم أنه قتل أخاها محمد بن أبي بكر، ولم يمنعها هذا من العدل والإنصاف معه، والبعض منا ربما بسبب أخطاء يسيرة، أو كلمة، أو تغريدة أخطأ فيها فلان أو علان يشط في القول عليه، أو يظلم في الحكم على الآخرين.

ومما يدل أيضًا على إنصاف عائشــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا دخــل عليها الخليفة معاوية بن أبي ســفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو الذي قتل جنــده محمدًا أخاها فلما قعــد قالت له: يا معاوية، أأمنت أن أُخبأ لك من يقتلك بأخي مُحَمَّد؟ فقال

(١) رواه مســلم في الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبــة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم (ح: ١٨٢٨).

معاوية: بيت الأمان دخلت. قالت: يا معاوية، أما خشيت الله في قتل حُجر وأصحابه؟! قَالَ: إنما قتلهم من شهد عليهم[1].

ورغم أن قتل محمد بن أبي بكر قد أحدث في نفس عائشة جرحًا غائرًا إلا أنها لم تسع ولم تؤلب على من قتله، أو تسبب في قتله، فأي خلق عظيم هذا؟!

بل تأمل في إنصاف عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لحسان بن ثابت ودفاعها عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع أنه وقع وتكلم فيها، وكان قد قال ما قال ضمن من تناول عائشة بمقولة السوء في حادثة الإفك، وذلك في الخبر المروي عن مُحَمَّد بن السَّائِبِ بن بَرَكَةَ، عَنْ أُمِّهِ أَنَّهَا طَافَتْ مَعَ عَائِشَةَ ثَلَاثَةَ أَسْبُعٍ، كُلَّمَا طَافَتْ سَبْعًا تَعَوَّذَتْ بَيْنَ الْبَابِ وَالْحِجْرِ، حَتَّى أَكْمَلَتْ لِكُلِّ سَبْعٍ رَكْعَتَيْنِ، كان مَعَهَا نِسْوَةٌ، فَذَكَرْنَ حَسَّانَ بْنَ ثَابِتٍ؛ فَوَقَعْنَ فِيهِ، وَسَبَبْنَهُ، قَالَتْ عائشة: لَا تَسُبُّوهُ، قَدْ أَصَابَهُ مَا قَالَ اللَّهُ: ﴿لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١١﴾ [النور: ١١] وَقَدْ عَمِيَ. وَاللَّهِ إِنِّي أَرْجُو أَنْ يُدْخِلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِكَلِمَاتٍ قَالَهُنَّ لِمُحَمَّدٍ ﷺ حِينَ يَقُولُ لِأَبِي سُفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ:

هَجَوْتَ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ
وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ
فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي
لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٢٧٩).

أَتَـهْـجُـوهُ وَلَـسْـتَ لَـهُ بِـكُـفْءٍ؟
فَـشَـرُّكُـمَـا لِـخَـيْـرِكُـمَـا الْـفِـدَاءُ[1]

فعائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا تذب وتدفع عن عرض حسان رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ رغم تعرضه لها، ثم هي تُنصفه بذكر شيء من محاسنه، ولا تنسى له فضله، بل وتدعو الله له بالجنة!

وذكر ابن عبد البر «أن حسان بْن ثابت استأذن على عائشة بعد ما كُفَّ بصره، فأذنت له، فدخل عليها فأكرمته، فلما خرج من عندها قيل لَهَا: أهذا من القوم؟ قالت: أليس يقول:

فإن أبي ووالده وعرضي
لعرض مُحَمَّد منكم وقاء

هَذَا البيت يغفر له كل ذنب»[2].

فما أروعك يا عائشة! وما أعظم إنصافك! ليست مرة، بل مرات ومرات، فها هي رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا في حادث الإفك، تقول: «أَقْبَلْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ

(١) رواه أبو يعلى (ح: ٤٦٤٠). وقال محقق مسند أبي يعلى (حسين سليم أسد): رجاله ثقات.
وينظر قصيدة حسان في الذب عنه ﷺ: في صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب فضائل حسان بن ثابت رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ (ح: ٢٤٩٠). وديوان حسان بن ثابت (ص: ٢٠)
(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٨٨٥).

بِنْتُ أَبِي رُهْمٍ نَمْشِــي، فَعَثَرَتْ فِي مِرْطِهَا، فَقَالَتْ: تَعِسَ مِسْــطَحٌ. (تقول عائشة) فَقُلْتُ لَهَا: بِئْسَ مَا قُلْتِ، أَتَسُبِّينَ رَجُلًا شَهِدَ بَدْرًا؟!»[(١)].

رغــم أن التــي تدعو على مســطح هــي أمــه، ومع هــذا لا تُقرها عائشــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فالمنكر منكر ولو صدر من أمٍّ على ابنها، ويجب إنكاره بغــض النظر عن قائله، وقد كان مســطح ممن زلّ، ووقــع مع من وقع في عرض عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

ومــن إنصــاف عائشــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إقرارهــا بجميل علي بــن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وبفضائله، وســابقته، وحســن ملازمتــه للنبي ﷺ، رغم الخلاف المعروف عــادة بين المرأة وأحمائها، ففي صحيح مســلم عَنْ شُرَيْحِ بْنِ هَانِئٍ، قَالَ: أَتَيْتُ عَائِشَةَ أَسْأَلُهَا عَنِ الْمَسْحِ عَلَى الْخُفَّيْنِ، فَقَالَتْ: عَلَيْكَ بِابْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَسَــلْهُ فَإِنَّهُ كَانَ يُسَــافِرُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَسَأَلْنَاهُ فَقَالَ: «جَعَلَ رَسُــولُ اللهِ ﷺ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَلَيَالِيَهُنَّ لِلْمُسَــافِرِ، وَيَوْمًا وَلَيْلَةً لِلْمُقِيمِ»[(٢)].

وفــي يوم رحيلها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من موقعــة الجمل حضر عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحضر الناس، فقالت عائشة: «يا بني لا يعتب بعضنا على بعض، إنه والله ما كان بيني وبين علي في القِدم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها، وإنه على

(١) رواه البخاري في الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضًا (ح:٢٦٦١)، ومسلم في التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف (ح: ٢٧٧٠).

(٢) رواه مسلم في الطهارة، باب التوقيت في المسح على الخفين (ح: ٢٧٦).

معتبتي لمن الأخيار»[1]. وكان رد علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «صَدقتْ واللهِ، ما كان بيني وبينها إلا ذاك، وإنها لزوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة»[2].

ولما حاول بعض الناس أن يستأثر بمكرمة قتل الخوارج؛ لأن النبي ﷺ امتدح من صنع هذا، تثبت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن من قتلهم هو علي، «فأَرْخَتْ عَيْنَيْهَا فَبَكَتْ، فَلَمَّا سَكَتَتْ عَبْرَتُهَا قَالَتْ: رَحِمَ اللهُ عَلِيًّا لَقَدْ كَانَ عَلَى الْحَقِّ، وَمَا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا كَمَا يَكُونُ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَأَحْمَائِهَا»[3].

رغم أن الإنصاف بين الناس عزيز وصعب، كما نرى ونشاهد في زماننا هذا وللأسف، إلا أن الإنصاف خلقٌ لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في جميع الأحوال، ومع الجميع، بل هو منهج لها لا تحيد عنه، فرضي الله عنها وأرضاها.

السؤال التطبيقي:

كيف استطاعت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن تُربي وتجاهد نفسها على هذا الإنصاف العجيب؟!

الإجابة:

أولًا: كانت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تُدرك أن الإسلام خُلق ومعاملة، وليس

(١) البداية والنهاية لابن كثير (١٠/ ٤٧٢).

(٢) تاريخ الطبري (٤/ ٥٤٤)، البداية والنهاية (٧/ ٢٧٤).

(٣) رواه البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٤٣٥).

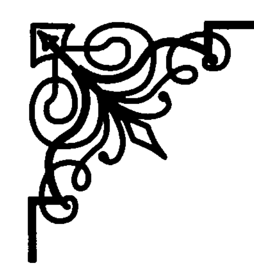
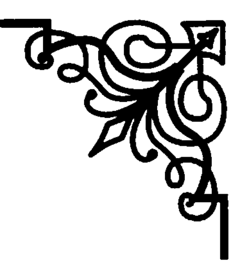
مجرد أقوال، أو مظهر وشكل فقط.

ثانيًا: تواضع عائشـــة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا، وســلامة صدرهـــا، وحبها للناس، والعفو عن زلاتهم، كل ذلك ابتغاء ما عنـــد الله من الثواب، والصبر على أذى الناس.

ثالثًا: تطبيق عائشـــة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا العملي لمبـــدأ أن الخلاف في الرأي لا يُفســـد للود قضية طالما أن الأمر فيه سَعة، وبعيدًا عن انتهاك محارم الله وحدوده.

رابعًا: اســتطاعت عائشـــة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا أن تميز بين مواقف الشخص، وبين الشخص نفسه، فالبشر مُعرضون للخطأ، لكن هذا لا ينفي أبدًا جميل صفات أخرى فيه، أو نُبل أخلاقه في مواقف وإن أخطأ هنا.

خامسًا: الإنصاف عزيز، ويحتاج لمجاهدة وخوف من الله، فهو يبدأ من النفس، مرورًا بالمسلمين، ويمتد حتى يصل إلى العدو وغير المسلم.

[٢٤]

عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا والطموح

إذا ذُكر الطموح ذُكرت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، فقد كانت كثيرة السؤال، لا يهدأ لها بال حتى تطّلع بنفسها على كل خفي لتتعرف منه على ما يشفي غَلتها، فعائشة امرأة لكن كانت رَجِلَةُ العرب كما قيل عنها، على قمة جبل الهمة تراها، وفي مقدمة الركبان تتلمس خطاها، سابقة إلى الخيرات، لها في كل فن نصيب، تكامل في شخصيتها عجيب، في العلم جبل، في الفتيا إمام، في العبادة رأس، في الأخلاق قدوة، في الصبر مدرسة، زوجة من طراز فريد، في الكرم ليس لها شبيه، حبها للأيتام غريب، علمها بحر في القرآن وفي الحديث وفي الفقه وفي الفرائض، لها في الطب، ولها في الشعر، ولها في النسب، روحها سمت في كل مكان، وطافت في سماء العزيمة والإيمان، واستقرت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا مع الكبار والأعلام.

عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا موسوعة علمية شاملة، ومع شموليتها هذه فقد بلغت القمة في كل فن من تلك الفنون، يقول ابن حواري رسول الله ﷺ عروة بن الزبير بن العوام: «ما رأيت أحدًا أعلم بالحلال، والحرام، والعلم، والشعر،

والطب؛ من عائشـــة أم المؤمنين»[1]، وفي رواية أخــرى: «ما رأيت أحدًا أعلم بالقرآن، ولا بفريضة، ولا بحرام، ولا بحلال، ولا بفقه، ولا بشــعر، ولا بطب، ولا بحديث العرب، ولا نسب من عائشة»[2].

وفــي العلــم الشــرعي بفنونه، لهــا طموح ليــس له نهايــة، يقول عبد الرحمن بن أبي ســلمة: «ما رأيت أحدًا أعلم بسنن رســـول الله ﷺ، ولا أفقـه في رأي إن احتيج إلى رأيه، ولا أعلم بآية فيما نـزلت، ولا فريضة من عائشة»[3].

ويقول الذهبي: «لا أعلم في أمّة محمَّد ﷺ، بل ولا في النّساء مطلقًا امرأة أعلَمَ من عائشة»[4].

وفي تدبر القرآن: ها هو القاســم بن محمد ابن أخي عائشــة وربيبها يقول عن خالتها عائشــة: «كنت إذا غدوت بدأت ببيت عائشة أُسلِّم عليها، فغدوت يومًا فإذا هي قائمة تصلــي وتقرأ: ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الطور: ٢٧]، يقول: تدعو، وتبكي، وتردد الآية، انتظرت حتى مللتُ الانتظار، ذهبت إلى السوق لحاجتي، ثم رجعت فإذا هي قائمة كما

(١) رواه الحاكم في المستدرك (ح: ٦٧٣٣).
(٢) حلية الأولياء، للأصبهاني (٢/ ٤٩)، صفة الصفوة لابن الجوزي (٢/ ٣٢).
(٣) الطبقات الكبرى (٢/ ٢٨٦).
(٤) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٤٠).

هـــي تصلي وتبكي»[1]. قراءة تدبر وتأمل واتعاظ، وليس هذًّا للقرآن، ونثرًا دون معرفة المعنى.

وفي الحديث: كانت مروياتها: (٢٢١٠) حديثًا، منها (١٧٤) حديثًا متفقًا عليها عند الشـــيخين، وانفرد البخاري منها بـ(٥٤) حديثًا، ومســـلم بـ(٦٩) حديثًا، والباقي في الصحاح والســـنن والمعاجم والمســـانيد[2]، وعدّهـــا ابن حزم في المرتبة الرابعة من بين الصحابة المكثرين للرواية عن الرسول ﷺ[3].

وفي الفقه: يقول عطاء: «كانت عائشـــة أفقـــه الناس، وأعلم الناس، وأحسن الناس رأيًا في العامة»[4].

ويقول الذهبـــي: «أم المؤمنين، زوجة النبي، أفقه نســـاء الأمة على الإطلاق»[5].

وقد كان أكابر الصحابة إذا أَشْـــكل عليهم أمر يســـألونها فتجيبهم، ويســـتفتونها فتفتيهم، يقول أبو موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما أشكل علينا أصحاب رســـول الله ﷺ حديثٌ قط فسألنا عائشـــة إلا وجدنا عندها منه

(١) صفة الصفوة (١/ ٣١٩).
(٢) انظر: جوامع السيرة لابن حزم (ص: ٢٧٦)، سير أعلام النبلاء (٢/ ١٣٩).
(٣) انظر: جوامع السيرة لابن حزم (ص: ٢٧٦، ٣١٩).
(٤) رواه الحاكم في المستدرك (ح: ٦٧٤٨).
(٥) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٣٩).

علمًا»[1].

ويقول عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر: «كانت عائشة قد استقلت بالفتوى في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وهلم جرًّا، إلى أن ماتت يرحمها الله، يقول: كنت ملازمًا لها؛ مع بِرِّها بي»[2].

ويقول محمود بن لبيد: «كانت عائشة تُفتي في عهد عمر وعثمان إلى أن ماتت، يرحمها الله، وكان الأكابر من أصحاب رسول الله عمر وعثمان بعده، يُرسلان إليها، فيسألانها عن السُّنن»[3].

وفي الفرائض وعلم الفرائض: سُئِل مسروق: «هل كَانَتْ عَائِشَةُ تُحْسِنُ الْفَرَائِضَ؟ قَالَ: وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، لَقَدْ رَأَيْتُ الْأَكَابِرَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ يَسْأَلُونَهَا عَنِ الْفَرَائِضِ»[4].

لم يكن علم عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مقتصرًا على رواية النصوص، والإفتاء

---

(١) رواه الترمذي في المناقب، باب من فضل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ح: ٣٨٨٣)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب». وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح:٣٠٤٤).

(٢) الطبقات الكبرى (٢/ ٢٨٦).

(٣) المرجع السابق نفسه.

(٤) رواه الدارمي في سننه (ح: ٢٩٠١)، والطبراني في الكبير (٢٣/ ١٨١، ح: ٢٩١)، والحاكم في المستدرك (ح: ٦٧٣٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٢٤٢): إسناده حسن. وقال الألباني في الصحيحة (١/ ١٥٥): «إسناده صحيح على شرط الشيخين».

بهـــا، وما علمته من أحوال النبي ﷺ، بل كانت فقيهة تجتهد في اســـتنباط الأحكام للوقائع والمســـتجدات التي تعرض عليها، التي ربما لم تجد لها حكمًا صريحًا في الكتاب والسنة.

وكانـــت عائشـــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أيضًا فصيحـــة، وبارعة في فـــن الخطابة والإلقاء، يقول معاوية: «واللهِ ما سمعت قطّ أبلغَ من عائشةَ»[1].

وكانت علـــى دراية بعلوم أخرى غير علوم الشـــريعة، كعلم الطب في عصرها، يقول لها عروة: «يَا أُمَّتَاهُ! لاَ أَعْجَبُ مِنْ فِقْهِكِ، أَقُوْلُ: زَوْجَةُ نَبِيِّ اللهِ، وَابْنَةُ أَبِي بَكْرٍ، وَلاَ أَعْجَبُ مِنْ عِلْمِكِ بِالشِّعْرِ وَأَيَّامِ النَّاسِ، أَقُوْلُ: ابْنَةُ أَبِي بَكْرٍ، وَكَانَ أَعْلَمَ النَّاسِ، وَلَكِنْ أَعْجَبُ مِنْ عِلْمِكِ بِالطِّبِّ كَيْفَ هُوَ؟ وَمِنْ أَيْنَ هُو؟ أَوْ مَـــا هُوَ؟! قَالَ: فَضَرَبَتْ عَلَى مَنْكِبِهِ، وَقَالَتْ: أَيْ عُرَيَّةُ، إِنَّ رَسُـــوْلَ اللهِ ﷺ كَانَ يَسْقَمُ عِنْدَ آخِرِ عُمُرِهِ - أَوْ فِي آخِرِ عُمُرِهِ - وَكَانَتْ تَقْدَمُ عَلَيْهِ وُفُودُ العَرَبِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، فَتَنْعَتُ لَهُ الأَنْعَاتَ، وَكُنْتُ أُعَالِجُهَا لَهُ، فَمِنْ ثَمَّ»[2].

وفي رواية: «يَا خَالَةُ، الطِّبُّ مِنْ أَيْـــنَ عُلِّمْتِهِ؟! قَالَتْ: كُنْتُ أَمْرَضُ، فَيُنْعَتُ لِيَ الشَّـــيْءُ، وَيَمْرَضُ المَرِيْضُ، فَيُنْعَتُ لَهُ، وَأَسْـــمَعُ النَّاسَ يَنْعَتُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، فَأَحْفَظُهُ»[3].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣ / ٤٥٧).

(٢) رواه أبو نعيم فـــي الحلية (٢ / ٤٩)، والذهبي -واللفظ له- في ســـير أعلام النبلاء (٢/ ١٨٣).

(٣) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٨٣).

وأمّا الشّعِر فلا ندري كيف كانت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تجد وقتًا في الحياة لتحفظ الشعر؟ فقد قالت عن نفسها: «رويت للبيد بن ربيعة اثني عشر ألف بيت من الشعر»[1].

تصوروا، ليس ألفًا ولا ألفين بل اثني عشر ألف بيت من الشعر، ثم للبيد فقط.

وأمّا حفظها على وجه العموم فهذا ما يخبرنا به عروة فيقول: «ما كان ينزل بعائشة شيء إلا أنشدت فيه شعرًا»[2].

سبحان الله! عجيب حالها، بزت الرجال، صارت معلمة للرجال والأجيال، لها في كل الفنون نصيب، ووالله إن الإنسان وهو يقرأ ويجمع الأخبار حول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ويتأمل؛ ليعجب أشد العجب من حال عائشة، ومن علم عائشة، ومن سعة ثقافة عائشة في كل الفنون، فلم تترك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا شيئًا إلا وكان عندها منه خبر، بل كانت فيه مَرجعًا، والعجيب أن كل هذا رغم صغر سنِّها، لكنها كانت ذات قلب عقول، ولسان سؤول.

وأما طموحها وهمَّتها في العمل العام والمجتمعي؛ فكان لها اهتمام كبير في هذا الشأن، وقد كانت حريصة على رعاية الأيتام وكفالتهم، خاصة ممن حولها من أقاربها من أبناء إخوانها وأخواتها، نشأ على يديها جمهرة

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ١٣٣٨).

(٢) المرجع السابق نفسه.

من الأيتام؛ شباب وفتيات كانت لهم أمًّا رؤومًا حنونًا، مربية عالمة، قامت عليهم بنفسها رعاية وتربية، وخدمة وتعليمًا، فربتهم في كنفها حتى صاروا علماء ورؤوسًا في زمنهم، ومن أشهر هؤلاء:

عبد الله بن الزبير، ابن أختها أسماء، وأختها الصغيرة: أم كلثوم بنت أبي بكر، فقد مات أبو بكر وهي في بطن أمها، فأوصى عائشة عليها، ولما قُتل أخوها محمد في مصر، كان له ولدان، فضمتهما عائشة إلى كفالتها، وشملتهما بحسن الرعاية، حتى أصبح أحدهما درة مضيئة في زمانه، وهو علامة التابعين، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة: القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، أيضًا ضمَّتْ إليها ابن أختها عروة بن الزبير، ومسروق بن الأجدع الإمام القُدوة العَلَم، وعمرة بنت عبد الرحمن الأنصاريَّة، الفقيهة، وغيرهم كثير من صغار الأيتام والأقارب الذين أصبحت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لهم أمًّا لا كالأمهات، أمًّا فريدة لا مثيل لها، استطاعت أن تُخرِّجَ الأيتام كبارًا وعلماء أفذاذًا، فلله درك يا عائشة.

وأيضًا لها مشاركات اجتماعية في بذلها للمال بحسب ما تملك، وبحسب قدرتها: يأتيها من معاوية مئات الآلاف من الدراهم فتوزعها في يومها ولحظتها على الفقراء والمساكين، ها هي تُكرم ربيعة الأسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بطعامها الذي لا تجد غيره، كما جاء في قصة زواجه عندما لم يجد شيئًا يُولم به فأمره الرسول ﷺ أن يذهب لعائشة، فأعطته

عائشة كل ما عندها من طعام الشعير، ولم تبق شيئًا[1].

فصفة السـخاء والكرم خلق أصيل في عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، لا يُمكن أن يتغير حتى أيام العوز، وقلة ذات اليد، كما جاء عَنْها في القصة المشـهورة: «أَنَّ مِسْكِينًا سَـأَلَهَا وَهِيَ صَائِمَةٌ وَلَيْسَ فِي بَيْتِهَا إِلَّا رَغِيفٌ، فَقَالَتْ لِمَوْلَاةٍ لَهَـا: أَعْطِيهِ إِيَّاهُ، فَقَالَتْ: لَيْسَ لَكِ مَا تُفْطِرِينَ عَلَيْـهِ؟! فَقَالَتْ: أَعْطِيهِ إِيَّاهُ، قَالَـتْ: فَفَعَلْتُ، قَالَتْ: فَلَمَّا أَمْسَـيْنَا أَهْدَى لَنَا أَهْلُ بَيْتٍ أَوْ إِنْسَـانٌ مَا كَانَ يُهْدِي لَنَا شَـاةً وَكَفَنَهَا (أي: ما يغطيها من الأقراص والرغف[2])، فَدَعَتْنِي عَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَتْ: كُلِي مِنْ هَذَا، هَذَا خَيْرٌ مِنْ قُرْصك»[3].

وكم هو طموح عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في العبادة أيضًا، فهي شخصية إيمانية رائعـة، هي أنموذج ومنهج تربوي وعملي لكل مسـلم ومسـلمة خاصة الفتيات، كانت تداوم على ثمانـي ركعات في الضحى، وتقول: «لَوْ أُحيي لِي أَبُو بَكْرٍ مَا تَرَكْتُهُنَّ، وَقَالَتْ: رَكَعْتُهُنَّ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ»[4].

وإن واظبت علـى عبادة داومت عليهـا، ولا تتركها، إن نامت عنها أو سهت سـارعت بقضائها؛ عملًا بما ورد في الحديث، فذات مرة دخل

(١) رواه الطيالسي وأحمد وغيره، وهو حديث حسن. وتقدم تخريجه في حلقة (٢٢).
(٢) انظر: مطالع الأنوار على صحاح الآثار (٣/ ٣٨١).
(٣) رواه مالك في الموطأ (ح: ٥) بلاغًا.
(٤) رواه البخـاري في التاريخ الأوسـط (١/ ١٧٢)، والحديث أصلـه في موطأ مالك (ح:٣٠)، والسنن الكبرى للنسائي (ح: ٤٨٤).

عليها ابن أخيها القاسم بن محمد قبل صلاة الفجر وهي تصلي، فقال لها: ما هذه الصلاة؟ قالت: «نِمْتُ عَنْ جُزْئِي اللَّيْلَةَ فَلَمْ أَكُنْ لِأَدَعَهُ»(١).

ولم تترك بعد وفاة النبي ﷺ الاعتكاف في العشر الأواخر في رمضان، بلغ حبها للصوم مبلغًا كبيرًا، فكثيرًا ما كانت تسرد الصوم، وقد دخل عليها عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ يَوْمَ عَرَفَةَ وَهِيَ صَائِمَةٌ، وَالْمَاءُ يُرَشُّ عَلَيْهَا، فَقَالَ: أَفْطِرِي! فَقَالَتْ: أُفْطِرُ وَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ صَوْمَ يَوْمِ عَرَفَةَ يُكَفِّرُ الْعَامَ الَّذِي قَبْلَهُ»(٢).

ومن طموحها أيضًا مشاركاتها في الجهاد في سبيل الله بسقيا الناس، وتمريضهم، ونحوه، في غزوة أحد، وقد كانت عائشة حينها في الحادية عشرة من عمرها، وكانت تتوقد قوة ونشاطًا، وخفة في خدمة الناس، وخدمة المجتمع، يقول أنس بن مالك وعمره في الثالثة عشرة آنذاك: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ انْهَزَمَ النَّاسُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ عَائِشَةَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ، وَأُمَّ سُلَيْمٍ وَإِنَّهُمَا لَمُشَمِّرَتَانِ، أَرَى خَدَمَ سُوقِهِمَا، تُنْقِزَانِ القِرَبَ عَلَى مُتُونِهِمَا (أي: كَانَت الْقرب تَرْتَفع وتنخفض على ظهورهما من شدة الوثب)، تُفْرِغَانِهِ فِي أَفْوَاهِ القَوْمِ، ثُمَّ تَرْجِعَانِ، فَتَمْلَآَنِهَا، ثُمَّ تَجِيئَانِ فَتُفْرِغَانِهِ فِي أَفْوَاهِ القَوْمِ»(٣).

أيّ طموح هذا؟!

(١) رواه الدارقطني (ح: ٩٦٦).

(٢) رواه أحمد (ح: ٢٤٩٧٠).

(٣) رواه البخاري في الجهاد والسير، باب غزو النساء وقتالهن مع الرجال (ح: ٢٨٨٠)، ومسلم في الجهاد والسير، باب غزوة النساء مع الرجال (ح: ١٨١١).

عائشـــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لم تنعزل عن عصرها، بل كانت متابعة للرأي العام، وقضايا الأمة، فكان لها مشاركات ومواقف سياسية نابعة عن مسؤولياتها الدينية والشرعية باعتبارها أمًّا للمؤمنين، وعالمةً بالدين وسنة سيد المرسلين ﷺ، بل أيضًا لفطنتها وإدراكها لمكر ودسائس الأعداء، وسعيهم في خلخلة المجتمع الإســـلامي آنذاك، وبث الفرقة فيه، فلما قُتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، طالبت عائشة وجمهرة الصحابة والتابعين بأن يُقتص من قتلته، حتى لا يتعاظم شرهم، وقد قامت خطيبة بالناس مطالبة ألا يتهاونوا في ذلك.

وعلى كلٍّ؛ الكلام يطول في طموح عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ويختصر عروة طموح عائشة بقوله: «لَقَدْ صَحِبْتُ عَائِشَةَ، فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا قَطُّ كَانَ أَعْلَمَ بِآيَةٍ أُنْزِلَتْ، وَلاَ بِفَرِيْضَةٍ، وَلاَ بِسُــنَّةٍ، وَلاَ بِشِعْرٍ، وَلاَ أَرْوَى لَهُ، وَلاَ بِيَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ العَرَبِ، وَلاَ بِنَسَبٍ، وَلاَ بِكَذَا، وَلاَ بِكَذَا، وَلاَ بِقَضَاءٍ، وَلاَ طِبٌّ مِنْهَا»[1]. إنها ابنة أبي بكر وكفى!

السؤال التطبيقي:

كيف اســـتطاعت عائشـــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ترجمة هذا الطموح لواقع حتى حظيت بهذا التكامل العجيب في شخصيتها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ؟!

الإجابة:

أولًا: شغف عائشة بالجديد، وكثرة ســـؤالاتها، فهي لا يهدأ لها بال

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢/ ٤٩).

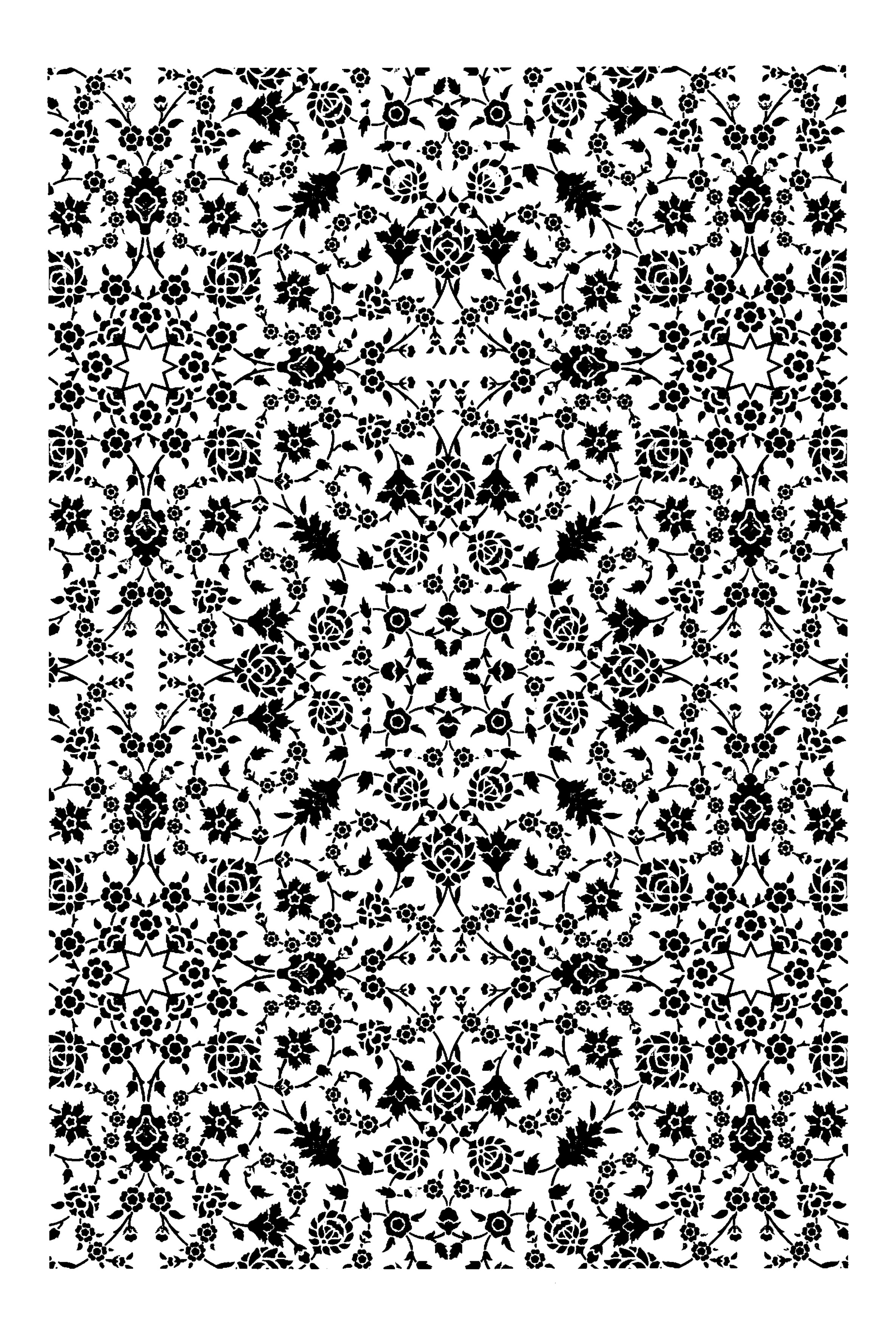
حتى تطلع بنفسها على كل خفي، وتتعرف منه على ما يشفي غلتها.

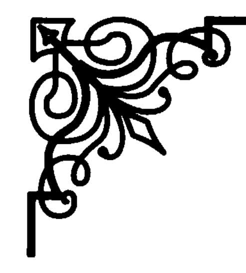
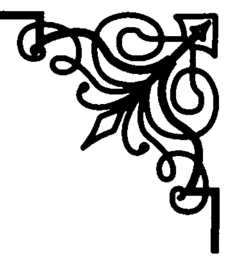
ثانيًا: مداومة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا على الشيء، فلا تكفي العزيمة والطموح، بل لا بد من المداومة والاستمرار عليهما، والإصرار على تحقيق الأهداف، فبناء الشخصية لبنة لبنة، وهذا يحتاج لزمن وصبر.

ثالثًا: وضوح الهدف في حياتها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، ومحبتها لربها، وإيمانها العميق، وصلتها الكبيرة بالله تعالى، وثقتها به سبحانه.

رابعًا: الشعور الكبير لدى عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بالمسؤولية تجاه المجتمع، والآخرين، والتداخل مع الناس، وحسن علاقاتها بهم.

خامسًا وأخيرًا: شدة ذكائها وفطنتها، وقوة حفظها وذاكرتها.



[٢٥]

شخصية عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

من أبرز ما يُميز شـخصية عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: اسـتقلالية رأيها، وقوة شـخصيتها، ونصاعة الحجة عندها، لكن مع الإنصاف، والرجوع للحقِّ، وحسـن الأدب، ومحبة الناس، واحترام الآخرين، وإلا فإن قوَّة الشخصية بدون هذه الضوابط تُعد تسلطًا وعنادًا.

وكانت عائشـة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **تتميز بشـخصيَّة جذَّابة**، شخصيَّة ناجحة، كانت حاضرة الذهن، حاضرة البديهة والفطنة، تُناقش وتستدل، وتستنبط وتسـتدرك، حتى أصبح لها مدرسة فقهية مستقلَّة في قدرتها على الترجيح والاستدلال، وقوَّة الملكة التي فطرها الله عليها.

يقول عطاء: «كانت عائشة أفقه الناس، وأعلم الناس، وأحسن الناس رأيًا في العامة»[١].

ويقول الذهبي: «أم المؤمنين، زوجة النبي ﷺ، أفقه نساء الأمة على

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (ح: ٦٧٤٨).

الإطلاق»[1].

وقال مســـروق عنها: «لَقَدْ رَأَيْتُ الأكَابِرَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَسْأَلُونَهَا عَنِ الْفَرَائِضِ»[2].

وكانت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تجهد إذا لم يرد نص في المســـألة، وقد يوافق رأيها آراء بعض الصحابة، وقد تنفرد عنهم، ففي بعض المسائل خالفت جمهور الصحابة، ومن أتى بعدهم.

ولهذا قال ابن كثير: «وقد تفردت أم المؤمنين عائشة بمسائل من بين الصحابـــة لم توجد إلا عندها، وانفردت باختيـــارات أيضًا، وردت أخبارًا بخلافها بنوع من التأويل»[3].

إذًا: فمن قوة شخصية عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن لها شخصية علميَّة مستقلة، كان لها رأي واســـتنتاج، ونقد وتصحيح، فكانت لا تسكت عن الخطأ، بل تُصحح وتنفي.

وغضبـــت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يومًا على أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ غضبًا شـــديدًا لما

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٣٥).

(٢) رواه الدارمي في ســـننه (ح: ٢٩٠١)، والطبراني في الكبير (٢٣/ ١٨١، ح: ٢٩١)، والحاكم في المستدرك (ح: ٦٧٣٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٢٤٢): إسناده حســـن. وقال الألباني في الصحيحة (١/ ١٥٥): «إسناده صحيح على شرط الشيخين».

(٣) البداية والنهاية (١١/ ٣٣٩).

روى حديث النبـــي ﷺ: «**الطيرة في المرأة، والفرس، والدار**» قالت: «إنما قال ﷺ: «**كان أهل الجاهلية يتطيرون من ذلك**»[1].

وأنكـــرت أيضًا على عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين ســـمعته يقول: «إن الميـــت ليعذب ببكاء أهله». قالت: «يرحم اللــــه عمرَ، والله ما حَدَّثَ رســـول الله ﷺ إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه؛ ولكن قال: «**إن الله يزيد الكافر ببكاء أهله عليه**». وقالت: حســـبكم القـــرآن: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [الأنعام: ١٦٤][2].

لكنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كانت وقافةٌ عند النص، ترجع للحق، قد تتكلم على حكم، ثم يبلغها مـــن النص ما يخالفه، فترجع عنه، فكانت تنكر المســـح على الخفين، وتقول: «لأن أحزهما بالســـكاكين أحبّ إليّ من أن أمســـح عليهما»[3]. لكنها تراجعت عندما بلغتها الســـنة، وقالت للســـائل: «عليك بابن أبي طالب فسلْهُ؛ فإنه كان يسافر مع رسول الله ﷺ»[4].

---

(١) رواه أحمد (ح: ٢٥١٦٨)، وقال الأرنؤوط ومن معه في تحقيقهم للمســـند: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) رواه البخاري في الجنائز، باب قول النبي ﷺ: «يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه» إذا كان النوح من ســـنته (١٢٨٨)، ومسلم في الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه (ح: ٩٢٩).

(٣) رواه القاســـم بن سلام في كتاب الطهور (ص: ٣٩١) رقمه: (٣٩٤)، وابن أبي شيبة فـــي المصنـــف (٢/ ٢٦٨، ح: ١٩٥٦)، وصحـــح ســـنده الألباني فـــي الصحيحة (٧/ ١٣٤٤).

(٤) رواه ابن أبي شـــيبة فـــي المصنـــف (ح: ١٨٦٦)، والبيهقي في الســـنن الكبرى =

ومن قوة شـــخصية عائشـــة: ذكاؤها، وســـرعة بديهتها، وقوة ردها، واســـتحضار حجتها، ولا شـــك أن هذه الأمور من مظاهر الشـــخصيات المتميزة، فاستمعوا لهذا الموقف الظريف الطريف، فقد روى الشيخان عن عَائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قَالَت: أَرْسَلَ أَزْوَاجُ النَّبِي ﷺ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَاسْتَأْذَنَتْ عَلَيْهِ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ مَعِي فِي مِرْطِي[1]، فَأَذِنَ لَهَا فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَزْوَاجَكَ أَرْسَلْنَنِي إِلَيْكَ، يَسْأَلْنَكَ الْعَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ! (تقول عائشة): وَأَنَا سَاكِتَةٌ، فَقَالَ لَهَا ﷺ: «أَيْ بُنَيَّةُ أَلَسْتِ تُحِبِّينَ مَا أُحِبُّ؟». فَقَالَتْ: بَلَى. قَالَ: «فَأَحِبِّي هَـــذِهِ». قَالَتْ: فَقَامَتْ فَاطِمَةُ حِينَ سَـــمِعَتْ ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَرَجَعَتْ إِلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَخْبَرَتْهُنَّ بِالَّذِي قَالَتْ، وَبِالَّذِى قَالَ لَهَا ﷺ. فَقُلْنَ لَهَا: مَا نُرَاكِ أَغْنَيْتِ عَنَّا مِنْ شَـــيْءٍ، فَارْجِعِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُولِي لَهُ: إِنَّ أَزْوَاجَكَ يَنْشُدْنَكَ الْعَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ. فَقَالَتْ فَاطِمَةُ: وَاللَّهِ لاَ أُكَلِّمُهُ فِيهَا أَبَدًا. قَالَتْ عَائِشَـــةُ: فَأَرْسَلَ أَزْوَاجُ النَّبِـــيِّ ﷺ زَيْنَـــبَ بِنْتَ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِـــيِّ ﷺ وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي مِنْهُنَّ فِي الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَمْ أَرَ امْرَأَةً قَطُّ خَيْرًا فِي الدِّينِ مِنْ زَيْنَبَ، وَأَتْقَـــى لِلَّهِ، وَأَصْدَقَ حَدِيثًا، وَأَوْصَلَ لِلرَّحِمِ، وَأَعْظَمَ صَدَقَةً، وَأَشَدَّ ابْتِذَالًا لِنَفْسِهَا فِي الْعَمَلِ الَّذِي تَصَدَّقُ بِهِ، وَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، مَا عَدَا سَوْرَةً مِنْ حِدَّةٍ كَانَتْ فِيهَا، تُسْرِعُ مِنْهَا الْفَيْئَةَ..».

= (ح: ١٢٨٩)، والحديـــث أصله في صحيح مســـلم في الطهارة، بـــاب التوقيت في المسح على الخفين (ح:٢٧٦).

(١) المروط: أكســـية من صوف أو خَزّ كان يؤتَزر بها. انظر: تهذيب اللغة (١٣/ ٢٣٤)، النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٣١٩).

(مَعْنَى هذا: أَن زينب متكَامِلَةُ الْأَوْصَافِ، وهذا من إنصاف عائشة، فهي تُثني على زينب، مع أنها جاءت لتشكيها عند النبي ﷺ، وتصفها بصفات عالية إِلَّا أَنَّ فِيهَا شِدَّةَ خُلُقٍ وَسُرْعَةَ غَضَبٍ. تُسْرِعُ مِنْهَا الْفَيْئَةُ: أَيْ: إِذَا وَقَعَ ذَلِكَ مِنْهَا رَجَعَتْ عَنْهُ سَرِيعًا وَلَا تُصِرُّ عَلَيْهِ، فأي إنصافٍ من عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؟!).

وتُتابع عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حديثها فتقول: «فَاسْتَأْذَنَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَ عَائِشَةَ فِي مِرْطِهَا عَلَى الْحَالَةِ الَّتِي دَخَلَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا وَهُوَ بِهَا، فَأَذِنَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَزْوَاجَكَ أَرْسَلْنَنِي إِلَيْكَ يَسْأَلْنَكَ الْعَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ. قَالَتْ: ثُمَّ وَقَعَتْ بِي فَاسْتَطَالَتْ عَلَيَّ، وَأَنَا أَرْقُبُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، أَرْقُبُ طَرْفَهُ هَلْ يَأْذَنُ لِي فِيهَا، قَالَتْ: فَلَمْ تَبْرَحْ زَيْنَبُ حَتَّى عَرَفْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَا يَكْرَهُ أَنْ أَنْتَصِرَ. فَلَمَّا وَقَعْتُ بِهَا لَمْ أَنْشَبْهَا (أي: أمهلها) حِينَ أَنْحَيْتُ عَلَيْهَا. وفي رواية: (لَمْ أَنْشَبْهَا أَنْ أَفْحَمْتُهَا). تعني: قمعتها، وقهرتها. قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَبَسَّمَ: «إِنَّهَا ابْنَةُ أَبِي بَكْرٍ»[1].

هكذا كانت عائشة في قوة حجتها، وسرعة بديهتها، وسرعة البديهة تحتاج إلى استعداد عقلي ونفسي ولغوي، وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قد أتقنت هذا الفن؛ لامتلاكها مقوماته، لا شك أن الموقف السابق بظرافته مليء بالدروس

(١) رواه البخاري في الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب من أهدى إلى صاحبه وتحرى بعض نسائه دون بعض (ح: ٢٥٨١)، ومسلم -واللفظ له- في فضائل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، باب فضل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ح: ٢٤٤٢).

والعبر، لكن أهمها: قوة شخصية عائشة، رغم أن المقام متأجج نارًا! ورغم أن زينب استطالت عليها، إلا أن عائشـــة تمالكت نفسها حتى أتمت زينب كلامها، ثم أنها لم تَبدأ مرافعتها ولا الدفاع عن نفســـها إلا بعد أن استشفّت الموافقـــةَ من نظر النبي ﷺ زوجها لها! ولا شـــك أن هـــذا غاية في ضبط النفس، وقوة الشخصية، فقد تريثت وانتظرت رأي رسول الله ﷺ، هل يأذن لها بالرد والانتصار؟ وقد أثنت علـــى زينب وأنصفتها برغم أنها كانت هي التي تساميها وتنافســـها على زوجها، وبرغم أن زينب هي البادئة بالتطاول عليها، والوقيعة فيها، ومع أن الموقف هنا موقف خصومة ومشاجرة، إلا أن عائشـــة تعلم أن ما حصل من زينب كان بدافع الغيرة، ولا ضير فيها، وهذا ما قد يحصل من عائشة بعض الأحايين، لكن مع ذلك أفحمتها في كلمات، وكانت كلماتها قصيرة!! سُرعة بديهة، وقوة حجة، وحدة ذكاء، حتى نالت إعجابَ الرسول ﷺ، ومديحَه لها، فقال مبتسمًا: «أَمَا إِنَّهَا ابْنَةُ أَبِي بَكْرٍ». أَي: أنّ هَذِه الفصاحة، وهذه الفطنة عندها مكتســـبةٌ من أبيها أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال النووي: «فمعناه: الإشارة إلى كمال فهمها، وحسن نظرها»[1].

ومن المواقف التي تُظهر قوة شـــخصيتها بجلاء، وعظيم قيمتها عند رسول الله ﷺ، ما أخرجه الشيخان عنها أنها قالت: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً، وَإِذَا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى» قَالَتْ: فَقُلْتُ: مِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: «أَمَّـــا إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً، فَإِنَّكِ تَقُولِينَ: لاَ وَرَبِّ مُحَمَّدٍ، وَإِذَا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى، قُلْتِ: لاَ وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ» قَالَتْ: قُلْتُ: أَجَلْ

(١) شرح النووي على مسلم (١٥/ ٢٠٧).

وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ[1].

فتأمل: عائشة اللبيبة بنت الصديق ترد كأحسن ما يكون الرد!

ومن المواقف الرائعة أيضًا، التي تظهر قوة شخصية عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وقوة حجتها، موقفٌ جاء في قصة الإفك، قَالَتْ عائشة في سياق سردها للقصة: «..فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْنَا فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ. قَالَتْ: وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مُنْذُ قِيلَ مَا قِيلَ قَبْلَهَا، وَقَدْ لَبِثَ شَهْرًا لَا يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي بِشَيْءٍ. قَالَتْ: فَتَشَهَّدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ جَلَسَ ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ: يَا عَائِشَةُ! إِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللَّهُ، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ، وَتُوبِي إِلَيْهِ؛ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ». فقَالَتْ عائشة: فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَالَتَهُ، قَلَصَ دَمْعِي حَتَّى مَا أُحِسُّ مِنْهُ قَطْرَةً، فَقُلْتُ لِأَبِي: أَجِبْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِّي فِيمَا قَالَ! فَقَالَ أَبِي: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ!. فَقُلْتُ لِأُمِّي: أَجِيبِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِيمَا قَالَ! قَالَتْ أُمِّي: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ!

وتواصل عائشة حديثها وبكل ثقة واطمئنان: «فَقُلْتُ - وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ لا أَقْرَأُ مِنَ الْقُرْآنِ كَثِيرًا -: إِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ: لَقَدْ سَمِعْتُمْ هَذَا الْحَدِيثَ حَتَّى اسْتَقَرَّ فِي أَنْفُسِكُمْ، وَصَدَّقْتُمْ بِهِ، فَلَئِنْ قُلْتُ لَكُمْ: إِنِّي بَرِيئَةٌ، لَا تُصَدِّقُونِي، وَلَئِنْ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي مِنْهُ بَرِيئَةٌ

(١) رواه البخاري في النكاح، باب غيرة النساء ووجدهن (ح: ٥٢٢٨)، ومسلم في فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب في فضل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ح: ٢٤٣٩).

لَتُصَدِّقُنِّي، فَوَاللَّهِ لَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا إِلَّا أَبَا يُوسُفَ حِينَ قَالَ: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[يوسف: ١٨].

تأملوا الفصاحة والجمال في اللغة، والعقل، والكلمات المختارة الرائعة من عائشة في هذا الموقف الصعب.

وتواصل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فتقول: ثُمَّ تَحَوَّلْتُ وَاضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِي، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي حِينَئِذٍ بَرِيئَةٌ، وَأَنَّ اللَّهَ مُبَرِّئِي بِبَرَاءَتِي، وَلَكِنْ وَاللَّهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ مُنْزِلٌ فِي شَأْنِي وَحْيًا يُتْلَى، لَشَأْنِي فِي نَفْسِي كَانَ أَحْقَرَ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ فِيَّ بِأَمْرٍ، وَلَكِنْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللَّهُ بِهَا، فَوَاللَّهِ مَا رَامَ رَسُولُ اللَّهِ مَجْلِسَهُ وَلَا خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ حَتَّى أُنْزِلَ عَلَيْهِ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرَحَاءِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِنَ الْعَرَقِ مِثْلُ الْجُمَانِ، وَهُوَ فِي يَوْمٍ شَاتٍ مِنْ ثِقَلِ الْقَوْلِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ. قَالَتْ: فَسُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَتْ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ! أَمَّا اللَّهُ فَقَدْ بَرَّأَكِ».

قَالَتْ: فَقَالَتْ لِي أُمِّي: قُومِي إِلَيْهِ! فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَقُومُ إِلَيْهِ، فَإِنِّي لَا أَحْمَدُ إِلَّا اللَّهَ!

قَالَتْ: وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ﴾[النور: ١١]... الْعَشْرَ الْآيَاتِ»(١).

---

(١) رواه البخاري في المغازي، باب حديث الإفك (ح: ٤١٤١)، ومسلم في التوبة، =

ففي هذا المقطع من القصة تظهر روائعُ من شخصية عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا، وصبرها، وقوة حجتها، وعظيمِ ثقتها بربها، وحسنِ ظنها بالله، فتتألق في الثبات والهدوء، وكمال العقل وحسن التصرف، رغم أن التهمة في العرض، والموقف خطير، من يُصدق أن عمرها آنذاك لا يتجاوز خمس عشرة سنة؟!! ويتأكد اعتزازها، وثقتها بنفسها، عندما نزلت الآيات مبرئة لساحتها قالت لها أمها: (قُومِي إليه) أي: قُومِي للرسول ﷺ فَاحْمَدِيهِ، وَقَبِّلِي رَأْسه، وَاشْكُرِيهِ لِنِعْمَةِ اللَّه تَعَالَى الَّتِي بَشَّرَك، فَقَالَتْ عَائِشَة: «وَاللَّهِ لَا أَقُومُ إِلَيْهِ، وَلَا أَحْمَدُ إِلَّا اللَّهَ»، إِدْلَالًا عَلَيْهِ وَعَتْبًا.

قال ابن القيم - معلقًا على هذا الموقف -: «ومن تأمل قول الصديقة..؛ علم معرفتها، وقوة إيمانها، وتوليتها النعمة لربها، وإفراده بالحمد في ذلك المقام، وتجريدها التوحيد، وقوة جأشها، وإدلالها ببراءة ساحتها...، - إلى أن قال- وقد تنكَّر قلب حبيبها لها شهرًا، ثم صادفت الرضى منه، والإقبال فلم تبادر إلى القيام إليه، والسرور برضاه وقربه، مع شدة محبتها له، وهذا غاية الثبات والقوة»[1].

مواقف عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا كثيرة في قوة شخصيتها، وسرعة بديهتها.

= باب في حديث الافك وقبول الله توبة القاذف (ح: ٢٧٧٠).

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/ ٢٣٦- ٢٣٧).

السؤال التطبيقي:

كيف استطاعت عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا أن تمتلك هذه القوة في شخصيتها، وهذا الثبات والتميز في آرائها ومواقفها؟

الإجابة:

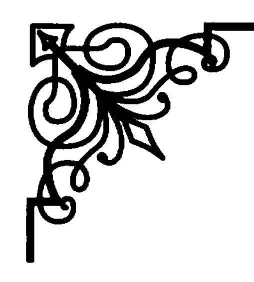
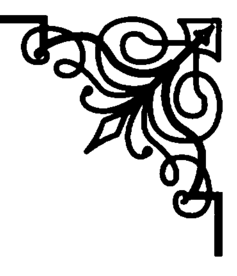
أولًا: تربت عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا في بيت أبي بكر الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ مرحلة الطفولة، وفي مرحلة الصبا في بيت النبوة، فارتوت من هذين الشخصيتين العظيمتين الكثير، مع حرصها على تربية وتزكية نفسها بذكائها وفطنتها.

ثانيًا: وضوح الهدف في حياة عائشـــة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا بإيمانها، وثقتها بربها، أثمر عن شجاعة وعزيمة واضحة في قوة شخصيتها، وعدم ترددها، وضعفها.

ثالثًـــا: حرصها على الإنصاف، والرجوع للحق، مع حســـن الأدب، واحترام الآخرين، وإلا فإن قوة الشـــخصية بدون هذه الضوابط تُعد تسلطًا وعنادًا، وظلمًا.

رابعًا: شـــغفها رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا بالعلم، ومدارسة المسائل، مع كثرة أسئلتها ومناقشاتها.

خامسًا وأخيرًا: جرأتها رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا بالحق، ومعالجة الأخطاء، وإنكارها بكل إنصاف وأدب.

[٢٦]
عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا وأيام خاصة؟!

لــكل أحد خصوصيــات لا يُحب أن يطّلــع عليها أحــد، هذا أمر طبعي، ومهم أن نحترم خصوصيــات الآخرين، لكن للمرأة خصوصيات خاصــة؛ لطبيعة خِلقتها، لكــن أيضًا هناك خصوصيات اشــتُهر الحديث عنها؛ لأهميتها، وصعوبة حصرها في دائرة الخصوصية، كمســألة الطمث والحيض عند النســاء، فهي من المســائل الخاصة، والتي ربما تتحاشــى الحديث عنها، أو تتأفف منها بعض من النساء، أو يغلب عليهن الحياء.

أما عائشــة فصفحة مفتوحة للعالمين، بأمر القرآن: ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ﴾ [الأحــزاب: ٣٤]، والحكمة: سنن وأحكام النبي ﷺ التي تجري في بيته، فهو القدوة الوحيد للناس في كل شــيء، حتى التفاصيل الخاصة؛ لأنه المشــرع عن الوحي والسماء ﷺ، لذا كانت عائشة تســاعد الصحابيات في فهم هذه المسائل الخاصة، مثل:

أمور الحيض، فهي توضح وتشرح وتبين الحكم الشرعي، مرة كانت

عائشة مع النبي ﷺ فجاءت إليه امْرَأَةٌ اســـمها: أَسْمَاء بِنْت شَكَلٍ، فسَأَلَتْ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ غُسْـــلِهَا مِنْ الْمَحِيضِ، فَأَمَرَهَا كَيْفَ تَغْتَسِـــلُ وبين لها، قَالَ: «خُذِي فِرْصَةً مِنْ مَسْـــكٍ فَتَطَهَّرِي بِهَا» (أي: قطنـــة). قَالَتْ: كَيْفَ أَتَطَهَّرُ؟ قَـــالَ: (تَطَهَّرِي بِهَا) قَالَتْ: كَيْفَ؟ قَالَ: «سُـــبْحَانَ اللَّـــهِ تَطَهَّرِي؟!»، تقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَاجْتَبَذْتُهَا إِلَيَّ؛ فَقُلْتُ: تَتَبَّعِي بِهَا أَثَرَ الدَّمِ[1].

هكذا كانت عائشة فطنة ذكية، تفهم بكل سهولة ويسر مراد الشارع.

إنها عائشـــة بنت أبيها! فإذا كان أبوها أعلم رجال الأمة، وأفقه الأمة وأفضلها بعد رســـول الله ﷺ على الإطلاق، فهي أيضًا أعلم نســـاء الأمة، وأفقههن على الإطلاق، وذلك لكثرة ما روت عن حبيبها وقدوتها ﷺ، لم تروِ عنه ﷺ امرأة أكثر من عائشة.

قَالَ عَطَاءُ بنُ أَبِي رَبَاحٍ: «كَانَتْ عَائِشَةُ أَفْقَهَ النَّاسِ»[2].

وقال الزّهريّ: «لو جُمِع علم عائشـــة إلى علم جميع النّســـاء، لكان علم عائشة أفضلَ»[3].

(١) رواه البخاري في الحيض باب دلك المرأة نفســـها إذا تطهرت من المحيض، وكيف تغتســـل، وتأخذ فرصة ممسكة، فتتبع أثر الدم (ح: ٣١٤)، ومسلم في الحيض، باب استحباب استعمال المغتسلة من الحيض فرصة (ح: ٣٣٢).

(٢) رواه الحاكم في المســـتدرك (ح: ٦٧٤٨)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٨/ ١٥٢١)، رقم (٢٧٦٢)، وسكت عنه الذهبي في التلخيص.

(٣) البداية والنهاية (٨/ ٩٩).

إذا كانت هذه هي مكانة عائشة ومنزلتها في العلم والفقه عمومًا، فلا غرابة أنها وسائر أزواج النبي ﷺ انفردن بنقل هذه المسائل المتعلقة بالفراش والحياة الزوجية الخاصة، والتي لا يطلع عليها عادة إلا الأزواج فيما بينهم.

ومسائل الحيض والاستحاضة؛ من الأبواب الفقهية المهمة للغاية؛ لكثرة الأحكام الشرعية المترتبة عليهما، لعموم البلوى بهما للمكلفين نساءً ورجالًا، قد تستغربون ذكر الرجال هنا، أما للنساء فالأمر واضح، وأما للرجال، فلتعلقه بالطلاق والوطء والمباشرة.

ولنا أن نسأل هنا بالمناسبة: كم عدد النساء اللاتي يغفلن عن كثير من مسائل الحيض، فيقعن في المحظورات بقصد، وكثيرًا ما يكون بدون قصد؟!

فهل يُعذرن بهذا؟ ألا يُحاسبن عليه؟! تجيبنا أمنا أم المؤمنين عائشة عمليًّا أن هذا ليس بعذر في حقهن، وعليهن أن يسألن ما يجهلنه من أمور الدين، فشفاءُ العِيِّ السؤال، وهاهي تنقل لنا أن الحيض شيء مقدر مكتوب على بنات آدم، ولذا عليهن الرضا بالقضاء، ولا يتذمرن من هذا، بل يقبلنه بصدر رحب.

والحيض: عبارة عن دم جبلة وطبيعة، يخرج من قعر رحم المرأة؛

لحكم كثيرة يعلمها الله[1]، منها: تغذية الجنين.

ففي الصحيحين عَنْ عائشـــة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قَالَتْ: خَرَجْنَـا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ لَا نَذْكُرُ إِلَّا الحَجَّ، فَلَمَّا جِئْنَا سَـرِفَ طَمِثْتُ (أي: حضت[2])، فَدَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا أَبْكِـي، فَقَالَ: «مَا يُبْكِيكِ؟» قُلْتُ: لَوَدِدْتُ وَاللَّهِ أَنِّي لَمْ أَحُجَّ العَامَ، قَالَ ﷺ: «لَعَلَّكِ نُفِسْتِ؟» (أي: حضت) قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «فَإِنَّ ذَلِكِ شَـيْءٌ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَى بَنَاتِ آدَمَ، فَافْعَلِي مَا يَفْعَلُ الحَـاجُّ، غَيْرَ أَنْ لاَ تَطُوفِي بِالْبَيْتِ حَتَّى تَطْهُرِي»[3].

فعائشة هنا لم تبك تذمرًا وجزعًا، بل لما سبَّبه الحيض لها من تأخير للعبــادة، فبيَّن لها حبيبها ﷺ أنه لا يضر، وعليها أن تفعل كل شـــيء يفعله الحاج إلا الطواف حتى تطهر.

وها هي أيضًا عائشـــة تُعلِّم النســـاء والرجال أن هدي الإســـلام في الحيض هدي وســـط، لا إفراط ولا تفريط، وأنه دم طبيعي لا يلزم منها أبدًا نجاســـة ذواتهن كما كانت اليهود تعتقد؛ «كَانُوا إِذَا حَاضَتِ الْمَرْأَةُ فِيهِمْ لَمْ

(١) انظـــر: الحاوي الكبيـــر (١/ ٣٨٩) وفتح البـــاري (٢/ ٥٢)، والإقنـــاع للحجاوي (١/ ٦٣).

(٢) انظر: فتح الباري (١/ ١٩٧).

(٣) رواه البخاري في الحيض، باب: تقضي الحائض المناسك كلها إلا الطواف بالبيت (ح: ٣٠٥)، ومســـلم في الحـــج، باب بيان وجوه الإحرام، وأنـــه يجوز إفراد الحج والتمتع والقران، وجـــواز إدخال الحج على العمرة، ومتى يحل القارن من نســـكه (ح:١٢١١).

يُؤَاكِلُوهَا، وَلَمْ يُجَامِعُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ»[1].

لكن عائشة توضح المسألة في شريعتنا فتقول: «وَإِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيُدْخِلُ عَلَيَّ رَأْسَهُ -وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ- فَأُرَجِّلُهُ، وَكَانَ لَا يَدْخُلُ الْبَيْتَ إِلَّا لِحَاجَةٍ إِذَا كَانَ مُعْتَكِفًا»[2].

وكانت تقول: «كَانَ يَأْتِينِي وَهُوَ مُعْتَكِفٌ فِي الْمَسْجِدِ؛ فَيَتَّكِئُ عَلَى بَابِ حُجْرَتِي؛ فَأَغْسِلُ رَأْسَهُ وَأَغْسِلُ سَائِرُ جسده ﷺ وهو فِي الْمَسْجِدِ»[3].

بل ها هي تُفصل أكثر لتُعلِّم بنات جنسها أن الحيض لا يمنع من استمتاع أزواجهن بهن، وإنما الممنوع: النكاح (أي: الجماع)، فقَالَتْ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُبَاشِرُنِي (أي: البشرة بالبشرة) وَأَنَا حَائِضٌ، وَكَانَ يُخْرِجُ رَأْسَهُ مِنْ الْمَسْجِدِ -وَهُوَ مُعْتَكِفٌ- فَأَغْسِلُهُ وَأَنَا حَائِضٌ»[4].

وقالت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أيضًا: كَانَتْ إِحْدَانَا إِذَا كَانَتْ حَائِضًا، فَأَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُبَاشِرَهَا، أَمَرَهَا أَنْ تَتَّزِرَ فِي فَوْرِ حَيْضَتِهَا، ثُمَّ يُبَاشِرُهَا،

---

(١) رواه مسلم في الحيض، باب اصنعوا كل شيء إلا النكاح (ح: ٣٠٢).

(٢) رواه البخاري في الاعتكاف، باب: لا يدخل البيت إلا لحاجة (ح: ٢٠٢٩)، ومسلم في الحيض، باب جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله وطهارة سؤرها والاتكاء في حجرها وقراءة القرآن فيه (ح: ٢٩٧).

(٣) رواه أحمد (ح: ٢٤٥٦٤). وقال الأرنؤوط ومن معه في تحقيقهم للمسند (٤١/ ١١٢): «إسناده صحيح على شرط الشيخين».

(٤) رواه البخاري في الحيض، باب مباشرة الحائض (ح: ٣٠٠، ٣٠١).

قَالَتْ: وَأَيُّكُمْ يَمْلِكُ إِرْبَهُ كَمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَمْلِكُ إِرْبَهُ؟»(1).

وفي هذا لمحـــة ظريفة، وتحذير مبطن من عائشـــة الذكية للأزواج بعدم تجاوز الحدود، فمن يعرف من نفسه الضعف، وقلة الصبر، فلا يحوم حول الحمى، فيوشك أن يقع فيها.

وتؤكد عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا لعموم النساء أن الحيض ليس سببًا من أسباب تـــرك العبادات كليًّا، أو ســـماع القرآن، أو حتى ســـائر الخيرات والأذكار والأوراد، تقول: «إِنَّ النَّبِـــيَّ ﷺ كَانَ يَتَّكِئُ فِي حجْرِي وَأَنَا حَائِضٌ ثُمَّ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ»(2).

وهذا تنبيه منهـــا رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا لبعض الأخوات اللائي إذا حضن انقطعن عن الخير كله؛ خاصة في رمضان وغيره، فربما تقذرن من أنفسهن، ورأين أنهن لسن في وضع يبيح لهن الذكر والتسبيح! وهذا خطأ، فلم يقل أحد أن الحائض ممنوعة من الذكر، حتـــى الذين منعوا الحائض من قراءة القرآن، نعم حكم دم الحيض نجس وأذًى، وتَترك المرأة الحائض الصلاة والصوم، فتقضي صومها ولا تقضي صلاتها، وهـــذا مما أجمعت عليه الأمة، وعن عائشـــة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ لها: أَتَجْزِي إِحْدَانَـــا صَلَاتَهَا إِذَا طَهُرَتْ؟

(1) رواه البخاري في الحيض، باب مباشـــرة الحائض (ح: ٣٠٢)، ومسلم في الحيض، باب مباشرة الحائض فوق الإزار (ح: ٢٩٣).

(2) رواه البخاري في الحيض، باب قراءة الرجل في حجر امرأته وهي حائض (ح:٢٩٧)، ومسلم في الحيض، باب جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله (ح:٣٠١).

فَقَالَــتْ: «أَحَرُورِيَّةٌ أَنْتِ؟! كُنَّا نَحِيضُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَا يَأْمُرُنَا بِهِ، أَوْ قَالَتْ: فَلَا نَفْعَلُهُ»(١).

وعَنْ مُعَاذَةَ قَالَتْ: «سَــأَلْتُ عَائِشَــةَ فَقُلْتُ: مَا بَالُ الْحَائِضِ تَقْضِي الصَّوْمَ وَلَا تَقْضِي الصَّلَاةَ؟! فَقَالَتْ: أَحَرُورِيَّةٌ أَنْتِ؟ قُلْتُ: لَسْتُ بِحَرُورِيَّةٍ، وَلَكِنِّي أَسْأَلُ. قَالَتْ: كَانَ يُصِيبُنَا ذَلِكَ فَنُؤْمَرُ بِقَضَاءِ الصَّوْمِ وَلَا نُؤْمَرُ بِقَضَاءِ الصَّلَاةِ»(٢).

أيضًا فــي صحيح مســلم عَــنْ عَائِشَــةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَــالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نَاوِلِينِي الْخُمْرَةَ مِنَ الْمَسْجِدِ»، قَالَتْ فَقُلْتُ: إِنِّي حَائِضٌ، فَقَالَ: «إِنَّ حَيْضَتَكِ لَيْسَتْ فِي يَدِكِ»(٣).

ومهمٌّ أن تفرِّق المرأة بين دم الحيض والاستحاضة، نظرًا لاختلاف الأحكام المترتبة على الحيض، وعلى الاستحاضة، والتفريق يتم بالأوصاف وبغيرها، فدم الحيضة لونه أســود، ثخين، وكريه الرائحة، وقد يتحول إلى الصفــرة والكدرة، وقد يكون مخاطًا، يُعَاود المــرأة بصورة دورية في كل شهر هجري، وأما دم الاســتحاضة فأحمر قان، ليس كثيفًا، ولا رائحة له،

(١) رواه البخاري في الحيض، باب: لا تقضي الحائض الصلاة (ح:٣٢١)، ومســلم في الحيض، باب وجوب قضاء الصوم على الحائض (ح: ٣٣٥).

(٢) رواه مسلم في الحيض، باب وجوب قضاء الصوم على الحائض (ح: ٣٣٥).

(٣) رواه مســلم في الحيض، باب جواز غســل الحائض رأس زوجها وترجيله وطهارة سؤرها والاتكاء في حجرها وقراءة القرآن فيه (ح: ٢٩٨).

وليس له وقت معلوم[1].

وعن عَائِشَــةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا قالت: جــاءَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ أَبِــي حُبَيْشٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُــولَ اللَّهِ! إِنِّي امْرَأَةٌ أُسْــتَحَاضُ فَــلَا أَطْهُرُ، أَفَأَدَعُ الصَّلَاةَ؟ فَقَــالَ: «لَا، إِنَّمَا ذَلِكِ عِرْقٌ وَلَيْسَ بِحَيْضٍ، فَــإِذَا أَقْبَلَتْ حَيْضَتُكِ فَدَعِي الصَّلَاةَ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ فَاغْسِــلِي عَنْكِ الدَّمَ، ثُمَّ صَلِّي، ثُمَّ تَوَضَّئِي لِكُلِّ صَلَاةٍ حَتَّى يَجِيءَ ذَلِكَ الْوَقْتُ»[2].

وتذكر عائشــة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ اسْتُحِيضَتْ سَبْعَ سِنِينَ، فَسَأَلَتْ رَسُــولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ، فَأَمَرَهَا أَنْ تَغْتَسِــلَ، فَقَالَ: «هَذَا عِرْقٌ» فَكَانَتْ تَغْتَسِلُ لِكُلِّ صَلَاةٍ[3].

فدم الاستحاضة ينشأ عن مرض، وعن فساد، ويكون غالبًا من عِرْق في أدنى الرحم. وحكم المرأة المســتحاضة حكم الطاهرات في وجوب العبــادات، وصحة العبادات، ودم الاســتحاضة حــدث أصغر كالرّعاف الدائم، فلا تســقط بها الصّلاة، ولا تمنع صحّتها، ولا تحرّم الصّوم فرضًا أو نفلًا، ولا تمنع الجماع، ولا قراءة القرآن، ولا مسّ المصحف، ولا دخول

(١) انظر: الحاوي الكبير (١/ ٣٨٩)، والإقناع للحجاوي (١/ ٦٣).

(٢) رواه البخاري في الوضوء، باب غســل الدم (ح: ٢٢٨)، ومســلم في الحيض، باب المستحاضة وغسلها وصلاتها (ح: ٣٣٣).

(٣) رواه البخاري في الحيض، باب عرق الاستحاضة (ح: ٣٢٧)، ومسلم في الحيض، باب المستحاضة وغسلها وصلاتها (ح: ٣٣٤).

المسجد، ولا طوافًا إذا أمنت التّلويث.

أخيرًا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بحنكتها وفطنتها تنبه أن الحيض حالة طارئة تتسبّب الآلام، وتغير أمزجة النساء، ولذلك ينبغي للأزواج الترفق بهن، وإظهار المودة لهن، والاعتناء والعطف بهن، والشفقة عليهن أكثر في مثل هذه الحالات، ولذا صدعت بكل جرأة بكيفية تعامل النبي ﷺ معها أثناء حيضها، بأن تعامله ﷺ كان ممزوجًا بالحب بالمودة والشفقة، وخاصة في مثل أيام الحيض، فتقول: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَّكِئُ فِي حِجْرِي وَأَنَا حَائِضٌ فَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ»[1].

وفي موقف جميل، تقول عَائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كُنْتُ أَشْرَبُ وَأَنَا حَائِضٌ، ثُمَّ أُنَاوِلُهُ النَّبِيَّ ﷺ فَيَضَعُ فَاهُ عَلَى مَوْضِعِ فِيَّ، فَيَشْرَبُ، وَأَتَعَرَّقُ الْعَرْقَ (أي: أخذ اللحم بأسناني من على العظم[2]) وَأَنَا حَائِضٌ، ثُمَّ أُنَاوِلُهُ النَّبِيَّ فَيَضَعُ فَاهُ عَلَى مَوْضِعِ فِيَّ»[3].

كل هذا اللطف وعائشة حائض، مراعاة للظرف، فهكذا كان ﷺ مع أهله! يضعُ فمَه مكانَ فمِ عائشةَ في المأكلِ والمشربِ، يفعلُ ﷺ ذلك

(١) رواه البخاري في الحيض، باب قراءة الرجل في حجر امرأته وهي حائض (ح: ٢٩٧)، ومسلم في الحيض، باب جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله (ح: ٣٠١).

(٢) انظر: عون المعبود (١/ ٣٠٣).

(٣) رواه مسلم في الحيض، باب سؤر الحائض (ح: ٣٠٠).

وعائشةُ حائضٌ، لا شهوةً، وإنَّما إظهارًا للمودَّة والمحبَّة.

ولما أحبت عائشة أن تعتمر في حجتها التي حاضت فيها، قال لها ﷺ: «إِنَّكِ قَدْ قَضَيْتِ حَجَّتَـكِ وَعُمْرَتَكِ» إلا أنها أصرَّت على العمرة، فما كان منه ﷺ إلا أن وافقها تطييبًا لخاطرها، وأرسـل معهـا أخاها عبد الرحمن ليُعمرها من التنعيم(١). «كَانَ رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا سَهْلًا إِذَا هَوِيَتِ الشَّيْءَ تَابَعَهَا عَلَيْهِ»(٢).

وتمضي عائشة في تعليم النساء خصوصيات حياتها الزوجية؛ فتقول: «كُنْتُ أَغْتَسِـلُ أَنَا وَالنَّبِيُّ ﷺ مِنْ إِنَاءٍ وَاحِدٍ، مِنْ قَدَحٍ يُقَالُ لَهُ الفَرَقُ (٣)»(٤)، فعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لا تتحرج في نقل تلك الخصوصيات الشديدة؛ رغبة منها

(١) رواه مسـلم في الحج، باب بيان وجـوه الإحرام، وأنه يجوز إفـراد الحج والتمتع والقران، وجواز إدخال الحج على العمرة، ومتى يحل القارن من نسكه (ح: ١٢١٣).

(٢) رواه مسـلم في الحج، باب بيان وجـوه الإحرام، وأنه يجوز إفـراد الحج والتمتع والقـران، وجواز إدخـال الحج على العمـرة، ومتى يحل القارن من نسـكه (ح: ١٢١٣)، من قول جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) والفَرَق: مكيال كان معروفًا لديهم يسـع صاعين، والصاع يسـع أربع أمداد، والمد ملء كفي الرجـل المعتدل، ومقدار الصاع عند الحنفيـة (٥ , ٨١٢ × ٤) = ٣ , ٢٥ كيلـو جرام. وعند الجمهور (٥١٠ × ٤) = ٢ , ٠٢ كيلو جرام. انظر: الكوثر الجاري (١/ ٤١١)، والمكاييل والموازين الشرعية لعلي جمعة (ص: ٣٧).

(٤) رواه البخاري في الغسـل، باب غسـل الرجل مع امرأته (ح: ٢٥٠)، ومسـلم في الحيض، باب القدر المسـتحب من الماء في غسل الجنابة، وغسل الرجل والمرأة في إناء واحد في حالة واحدة، وغسل أحدهما بفضل الآخر (ح: ٣١٩/ ٤١).

في إظهار الودّ والحبّ والقرب وغيرها مـن المعاني العاطفية التي كانت تعيشها مع رسول الله ﷺ، وهي كذلك تُعلِّم الناس- رجالًا ونساءً- كيف تكون العلاقات بين الأزواج، وكيف تكون المودة والألفة قائمة بينهم سائر الأوقات.

السؤال التطبيقي:

كيف نستفيد من جرأة عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا في المسائل الخاصة كمسائل الزواج والحيض ونحوهما؟

الإجابة:

أولًا: لا حياء في السـؤال عن مسائل الدين، فعائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا كانت تحض النسـاء على السؤال عن أمور دينهن، فتقول عن نساء الأنصار مُثنيةً عليهن: «نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَـاءُ الْأَنْصَارِ، لَمْ يَكُنْ يَمْنَعُهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ»[1].

ثانيًا: عائشـة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا كان لها لسان سـؤول، حتى اشتهرت بذلك، يقول ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ: «أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ كَانَتْ لاَ تَسْمَعُ شَيْئًا لاَ تَعْرِفُهُ إِلَّا رَاجَعَتْ فِيهِ حَتَّى تَعْرِفَهُ»[2].

---

(١) رواه مسـلم في الحيض، باب استحباب اسـتعمال المغتسلة من الحيض فرصة من مسك في موضع الدم (ح: ٣٣٢).

(٢) رواه البخـاري في العلم، باب من سـمع شـيئا فلم يفهمه فراجع فيـه حتى يعرفه (ح:١٠٣).

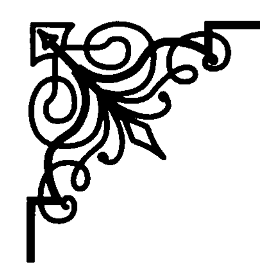
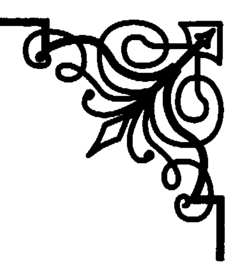
ثالثًا: ضرورة التوازن بين هذه الخصوصيات، وبين الحياء، فعائشــة التي حدثت بكل هذه الخصوصيات كما سمعتموها، كانت تقول لما دفن عمر بن الخطاب مع الرســول ﷺ وأبيها أبي بكــر في حجرتها: «ما زلت مشدودة عليَّ ثيابي حياءً من عمر»[1].

رابعًا: ضرورة تخريج عالمات وفقيهات بأن تتخصص بعض النساء فيما يخص بنات جنســهن من مسائل وخصوصيات، فالمرأة أفهم للمرأة، وأقدر على فهم مشــاعرها، ومــا يجول بخاطرها، وهــي أقل تحرجًا في بث شــكواها لامرأة مثلها، وهذا ثغر عظيم ينبغي الســعي لسد العجز فيه، بتشجيع النساء على التعلم والتفقه، وتيسير السبل لهن في ذلك.

خامسًــا وأخيــرًا: حب عائشــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا نفــع النــاس وخدمتهم، ومشاركتهم في همومهم الخاصة والعامة.

---

(١) رواه أحمــد (ح: ٢٥٦٦٠)، والحاكــم فــي المســتدرك (ح: ٤٤٠٢)، وقال: هذا حديث صحيح على شــرط الشيخين ولم يخرجاه. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٦): رجاله رجال الصحيح.

[٢٧]
عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا وحقوق المرأة

لنا في عائشــة أم المؤمنين -رضــوان الله عليها- القــدوة والمثل الأعلى في الصورة الرائعة التي قدَّمها الإســلام عــن المرأة المتميزة، فقد كانت مثالًا لريادة المرأة في التاريخ الإسلامي، ولا زالت إلى اليوم مصدر إلهام لكل امــرأة أرادت أن تكون عظيمة، عظيمة بدينهــا وثقافتها، فاعلة بعطائها ومشاركتها، حتى قيل: إن عائشة كانت رَجِلَةَ العرب[(١)].

عائشــة صاحبة الفضل على النســاء كلهن كما قال ﷺ: **«كَمُلَ مِنْ الرِّجَــالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنْ النِّسَــاءِ إِلَّا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَآسِــيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ»**[(٢)].

عائشة هي نصيرة النســاء الأولى، هي صاحبة المواقف التي تناصر

---

(١) انظر: الإمتاع والمؤانسة (ص: ٣٩٩).

(٢) رواه البخاري فــي أحاديث الأنبياء، بــاب قول الله تعالــى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ﴾[التحريم:١١] إلى قوله: ﴿وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ١٢﴾ [التحريــم: ١٢] (ح: ٣٤١١)، ومســلم فــي فضائــل الصحابة، بــاب فضائل خديجة أم المؤمنين رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا (ح: ٢٤٣١).

قضايا المرأة وحقوقها الشـرعية، فهي من كانت تـروي تفاصيل ودقائق الحياة الزوجية للنبي ﷺ في بيته، وأسـرار العلاقـة الزوجية التي لم تعد أسـرارًا؛ لكونه قدوة للمسـلمين، فكانت صفحة نقية مكشوفة لكل أحد بأمـر السـماء: ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ﴾ [الأحزاب: ٣٤][1].

برزت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا لتكون وجهًا نسائيًّا يؤسس المجتمع الجديد الذي أخذ في التحول من الطابع الجاهلي إلى الفضاء الإسلامي والإنساني الممتد إلى قيام الساعة، فجدَّت واجتهدت حتى أصبحت مرجعًا في العلم، يَرجع إليها المشيخة من كبار علماء الصحابة.

وعندما تنتصر عائشـة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا لحقوق المرأة؛ لأنها تُدرك تمامًا أن المرأة وحقوقها وقضاياها لم تكن مشكلة في الإسلام أبدًا، بل الإسلام هو الذي حرر المرأة من قيود الجاهلية ومن قيود الأديان والعادات السـابقة، لكن المشـكلة فـي المفاهيم والآراء التي تحاول أن تسـتجر الإسـلام لاسـتنتاجاتها، أو تتبع المتشـابهات، والنصوص المشـكلة في مفاهيم البعض، وليـس في أصل النصـوص، ومن ذلك مسـائل وقضايا المرأة والنصوص الواردة فيها، والعجب ممن تعمد إثارة الشبهات حول نصوص الإسلام في بعض مسائل المرأة، مع أن في كتب النصارى المقدسة ما يؤكد أن المرأة كلها سبب الإغواء، وسـبب كل خطيئة، بل في كتب اليهود: أن

(١) ينظر تفسير الآية في تفسير القرطبي (١٤/ ١٨٤).

المرأة الحائض كل ما مســها أو مسته يكون نجسًا لا بد أن يُغسل..إلخ[1]، فأين الإنصاف عند الاختلاف؟!

لذا فإن عائشــة أم المؤمنين ضربت أمثلة رائعة في بيان حكم الشرع الحنيف خاصة تجاه بنات جنســها، لتجعل الشعار قول حبيبها ﷺ: «إنما النســاء شــقائق الرجال»[2]، وقول الحق الذي لا يحابي أحدًا على أحد: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل: ٩٧].

ذات مرة جاءت لعائشــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا امرأة وَعَلَيْهَا خِمَارٌ أَخْضَرُ، شَكَتْ إِلَيْهَا زوجَها، وَأَرَتْهَا خُضْرَةً بِجِلْدِهَا، فَلَمَّا جَاءَ رَسُــولُ اللَّهِ ﷺ -والنســاء ينصــر بعضهن بعضًا- قَالَتْ عَائِشَــةُ: «مَا رَأَيْتُ مِثْلَ مَــا يَلْقَى الْمُؤْمِنَاتُ، لَجِلْدُهَا أَشَدُّ خُضْرَةً مِنْ ثَوْبِهَا»[3].

فهي هنا تَنقل الشكوى لرسول الله ﷺ، وتدافع وتطالب بحق هؤلاء النسوة وأمثالهن، ثم أعلنت منهج الحبيب ﷺ: «ما ضرب رسول الله شيئًا قط ولا امرأةً ولا خادمًا إلا في الجهاد»[4].

---

(١) انظر: التوراة، سفر اللاويين (الإصحاح ١٥-١٩).

(٢) رواه أبو داود في الطهارة، باب في الرجل يجد البلة في منامه(ح: ٢٣٦)، والترمذي في الطهارة، باب فيمن يسـتيقظ فيرى بللًا ولا يذكر احتلامًا (ح: ١١٣)، وصححه الألباني.

(٣) رواه البخاري في اللباس، باب ثياب الخضر (ح: ٥٨٢٥).

(٤) رواه مســلم في الفضائل، بــاب مباعدته ﷺ للآثام واختياره من المباح، أســهله =

وكان ﷺ يقول: «**شـــكى لآل محمد نســـاءٌ ضـــربَ أزواجهن لهن، ليـــس أولئك بخياركم**»[١]، و«حرّج ﷺ على الرجال حق الضعفين: المرأة واليتيم»[٢].

لقد كانت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ســفيرة النســـاء عند رســـول اللـــه ﷺ، توصل معاناتهن وتضحياتهن لرســـول الله ﷺ، وقد تدخل كوســـيطة بينهن وبين رسول الله ﷺ؛ لتشرح لهن ما يخفى عليهن من قوله، والشواهد كثيرة:

ففي نقل معاناتهن: تقول عائشـــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **جَاءَتْنِي امْرَأَةٌ مَعَهَا ابْنَتَانِ تَسْأَلُنِي، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي غَيْرَ تَمْرَةٍ وَاحِدَةٍ، فَأَعْطَيْتُهَا فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا، ثُمَّ قَامَتْ فَخَرَجَتْ، فَدَخَـــلَ النَّبِيُّ ﷺ فَحَدَّثْتُهُ، فَقَالَ: «مَنْ يَلِي مِنْ هَذِهِ البَنَاتِ شَيْئًا، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ، كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ»**[٣].

كانـــت تحمل هموم النســـاء وتســـاعدهن، حتى ولو فـــي أمورهن الخاصة، بتوضيح وبيان، أو نقل أمرهن ومعاناتهن، تقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا جاءت امْرَأَة وَاســـمها: أَسْـــمَاء بِنْت شَكَلٍ، **فَسَـــأَلَتْ النَّبِيَّ عَنْ غُسْلِهَا مِنْ الْمَحِيضِ، فَأَمَرَهَا كَيْفَ تَغْتَسِـــلُ** وبين لها، قَالَ: «**خُذِي فِرْصَةً مِنْ مَسْـــكٍ**

= وانتقامه لله عند انتهاك حرماته (ح: ٢٣٢٨).

(١) رواه أبو داود في النكاح، باب في ضرب النساء (ح: ٢١٤٦)، وصححه الألباني.

(٢) رواه ابن ماجه فـــي الأدب، باب حق اليتيم (ح: ٣٦٧٨)، قال البوصيري في مصباح الزجاجة (٤/ ١٠٣): هذا إسناد صحيح رجاله ثقات.

(٣) رواه البخاري في الزكاة، باب اتقوا النار ولو بشق تمرة والقليل من الصدقة (ح:١٤١٨)، ومسلم في البر والصلة والآداب، باب فضل الإحسان إلى البنات (ح:٢٦٢٩).

فَتَطَهَّرِي بِهَا» (أي: قطـــن)، قَالَتْ: كَيْفَ أَتَطَهَّرُ؟ قَالَ: (تَطَهَّرِي بِهَا) قَالَتْ: كَيْفَ؟ قَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ تَطَهَّرِي؟!»، تقول عائشة: فَاجْتَبَذْتُهَا إِلَيَّ؛ فَقُلْتُ: تَتَبَّعِي بِهَا أَثَرَ الدَّمِ (١).

ثم هي تُكثر سؤال رسول الله ﷺ عن قضايا المرأة، وكل ما يرفع من شأنها، ويعزز مكانتها عند ربها، كقولها: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَرَى الجِهَادَ أَفْضَلَ العَمَلِ، أَفَلاَ نُجَاهِدُ؟ قَالَ: «لاَ، لَكِنَّ أَفْضَلَ الجِهَادِ حَجٌّ مَبْرُورٌ»(٢).

وقـــد وقفت وبقوة أمام كل قول يُحاول المســـاس بحق المرأة، مما لا ينســـجم مع عظمة التشـــريع الحنيف، فغضبت مرة غضبًا شـــديدًا على أبي هريـــرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو يُحَـــدِّثُ أن النَّبِي ﷺ قَـــالَ: «الطِّيَرَةُ مِـــنْ الدَّارِ، وَالْمَرْأَةِ، وَالْفَرَسِ» فأجابت قائلة: «وَالَّذِي أَنْزَلَ الْفُرْقَانَ عَلَى مُحَمَّدٍ مَا قَالَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَطُّ، إِنَّمَا قَالَ: «كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَتَطَيَّرُونَ مِنْ ذَلِكَ»»(٣).

ويقول مَسْـــرُوق: «تَذَاكَرُوا عِنْدَ عَائِشَـــةَ، مَا يَقْطَعُ الصَّـــلَاةَ، فَقَالُوا: يَقْطَعُ الصَّلَاةَ، الْكَلْبُ، وَالْحِمَارُ، وَالْمَرْأَةُ. فَقَالَتْ عَائِشَـــةُ: «لَقَدْ عَدَلْتُمُونَا بِالْكِلَابِ وَالْحَمِيرِ، وَقَدْ كَانَ رَسُـــولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي إِلَى وَسَطِ السَّرِيرِ وَأَنَا

(١) رواه البخاري في الحيض باب دلك المرأة نفســـها إذا تطهرت من المحيض، وكيف تغتســـل، وتأخذ فرصة ممسكة، فتتبع أثر الدم (ح: ٣١٤)، ومسلم في الحيض، باب استحباب استعمال المغتسلة من الحيض فرصة (ح: ٣٣٢).

(٢) رواه البخاري في الحج، باب فضل الحج المبرور (ح: ١٥٢٠).

(٣) رواه أحمد (ح: ٢٦٠٣٤).

عَلَيْهِ مُضْطَجِعَةٌ، وَالسَّرِيرُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ، فَتَبْدُو لِي الْحَاجَةُ فَأَكْرَهُ أَنْ أَجْلِسَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَأُوذِيهُ، فَأَنْسَلُّ مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْهِ انْسِلَالًا»[1].

هذا الحديث حوله إشكالات من حق كل مسلم ومسلمة السؤال عنها، وإيضاح المعنى له، لكن أيضًا هناك من يستجرها للتشويش أو التحريض، ولعلي أكون مضطرًا هنا للبيان، وباختصار شديد، وبنقاط سريعة:

أولًا: نؤكـــد ثبـــوت الحديث وصحتـــه، فيكفي أنه فـــي الصحيح، كما نؤكـــد أن الباحث بإنصاف لن يجد دينًا اعتنى بتكريم المرأة واحترامها كالإسلام، إي والله!

ثانيًا: مهمّ جدًّا أن نعلم أن كلام عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لا يعارض به السنة، بل الســـنة مقدمة على رأي عائشـــة ورأي غيرها، وهذه قاعدة معلومة عند أئمة الأصول ومصطلح الحديث.

ثالثًا: ليس في ألفاظ روايات الحديث أن عائشـــة أنكرت الحديث، أو غضبت.

رابعًـــا: قول عائشـــة: «عدلتمونا بالكلاب والحميـــر»، يُحمل على الحكم الفقهي بدليل أنها أوردت أن «رَسُـــول اللهِ ﷺ يُصَلِّي إِلَى وَسَـــطِ

(١) رواه أحمـــد (ح: ٢٥٩٢٩)، والحديث أصله عند البخاري في الصلاة، باب الصلاة إلى الســـرير (ح: ٥٠٨)، ومســـلم في الصلاة، باب الاعتراض بيـــن يدي المصلي (ح:٥١٢).

السَّرِيرِ وَأَنَا عَلَيْهِ مُضْطَجِعَةٌ..».

الشبهة إذًا: في قطع الصلاة، وليس المساواة في القيمة والقدر، وهذا هو الصواب، لأن الشبهة في قطع الصلاة لا تعني المساواة في القيمة، لو قلنا: وصل الحمار والرجل، هل يعني أن الرجل مساويًا للحمار بالقيمة، أم في الحضور؟!، ولو قلنا: إن الحيوان والإنسان يحتاجان للغذاء، هل الحيوان هنا مساوٍ للإنسان بالقيمة والقدر، أم بالحاجة للغذاء، بمثل هذا نفهم مقصود الحديث الصحيح: «يَقْطَعُ الصَّلَاةَ: الْكَلْبُ وَالْحِمَارُ وَالْمَرْأَةُ»[1]، المقصود أنهم يتساوون في حكم قطع الصلاة، وليس في القدر والقيمة، فهذا لا يقول به إلا جاهل، أو متربص، مع أن المساواة فيها كلام للفقهاء.

خامسًا: استغراب عائشة أجاب عليه الإمام الحافظ العراقي -رحمه الله- بكلام جميل، يقول: «إن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا لم تُنكر ورود الحديث، ولم تكن لتكذب أبا هريرة وأبا ذر، (وهما الراويان للحديث)، وإنما أنكرت كون الحكم باقيًا هكذا، فلعلها كانت ترى نسخه بحديثها الذي ذكرته، أو كانت تحمل قطع الصلاة على محمل غير البطلان»[2].

سادسًا وأخيرًا: في هذا الحديث الفصل في الحكم الفقهي؛ هل فعلًا يقطع الصلاة، أو فقط يُنقص الصلاة، أو هو منسوخ بحديث عائشة الذي ذكرته، هذه مسألة فيها آراء فقهية ليس هذا مكانها.

---

(١) رواه مسلم في الصلاة، باب قدر ما يستر المصلي (ح: ٥١١).

(٢) طرح التثريب في شرح التقريب (٢/ ٣٩٤).

أرجع لعائشـــة وحقوق المرأة، فقد كانت تبذل جاهها ومكانتها، بل ومالها لإعانة المســتضعفات والمحتاجات، فعندمــا كاتبت بريرة أهلها، توجهت إلى عائشة مستعينة بها لدفع ما بقي عليها من مال المكاتبة، قَالَتْ عائشـــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «دَخَلَتْ عَلَيَّ بَرِيرَةُ، فَقَالَتْ: إِنَّ أَهْلِي كَاتَبُونِي عَلَى تِسْعِ أَوَاقٍ فِي تِسْـعِ سِنِينَ فِي كُلِّ سَنَةٍ أُوقِيَّةٌ، فَأَعِينِينِي. فَقُلْتُ لَهَا: إِنْ شَاءَ أَهْلُكِ أَنْ أَعُدَّهَــا لَهُمْ عَدَّةً وَاحِــدَةً وَأُعْتِقَكِ وَيَكُونَ الْوَلَاءُ لِــي، فَعَلْتُ، فَذَكَرَتْ ذَلِــكَ لِأَهْلِهَا، فَأَبَوْا إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْوَلَاءُ لَهُــمْ، فَأَتَتْنِي فَذَكَرَتْ ذَلِكَ، قَالَتْ: فَانْتَهَرْتُهَا،فَقَالَتْ:لَا هَا اللَّهِ إِذًا. قَالَتْ: فَسَــمِعَ رَسُــولُ اللَّهِ ﷺ فَسَــأَلَنِي، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: «اشْــتَرِيهَا وَأَعْتِقِيهَا، وَاشْــتَرِطِي لَهُمُ الْــوَلَاءَ، فَإِنَّ الْوَلَاءَ لِمَنْ أَعْتَقَ» فَفَعَلْتُ. قَالَتْ: ثُمَّ خَطَبَ رَسُــولُ اللَّهِ ﷺ، (لاحظوا: فالقضية تحولــت الآن من مجرد حادثــة بريرة إلى قضية عامــة) فقام وخَطَبَ ﷺ عَشِــيَّةً، فَحَمِدَ اللَّــهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُــوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّــا بَعْدُ: فَمَا بَالُ أَقْوَامٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا لَيْسَــتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ؟! مَا كَانَ مِنْ شَرْطٍ لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ -عَزَّ وَجَــلَّ-، فَهُوَ بَاطِلٌ، وَإِنْ كَانَ مِائَةَ شَــرْطٍ كِتَابُ اللَّهِ أَحَقُّ وَشَــرْطُ اللَّهِ أَوْثَقُ، مَا بَالُ رِجَالٍ مِنْكُمْ يَقُولُ أَحَدُهُمْ أَعْتِقْ فُلَانًا وَالْوَلَاءُ لِي إِنَّمَا الْوَلَاءُ لِمَنْ أَعْتَقَ»[1].

وغير هذا كثير في نصرة عائشـــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا للنســاء، ووقوفها معهن، والــذب والدفاع عن كرامتهن، بل إنها ما إن تســمع بأمر يتعلق بالنســاء،

(١) رواه البخاري في الشروط، باب الشروط في الولاء (ح: ٢٧٢٩)، ومسلم في العتق، باب إنما الولاء لمن أعتق (ح: ١٥٠٤).

إلا وتســأل عنه، وتوجه فيه، وترده لشــرع الله، نصرةً لهن، وإرشادًا لهن للحق، فهذا رجل مِنْ كِنْدَةَ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَــةَ وَبَيْنِي وَبَيْنَهَا حِجَابٌ قَالَتْ: مِمَّن أَنتَ؟ فَقُلْتُ: مِنْ كِنْدَةَ. فَقَالَتْ: مِنْ أَيِّ الْأَجْنَادِ أَنْتَ؟ قُلْتُ: مِنْ أَهْلِ حِمْصٍ. قَالَتْ: مِنْ أَهْلِ حِمْصٍ الَّذِينَ يُدْخِلُونَ نِسَــاءَهُمُ الْحَمَّامَاتِ؟ فَقُلْتُ: إِي وَاللَّهِ إِنَّهُنَّ لَيَفْعَلْنَ ذَلِكَ، فَقَالَتْ: إِنَّ الْمَرْأَةَ الْمُسْلِمَةَ إِذَا وَضَعَت ثيابها في غير بيت زوجها فقد هتكت ســترًا فيمــا بينها وبين ربها، فإن كن قد اجترين علــى ذلك، فليعتمد إحداهن إلى ثوب عريض واســع يواري جسدها كله لا تنطلق أخرى فتصفها لحبيب أو بغيض»[1].

لله درك يا بنت الصديق حكمة وعقل!

السؤال التطبيقي:

ما هي أســس ومنطلقات عائشــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في الدفــاع، أو المطالبة بحقوق المرأة؟

الإجابة:

أولًا: كان منطلق عائشة الأول الأمر القرآني لها ولأمهات المؤمنين معها: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤].

ثانيًا: حرصها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا على نقل قضايا ومشاكل النساء للرسول ﷺ،

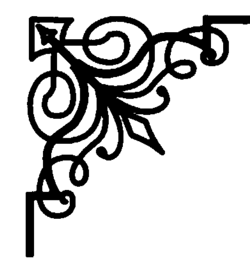
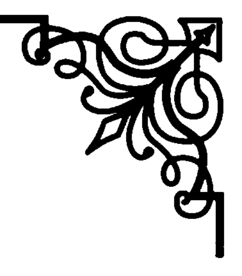
(١) رواه عبد الرزاق في مصنفه (ح: ١١٣١).

وبيان الأمر له، خاصة في أمورهن عند الحاجة.

ثالثـــا: إدراكها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لحداثة عهـــد الرجـــال بالجاهلية، وأهمية تبصيرهـــم بأحكام وتوجيهات الإســـلام في حقوق النســـاء، وفصلها عن العادات الجاهلية المخالفة للشرع.

رابعًا: معايشتها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لواقع النســـاء، وقربها منهن، وسؤالها عن أحوالهن، مع اتقاد فطنتها، وسعة علمها، واستقلالها ببعض آرائها الفقهية، خاصة في مسائل النساء.

خامسًا وأخيرًا: استشعارها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا المســـئولية تجاه دينها، وبنات جنسها، والعمل بكل جد وتفاعل وإيجابية.

[٢٨]

فضائل عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا

لعائشـــة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا فضائل كثيـــرة، بل كل ما ســـبق أن تحدثنا به عنها هي فضائل ومناقـــب لهذه المرأة التي تربعت على عـــرش العفّة والطهر، وتمكنت من ســـويداء القلوب، ولا عجب فقد أحبَّها خير البشـــر، يكفي أن نحبها لحب الحبيب ﷺ لهـــا، كيف وقد حازت المجد من كل أطرافه، وجمعت الفضائل من كل جوانبها.

ولعلي ألخص فيما يلي هذه الفضائل التي ورد في النص الشـــرعي الصحيح الصريح:

روى عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُـــولَ اللَّهِ ﷺ اسْـــتَعْمَلَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السُّلَاسِـــلِ، قَالَ: فَأَتَيْتُهُ؛ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «**عَائِشَةُ**» قُلْتُ: مِنْ الرِّجَالِ؟ قَالَ: «**أَبُوهَا**»(١).

---

(١) رواه البخاري في أصحاب النبـــي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: «**لو كنت متخذا خليلًا**» (ح: ٣٦٦٢)، ومســـلم في فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل أبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ح: ٢٣٨٤).

قال الذهبي - عقب هذا النص -: «وهذا خبر ثابت على رغم أنوف الروافض، وما كان ﷺ ليحبَّ إلا طَيِّبًا[1]».

فهذا نصٌّ في حبِّه ﷺ لها، وشــهد لهذا الحــبّ ولهذه الكرامة كبار الصحابة، لقد أصبح حبُّه ﷺ لعائشة أمرًا مستفيضًا، حتى صار الناس يتحرّون بهداياهــم يومها تقربًا إلى مرضاته ﷺ، بل قال لابنته فاطمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «أَيْ بُنَيَّةُ! أَلَسْتِ تُحِبِّينَ مَا أُحِبُّ؟»؛ قَالَتْ: بَلَى. قَالَ: «فَأَحِبِّي هَذِهِ»[2].

إذًا فعائشة أَحَب الناس لرسول الله ﷺ، وأعظم بها من منقبة وفضيلة!

ومــن فضائلها: تزكية النبي ﷺ لها، فقال: «كَمَــلَ مِنْ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنْ النِّسَــاءِ إِلَّا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَآسِــيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ»[3].

والثريــد: الخبز المفتَّت في مرق اللحم، وهو طعام ســريع الهضم، كثير النفع، المعنى: أنَّ فَضْل عَائِشَة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عَلَى النِّسَاء زَائِد كَزِيَادَةِ فَضْل

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٤٢).

(٢) رواه البخــاري في بــاب من أهدى إلــى صاحبه وتحرى بعض نســائه دون بعض (ح:٢٥٨١)، ومســلم في فضائل الصحابة رضي الله تعالــى عنهم، باب في فضل عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا (ح: ٢٤٢٤).

(٣) رواه البخــاري في أصحــاب النبي ﷺ، باب فضل عائشــة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا (ح: ٣٧٦٩)، ومسلم في فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رَضِيَ اللهُ عَنْهَا (ح: ٢٤٣١).

الثَّرِيد عَلَـى غَيْرِه مِنْ الْأَطْعِمَة[1]؛ لأنّها أُعطيت العلم والإيمان، وحُسْـن الخُلُق والخَلْق، وحلاوة النطق، وفصاحة اللهجة، وجودة القريحة، ورزانة الرأي، ورصانة العقل.

ومن **فضائلها** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أنها كانت تقول: «أُعْطِيتُ تِسْـعًا مَا أُعْطِيَتْهَا امْـرَأَةٌ إِلَّا مَرْيَمَ بِنْتَ عِمْرَانَ: لَقَدْ نَزَلَ جِبْرِيـلُ بِصُورَتِي فِي رَاحَتِهِ حَتَّى أَمَرَ رَسُـولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَتَزَوَّجَنِي، وَلَقَدْ تَزَوَّجَنِي بِكْرًا وَمَا تَـزَوَّجَ بِكْرًا غَيْرِي، وَلَقَدْ قُبِضَ وَرَأْسُهُ لَفِي حِجْرِي، وَلَقَدْ قَبَّرْتُهُ فِي بَيْتِي، وَلَقَدْ حَفَّتِ الْمَلَائِكَةُ بَيْتِي، وَإِنْ كَانَ الْوَحْـيُ لَيَنْزِلُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي أَهْلِـهِ فَيَتَفَرَّقُونَ عَنْهُ، وَإِنْ كَانَ لَيَنْزِلُ عَلَيْـهِ وَأَنِّي لَمَعَهُ فِي لِحَافِهِ، وَإِنِّي لَابْنَـةُ خَلِيفَتِهِ وَصَدِيقِهِ، وَلَقَدْ نَزَلَ عُذْرِي مِنَ السَّـمَاءِ، وَلَقَدْ خُلِقْتُ طَيِّبَةً وَعِنْدَ طَيِّبٍ، وَلَقَـدْ وُعِدْتُ مَغْفِرَةً وَرِزْقًا كَرِيمًا»[2].

فها هي عائشـة الصديقة تعددُ فضائلها التي اختصها الله بها من دون النسـاء، وإن المرء ليندهش من اجتماع تلك المناقب كلها لامرأة واحدة، وإن واحدة من تلك المناقب حَريةٌ بجعلها من النساء المتميزات، عظيمات الفضل، شديدات الخصوصية، فكيف وقد اجتمعن لها؟!

وعائشة زوجة نَبيّنا ﷺ في الدّنيا والآخرة؛ لقوله ﷺ: «أَنَّ جِبْرِيلَ جَاءَ

(١) انظر: شرح النووي على مسلم (١٥/ ١٩٩).
(٢) رواه أبو يعلى في مسـنده (٤٦٢٦)، قال الذهبي في سـير أعلام النبلاء (٢/ ١٤١): إسناده جيد.

بِصُورَتِهَا فِي خِرْقَةِ حَرِيرٍ خَضْرَاءَ إِلَى النَّبِيِّ؛ فَقَالَ: إِنَّ هَذِهِ زَوْجَتُكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»[1].

وهـــذا يقتضي أن تكون معه فـــي الجنّة، وأي فضـــل أعظم من هذا الفضل؟! وهل أسمى مكانة من أن يكون المرء مع رسول ﷺ وفي الجنة؟! يقول ﷺ لعائشة: «أُرِيتُكِ فِي الْمَنَامِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، جَاءَنِي بِكِ الْمَلَكُ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ (أي: قطعة من حرير) فَيَقُولُ: هَذِهِ امْرَأَتُكَ، فَأَكْشِفُ عَنْ وَجْهِكِ، فَإِذَا أَنْتِ هِيَ؛ فَأَقُولُ: إِنْ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمْضِهِ»[2].

وهي منقبة كبيرة لعائشـــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وقد كانت تفتخر وتعتزُّ بها؛ ذلك أنّ الله تعالى اختارها لرسوله ﷺ، وحُقّ والله لعائشة أن تفتخر بهذا.

وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كانت سبب نزُوْل آية التّيمّم، لمَّا ضاع عقدها حين حُبِس رســـولُ الله ﷺ وليســـوا على ماءٍ، وليس معهم ماء؛ فقام ﷺ حِينَ أَصْبَحَ عَلَى غَيْرِ مَاءٍ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ التَّيَمُّمِ فتيَمَّمُوا؛ فَقَالَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ: مَا هِيَ بِأَوَّلِ بَرَكَتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ[3].

وفي روايـــة: قال لها: جَزَاكِ اللَّهُ خَيْـرًا، فَوَاللَّهِ مَا نَـزَلَ بِكِ أَمْرٌ قَطُّ

(١) رواه الترمذي في المناقب عن رســـول الله ﷺ، باب من فضل عائشة (ح: ٣٨٨٠)، وصححه الألباني.

(٢) رواه البخاري في التعبيـــر، باب ثياب الحرير في المنام (ح: ٧٠١٢)، ومســـلم في فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب في فضل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ح: ٢٤٣٨).

(٣) رواه البخاري في التيمم (ح:٣٣٤)، ومسلم في الحيض، باب التيمم (ح: ٣٦٧).

إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ لَكِ مِنْهُ مَخْرَجًا، وَجَعَلَ لِلْمُسْلِمِينَ فِيهِ بَرَكَة[١].

وهي -أيضًا- سبب نزول آيات جلد القاذف، وصار باب القذف وحده بَابًا عظيمًا من أبواب الشّريعة، وسببه قصّتها في حادثة الإفك.

ومن فضائلها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ لَهَا: «يَا عَائِشَةُ هَذَا جِبْرِيلُ يَقْرَأُ عَلَيْكِ السَّلاَمَ»، فَقَالَتْ: وَعَلَيْهِ السَّلاَمُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، تَرَى مَا لاَ أَرَى يا رسولَ اللهِ»[٢].

ولم ينزل الوحي على رسول الله ﷺ وهو في لحاف امرأة من نسائه غير عائشة، كما قال ﷺ: «يَا أُمَّ سَلَمَةَ لَا تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ، فَإِنَّهُ وَاللَّهِ مَا نَزَلَ عَلَيَّ الْوَحْيُ وَأَنَا فِي لِحَافِ امْرَأَةٍ مِنْكُنَّ غَيْرِهَا»[٣].

يقول الذهبي: «وهذا الجواب منه دالٌّ على أن فضل عائشة على سائر أمهات المؤمنين بأمر إلهي وراء حبه لها، وأن ذلك الأمر من أسباب حبه ﷺ لها»[٤].

ومن فضائلها أيضًا: اختياره ﷺ أَنْ يُمَرَّض في بيتها، وموته ﷺ بين

(١) رواه البخاري في أصحاب النبي ﷺ، باب فضل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ح: ٣٧٧٣)، ومسلم في الحيض، باب التيمم (ح: ٣٦٧).

(٢) رواه البخاري في بدء الخلق، باب ذكر الملائكة(ح: ٣٢١٧)، ومسلم في فضائل الصحابة باب في فضل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ح: ٢٤٤٧).

(٣) رواه البخاري في أصحاب النبي ﷺ، باب فضل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٤) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٤٣).

ســـحرها ونحرها، ودفنه في بيتها، وببقعة هي أفضل بقاع الأرض بإجماع الأمّة.

ومن فضائل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أنها خُيِّرت واختارت الله ورسوله ﷺ دون تردد، لَمَّا أُمِرَ رَسُـــولُ اللَّهِ ﷺ بِتَخْيِيرِ أَزْوَاجِهِ؛ عند نزول قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢٨-٢٩] بَدَأَ بعائشة؛ قَالَ: «إِنِّي ذَاكِرٌ لَكِ أَمْرًا فَلَا عَلَيْكِ أَنْ لَا تَعْجَلِي حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكِ». تقول عائشـــة: خشي ﷺ حداثة سني، وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ أَبَوَيَّ لَمْ يَكُونَا يَأْمُرَانِـــي بِفِرَاقِهِ. قَالَتْ: فَقُلْتُ فَفِي أَيِّ هَذَا أَسْـــتَأْمِرُ أَبَـــوَيَّ، فَإِنِّي أُرِيدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ. قَالَتْ: ثُمَّ فَعَلَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَ مَا فَعَلْتُ»[1].

ولا شك هذا فيه بيان فضل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ لأنه بدأ بها، وهي منقبة عظيمـــة لها، وبيان كمال عقلها، وصحّة رأيها مع صغر ســـنّها، بادرت إِلَى الْخَيْر، وإلى إِيثَار أُمُور الْآخِرَة عَلَى الدُّنْيَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرضاها.

ومن فضائل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: شهادة الله لها بالعفة والطهارة، ونزول براءتها مِن السّماء مما نسبه إليها أهل الإفك.

---

(١) رواه البخاري في المظالم والغصب، باب الغرفة والعلية المشرفة وغير المشرفة في السطوح وغيرها(ح: ٢٤٦٨)، ومسلم في الطلاق، باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقًا إلا بالنية (ح: ١٤٧٥).

يقول عروة بن الزبير: «ولو لم يكن لعائشة من الفضائل إلا قصة الإفك لكفى بها فضلًا، وعلوَّ مجد؛ فإنه نزل فيها من القرآن ما يُتلى إلى يوم القيامة»(١).

كانت رَضِيَ اللهُ عَنْهَا تقول: «وَلَشَأْنِي كَانَ أَحْقَرَ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ عز وجل فِيَّ بِأَمْرٍ يُتْلَى، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللَّهُ بِهَا»(٢).

ولهذا سما ذكرها، وعلا شأنها؛ لتسمع عفافها وهي في صباها، ولتسمع الدنيا كلها إلى قيام الساعة أنها ملكة الطهر والعفاف، فقد شهد الله لها بأنها من الطيّبات، ووعدها بمغفرة ورزق كريم.

ولذلك اتّفق الفقهاء على أنّ من قذف عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فَقَدْ كَذَّبَ صريح القرآن الّذي نزل بحقّها، وأنكر شيئًا تواتر في الكتاب، وفي سنة رسوله ﷺ(٣).

يقول الزَّمَخْشَرِيّ: «وَلَوْ فَلَّيْتَ الْقُرْآنَ، وَفَتَّشْتَ عَمَّا أَوْعَدَ بِهِ الْعُصَاةَ

(١) أسد الغابة (٧/ ١٨٦).

(٢) رواه البخاري في المغازي (ح: ٤١٤١)، ومسلم في التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف (ح: ٢٧٧٠).

(٣) انظر: حاشية ابن عابدين (٤/ ٢٣٧)، والصارم المسلول (ص:٥٧١)، والموسوعة الفقهية الكويتية (٢٢/ ١٨٥، ٣٣/ ٢٢).

لَمْ تَرَ اللهَ -عز وجل- قَدْ غَلَّظَ فِي شَيْءٍ تَغْلِيْظَهُ فِي إِفْكِ عَائِشَةَ»[1].

ومن فضائل عائشـــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: دعاؤه ﷺ لَهَا، بقولـــه: «اللهم اِغْفِرْ لعائشة مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهَا ومَا تَأَخرَ، ومَا أَسَرَّتْ ومَا أَعْلَنَتْ»، ضَحِكَتْ عائشة حتى ســقط رأسها في حِجْرِهَا من الضَّحِكِ، فقال رسول الله ﷺ: «أَيَسُرُّكِ دُعَائِي؟» فقالت: وما لي لا يســرّني دعاؤك يا رسول الله؟ قال: «والله إِنَّهَا لَدَعْوَتِي لأُمَّتِي في كُلِّ صَلاةٍ»[2].

نســأل الله الكريم من فضله، وحق لعائشة أن تفرح بهذا الدعاء هذا الفرح، فهي أمنية لكل مسلم.

ودخل حبر الأمة ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا على عائشـــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في أثناء مرض وفاتها، وقال لها معدِّدًا فضائلها: «كُنْتِ أَحَبَّ نِسَـاءِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ إِلَيْهِ، وَلَمْ يَكُنْ يُحِبُّ إِلاَّ طَيِّبًا، وسَـــقَطَتْ قِلاَدَتُكِ لَيْلَـــةَ الأَبْوَاءِ[3]، وَأَصْبَحَ رَسُــوْلُ اللهِ ﷺ لِيَلْقُطَهَـــا، فَأَصْبَحَ النَّاسُ لَيْــسَ مَعَهُمْ مَــاءٌ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ [النساء: ٤٣]، فَكَانَ ذَلِكَ مِنْ سَبَبِكِ، وَمَا أَنْزَلَ اللهُ

(١) الكشاف (٣/ ٢٢٧).

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه (ح:٧١١١)، وأورده الألباني في الصحيحة (ح:٢٢٥٤).

(٣) ليلة الأبواء يعني: في صفر سنة اثنتين من الهجرة. التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٥/ ١٥٣).

والأبواء: واد من أودية الحجاز، به آبار كثيــرة ومزارع عامرة والمكان المزروع منه يسمى اليوم «الخريبة». والمسافة بين الأبواء و«رابغ» ٤٣ كيلًا. انظر: المعالم الأثيرة في السنة والسيرة (ص: ١٧). وانظر: فتح الباري (١/ ٤٣٢).

بِهَــذِهِ الأُمَّةِ مِنَ الرُّخْصَةِ، ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ بَرَاءتَكِ مِنْ فَوْقِ سَــبْعِ سَــمَاوَاتٍ، فَأَصْبَحَ لَيْسَ مَسْجِدٌ مِنْ مَسَاجِدَ يُذْكَرُ فِيْهَا اللهُ إِلاَّ بَرَاءتُكِ تُتْلَى فِيْهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ (يريد ابن عباس طمأنتها بحسن خاتمتها).

قَالَتْ عائشة: دَعْنِي عَنْكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، ووَاللهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا»[1].

ومن فضائلها رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا أيضًا أنها نالــت كلَّ هذه الفضائل وكل هذه المناقب، وعمرها كان ثمانية عشــر عامًا عند وفــاة النبي ﷺ، صغيرة في عمرهــا، كبيرة في فضلها، عظيمة في ســيرتها، وتفاصيــل حياتها، قدوة لكل مسلم ومســلمة، أنموذج إيماني وتربوي وإبداعي لكل فتاة معاصرة بأن تجعــل هذه المرأة العظيمة قدوة لها، فتتبع ســيرتها وحياتها، تحتذي بطموحها وهمتها، بداية من مرحلة طفولتهــا، ثم فتاةً وأختًا وزوجةً لخير البشــر ﷺ، وأمًّا لا كالأمهات، ومرورًا بعلمها وعبادتها وثقافتها وحيائها وكرمها ومشــاركاتها الاجتماعية والسياســية، إلى وداعهــا وانتقالها إلى الرفيق الأعلى رحمها الله تعالى ورضي عنها.

ولقــد عَمدنا لترتيب موضوعــات هذا الكتاب علــى مراحل عمر

(١) رواه أحمــد (٤/ ٢٩٨، ح: ٢٤٩٦)، وأبــو يعلــى الموصلي في مســنده (٥/ ٥٦، ح:٢٦٤٨)، وقــال الأرنؤوط ومن معه في تحقيقهم للمســند: «إســناده قوي على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشــيخين غير عبد الله بن خُثيم -وهو عبد الله بن عثمان بن خثيم- فمن رجال مسلم، وهو صدوق».

عائشة رَضِوَاللَّهُعَنهَا، وتفاصيل حياتها، حتى يسهل لكل أحد وخاصة الفتيات التأسي والاقتداء بعائشة كأنموذج إسلامي إنساني رائع، نسأل الله أن يتقبل هذا العمل خالصًا.

وهذه المرأة العظيمة، بهذه السيرة العظيمة، والمكانة العالية قدوة لبنات المسلمين اليوم في كل مكان، في حين تعيش الأمة أزمة قدوات، نسأل الله أن يغفر لنا التقصير والخطأ، والله من وراء القصد.

السؤال التطبيقي:

بعد كل هذه الفضائل، كيف -يا تُرى- نحب عائشة رَضِوَاللَّهُعَنهَا؟ وما واجبنا الشرعي تجاهها؟

الإجابة:

أولًا: بالإيمان والتصديق بفضلها، وفضائلها الثابتة في القرآن، والسنة الصحيحة.

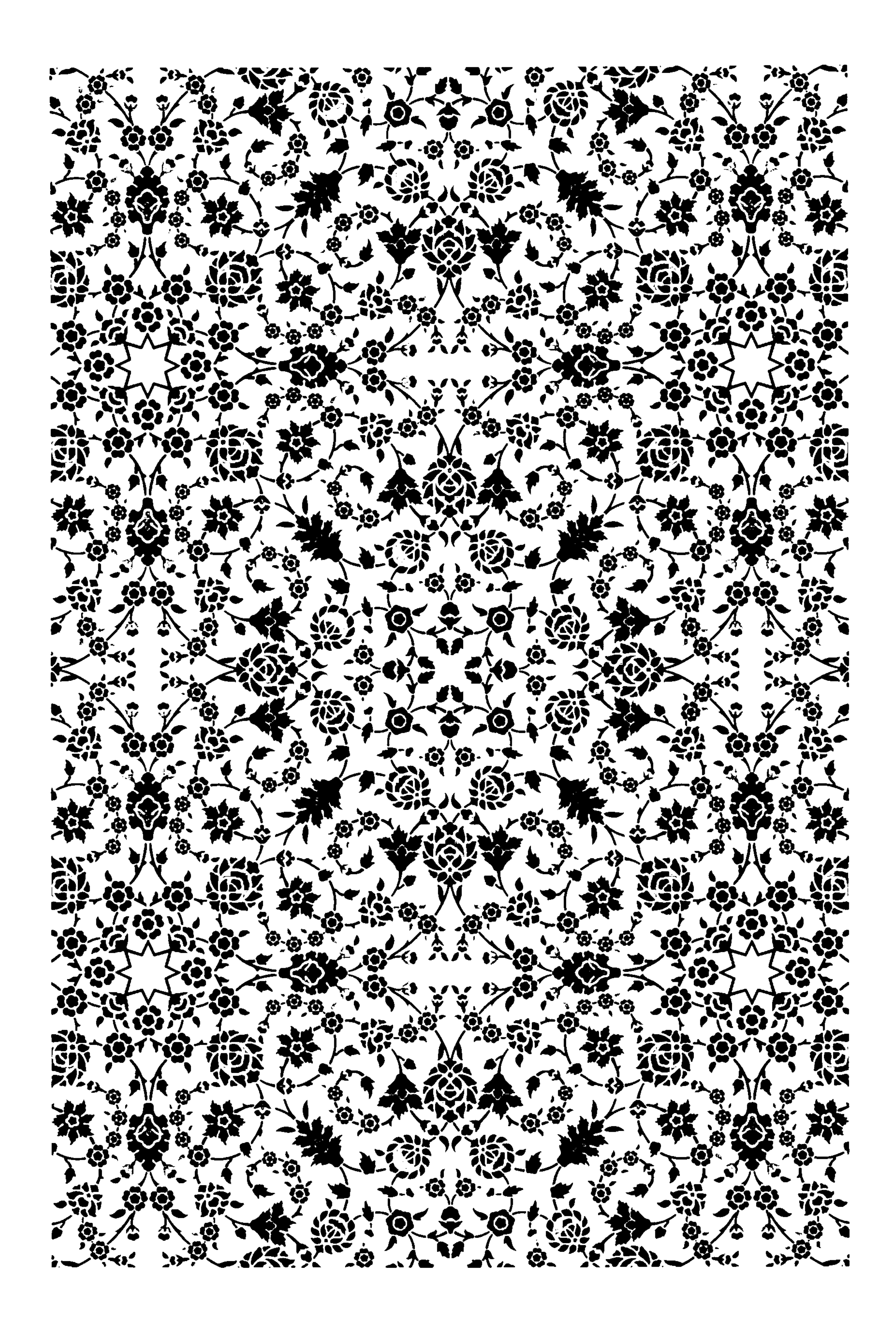
ثانيًا: بالترضي عنها رَضِوَاللَّهُعَنهَا، والمحبة القلبية الصادقة لها لحب الحبيب ﷺ لها.

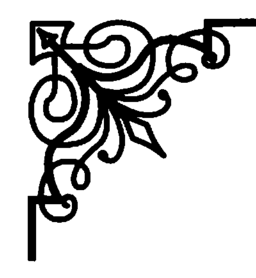
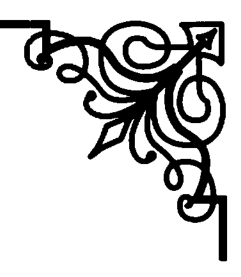
ثالثًا: بقراءة سيرتها قراءة متأنية، وتأليف المؤلفات والبرامج والمناشط والمشاريع، ثم نشرها وإطلاع الأجيال عليها.

رابعًا: بجعلها أنموذجًا معاصرًا للبنات والفتيات في واقعنا المعاصر،

فهن -والله- بأمس الحاجة للقدوات.

خامسًا: بالذب عن عرضها، والغيرة على عرض رسولنا ﷺ، والدفاع عنها بكل الوسائل الممكنة، بل الإبداع في ذلك من مؤتمرات وقنوات ومؤلفات وبرامج مسابقات، وألا ننسى أن هناك حملة شرسة للإساءة للدين، ولرسولنا الكريم ﷺ من خلال زوجته عائشة رضي الله عنها وأرضاها.



[٢٩]

عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إلى الرفيق الأعلى

آهٍ كم كنت أتحاشى الإعداد والقراءة لموضوع هذا الفصل من الكتاب! بل كم كنت أتوجس الوصول إليه! فلحظات الوداع أليمة حزينة صعبة!

والله إني أشعر بعد كل ما سبق من الحديث عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وبعد أن عشت أكثر من ثلاث سنين للإعداد والقراءة والكتابة، وجمع الروايات والمواقف في حياة الصّديقة، ثم تمحيص هذه الروايات وأخذ المقبول منها وترك المردود، ثم استنباط الدروس والعبر منها، مع محاولة نفخ روح الواقع المعاصر فيها، وربطها بما يناسب حياة الناس اليوم، وجعل هذه السيرة المباركة (الكتاب)كأنموذج إيماني وتربوي للجميع لكنه في حق الفتيات والبنات أكثر خصوصية، فمع كل موقف في هذا الكتاب، وكل صفحة، وكل رواية حديثية؛ وربط وتعليق كنت أشعر أني أعيش مع أمي عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في عصرها، كأني جالس بين يديها.

كنت أتخايل ذلك الزمان بكل ما فيه، بيوتات مكة، بيوتات المدينة،

صحراءها، جبالها، أتخايــل حجرتها من الجريد والطيــن، أتخايلها يوم كانت طفلة بمكة، وصبية بالمدينــة، وعالمة وأمًّا للمؤمنين، أكتب وكأني أشعر بأنفاسها وهي تُحادث أبويها وحبيبهاﷺ، أشعر بأنفاسها وهي تلعب مع صويحباتها، وهي تتشاجر مع ضراتها.

كنت أشــعر وأنا أكتب عن جلساتها مع تلامذتها: كعروة، والقاسم، ومســروق..، أني جالس بينهم، أتحاور معهم، وأناقشــهم، وأتلقى عنها العلم والتوجيه.

كنــت وأنا أكتب الصفحات في ســيرتها، كأني أمضــي الأيام معها وفي ضيافتها، فقد اســتغرقت مع تفاصيل سيرتها ومواقفها حتى تشابكت الأعصاب، وامتزجت الدموع، فلقد أحببتها حب الولد لأمِّه الحنون.

فآهٍ يا أماه! آهٍ يا عائشة! اتهموك، وظلموك، وبهتوك، تألمتِ وحزنتِ وبكيتِ وأنت صبية صغيرة طرية.

هي أمي، وأمكم، وأم المؤمنين أجمعين، فعذرًا يا أماه!

حقًّا عذرًا يا أماه فماذا عسانا نقول في هذا الزمان، اعذريني واعذرينا يا أماه فما زال في هذا الزمان من يســتثير ذاك البهتان، يَحكيه، ويَستوشيه، ويُشيعه، ويَتحدث فيه، خابوا وخسروا!

تحدثت وكتبت عن سيرتك، وفضائلك، وسأنشر أخلاقك، وكرمك، وســأصدح بطهرك وعفتك، وحيائِك، وســأبث علمك وفقهك، وسأُذكّر

الناس بهمتك وطموحك، وسأصدع على كل منبر، وبكل قناة، وكل منصة ووسيلة، هذه عائشـــة أمي وأم المؤمنين، هذه عائشة زوجة حبيبنا الهادي الأمين ﷺ، هذه عائشة ابنة الصّديق أبي بكر.

بنـــتُ الكريمِ الذي عمَّـــتْ مناقبُه
كـلَّ الـبـلادِ وذاقـــتْ عـدلَـه الأُمـــمُ
وثانـــيَ اثنيـــنِ في القـــرآنِ خلَّده
ذِكـــرًا ســـيبقَى مـــدَى الأزمـــانِ ينتظمُ
حليلـــةُ المصطفَـــى واللهُ أكرمَها
إذا رآهـــا رســـولُ الـلـهِ يـبـتـســمُ[1]

هاهي عائشة على فراش الموت، تنظر النظرات الأخيرة، تُقلب نظرها لأركان الحجرة التي عاشـــت فيها أفضل سني عمرها بجوار الحبيب ﷺ، فهنا قبَّلها، وهنا مازحها، وهنا حادثها وسامرها، وهنا ذكريات لا يُمكن أن تُنسى.

عائشة على فراش الموت، لكن شريط الذكريات لا يُفارقها.

هنا في هذه الحجرة قَدَمَا الحبيب ﷺ قد تورمتا من طول القيام.

هنا بيـــن أركان هذه الحجـــرة كان الحبيب ﷺ فـــي حجرها، وبين سحرها ونحرها، يعاني سكرات الموت وها هي أيضًا تعاني منها.

(١) من قصيدة (ريحانة المصطفى) للشاعر مصطفى حسان.

عائشة التي استولت على أفئدة المؤمنين، هي الآن على فراش الموت.

عائشة التي ملأت الدنيا علمًا وفقهًا، هي الآن على فراش الموت.

إنه الموت نهاية كل إنســان، هاذم اللذات، مفرق الجماعات، لمثل هذا فأعدوا واستعدوا.

في هذه اللحظات وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا على فراش الموت استأذن الحبر ابْــنَ عَبَّاسٍ بالدخول عليها، «فَقَالَتْ: أَخْشَــى أَنْ يُثْنِي عَلَيَّ. فَقِيْلَ: ابْنُ عَمِّ رَسُوْلِ اللهِ، وَمِنْ وُجُوْهِ الْمُسْلِمِيْنَ. قَالَتْ: ائْذَنُوا لَهُ، قَالَ: كَيْفَ تَجِدِيْنَكِ؟ قَالَــتْ: بِخَيْرٍ إِنِ اتَّقَيْتُ. قَالَ: فَأَنْتِ بِخَيْرٍ إِنْ شَــاءَ اللهُ، كُنْتِ أَحَبَّ نِسَــاءِ رَسُــوْلِ اللهِ ﷺ -يَعْنِي: إِلَيْهِ-، وَلَمْ يَكُنْ يُحِبُّ إِلاَّ طَيِّبًا، وسَقَطَتْ قِلاَدَتُكِ لَيْلَةَ الأَبْوَاءِ، وَأَصْبَحَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ لِيَلْقُطَهَا، فَأَصْبَحَ النَّاسُ لَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ [النســاء: ٤٣]، فَكَانَ ذَلِكَ مِنْ سَبَبِكِ، وَمَــا أَنْزَلَ اللهُ بِهَذِهِ الأُمَّةِ مِنَ الرُّخْصَةِ، ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ بَرَاءتَكِ مِنْ فَوْقِ سَــبْعِ سَــمَاوَاتٍ، فَأَصْبَحَ لَيْسَ مَسْجِدٌ مِنْ مَسَاجِدَ يُذْكَرُ فِيْهَا اللهُ إِلاَّ بَرَاءتُكِ تُتْلَى فِيْهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَــارِ. قَالَتْ: دَعْنِي عَنْكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، فَوَاللهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًا»(١).

(١) رواه أحمــد (٤/ ٢٩٨، ح: ٢٤٩٦)، وأبــو يعلــى الموصلي في مســنده (٥/ ٥٦، ح:٢٦٤٨)، وقــال الأرنؤوط ومن معه في تحقيقهم للمســند: «إســناده قوي على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشــيخين غير عبد الله بن خُثيم -وهو عبد الله بن عثمان بن خثيم- فمن رجال مسلم، وهو صدوق».

النُّبلُ يلتفُّ فخرًا حولَ مِعْصَمِها
ودِرعُها من نسيجِ الصِّدقِ غطَّاها
إنْ ينطقِ الطِّيبُ قال الطِّيبُ:
عطَّرني طهرٌ تناثرَ من آثارِ ذِكْراها
أو تَسْطَعُ الشمسُ قال الضوءُ: يا عجبًا
جَلَّ الذي من ضياءِ الوحي جلَّاها
أو يطلعُ البدرُ تُطفي نورَ طلعتهِ
شعاشعُ النُّورِ تَبدو مِن ثُريَّاها
مجدًا تمنَّت سماءُ المجدِ طلعتَهُ
تتِيهُ لو قَبَستْ من نورِ مرآها
في كلِّ فخرٍ لها ذكرَى معطَّرةٌ
أرقَى مِنَ الكوكبِ الدُّريِّ مرقاها
نسيبةُ الأصلِ، والإسلامُ كمَّلَها
وزوجُها بجمالِ الوحْيِ ربَّاها
وجاءهُ الموتُ في الأحضانِ ودَّعها
وضمَّه بعدَ لفظِ الرُّوحِ جنْباها(١)

لقد استشعرت أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا غربتها بعد ذهاب

(١) الأبيات للشيخ حامد بن عبد الله العلي، من قصيدة له بعنوان: (عطر الياسمين في مدح أم المؤمنين).

رســـول الله ﷺ، وذهاب الكـــرام بعده واحدًا تلو الآخـــر، فكانت تقول: «ليتني كنت نباتًا من نبات الأرض ولم أكن شيئًا مذكورًا»[١].

وكانت تنشد:

ذَهَـــبَ الَّذِيْنَ يُعَاشُ فِـــي أَكْنَافِهِمْ
وَبَقِيْـــتُ فِـــي خَلْفٍ كَجِلْـــدِ الأَجْرَبِ[٢]

صدقت! فهل بعد رسول الله ﷺ من خلف؟! هل بعد أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من عوض؟! ذهب رسول الله ﷺ والصديقة صابرة محتسبة لكنها تجرعت ألم الفـــراق، ثم ذهب الصديق أحب الناس إليها بعد رســـول الله ﷺ، ثم أضحـــت الحوادث تترى على أمنا عائشـــة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا حتى طرق بابها ملك المـــوت، فها هي على فـــراش الموت، لكنْ عزاؤها تلـــك الكلمات التي همـــس بها حبيبها ﷺ يوم طمأنها فقالَ: «إِنَّهُ لَيُهَوِّنُ عَلَيَّ الْمَوْتَ أَنِّي أُرِيتُكِ زَوْجَتِي فِي الْجَنَّةِ»[٣]، فهي إن ماتت ســـتلقى الحبيب ﷺ، وســـتنعم بنعيم الجنة، فبخٍ بخْ.

ماتت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ولَمَّا علمت أم المؤمنين أم سلمة بموتها قَالَتْ: «وَاللهِ لَقَدْ كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَى رَسُوْلِ اللهِ ﷺ إِلا أَبَاهَا»[٤].

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات (٨/ ٧٦).
(٢) رواه معمر بن راشد في جامعه (١١/ ٢٤٦).
(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٣/ ٣٩)، والأوسط (ح: ٣١٦١).
(٤) رواه أبو داود الطيالسي (ح: ١٧١٨)، والحاكم في المستدرك (ح: ٦٧٤٦).

قَالَ مَسْرُوْقٌ بن الأجدع - وهو من أشهر وأقرب تلامذة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لها، وقد تربى بين يديها -: «لَوْلاَ بَعْضُ الأَمْرِ، لأَقَمْتُ المَنَاحَةَ عَلَى أُمِّ المُؤْمِنِيْنَ»[(١)].

مشاعر عجيبة، مشاعر فياضة، لما يعلمه من بركتها وأثرها في الأمة، سجلات التاريخ البشري عاجزة عن تقديم أنموذج في قامة أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرضاها، حتى قال الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَوْ كَانَتِ امْرَأَةٌ تَكُونُ خَلِيفَةً لَكَانَتْ عَائِشَةُ خَلِيفَةً»[(٢)].

كلمات من مسروق تحمل مدى الحزن الذي كان يعتصره حين لحقت الصديقة بالرفيق الأعلى، فقد كَانَ إِذَا حَدَّثَ عَنْ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَ: «حَدَّثَتْنِي الصِّدِّيْقَةُ بِنْتُ الصِّدِّيْقِ، حَبِيْبَةُ حَبِيْبِ اللهِ، المُبَرَّأَةُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ، فَلَمْ أُكَذِّبْهَا»[(٣)]. هذه المشاعر من مسروق رحمه الله ورضي عنه.

وقال عبد الله بن عبيد الله: «أما إنه لا يحزن عليها إلا من كانت أمه»[(٤)].

وتأمل: عمق هذه الكلمات من عبد الله بن عبيد الله - رحمه الله- ودقتها! والله: إنه لا يحزن على موت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إلا من كانت أمَّه

(١) رواه ابن سعد في الطبقات (٨/ ٧٨).
(٢) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢٧٦١).
(٣) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٨/ ٦٦)، وأحمد في مسنده (ح: ٢٦٠٤٤).
(٤) سير أعلام النبلاء: (٢/ ١٨٥).

حقًّا، ولا يشعر بوحشة فراقها إلا من كانت له أمًّا.

وقد توفيت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي اللَّيْلَةِ السَّابِعَةَ عَشْرَةَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ بَعْدَ الوِتْرِ، أَمَرَتْ أَنْ تُدْفَنَ مِنْ لَيْلَتِهَا.

وقد أوصت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن تُدفن بجوار الطاهرات زوجات النبي ﷺ، ففي الصحيح أنها قالت لعبد الله بن الزبير: «ادْفِنِّي مَعَ صَوَاحِبِي، وَلَا تَدْفِنِّي مَعَ النَّبِـيِّ ﷺ فِي الْبَيْتِ، فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أُزَكَّى»[1]، كَانَتْ تُحَدِّثُ نَفْسَـهَا أَنْ تُدْفَـنَ فِي بَيْتِهَا مَعَ رَسُـولِ اللَّهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ، فَقَالَـتْ: «إِنِّي أَحْدَثْتُ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدَثًا، ادْفُنُونِي مَعَ أَزْوَاجِهِ»[2].

وتقصد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بالحدث موقعة الجمـل، ودُفِنَتْ بِالْبَقِيعِ «فَاجْتَمَعَ الأَنْصَارُ، وَحَضَرُوا، فَلَمْ يُرَ لَيْلَةٌ أَكْثَرَ نَاسًـا مِنْهَـا، نَزَلَ أَهْلُ العَوَالِي، دُفِنَتْ هناك، وَعُمُرهَا: ثَلاَثٌ وَسِـتُّوْنَ سَنَةً، وَأَشْهُرٌ. وقيل: أكثر، كانت عائشة قد أوصت أن يصلى عليها ليلًا، وأن تُدفن ليـلًا، ويبدو -والله أعلم- لكون الليل أسـتر، وما أحبت أن يُرى جثمانها وهـي محمولة، وأوصتهم أيضًا قائلة: «لا تتبعوا سريري بنار، ولا تجعلوا تحتي قطيفة حمراء»[3]، فأنفذت وصيتها، دفنت مع أمهات المؤمنين ممن سبقنها وفاة.

---

(١) رواه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسـنة، باب ما ذكـر النبي ﷺ وحض على اتفاق أهل العلم، وما أجمع عليه الحرمان مكة، والمدينة (ح: ٧٣٢٧).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (ح: ١١٨٥٧)، والحاكم في المستدرك (ح: ٦٧١٧).

(٣) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٨/ ٧٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه (ح: ١١١٧٢).

ويُروى أن من نزل في قبرها خمسة: عبد الله وعروة ابنا الزبير بن العوام من أختها أسماء بنت أبي بكر، والقاسم وعبد الله ابنا أخيها محمد بن أبي بكر، وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر، صلى عليها أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

رحلت عائشة بعد أن قرت عيناها بجيل تلاميذها من أئمة التابعين وكبار الفقهاء والعلماء، رضي الله عن عائشة أم المؤمنين وأرضاها، رفع درجتها وأعلاها، هنا نكون قد طوينا آخر صفحة من حياة حافلة بالأحداث وبالمواقف والتجارب، وبالعلم والعمل، وبالعطاء والبناء، فياضة بالإيمان.

لقد أُهيل التراب على جثمان امرأة هي أعلم امرأة، وأعقل امرأة، وأعظم امرأة في تاريخ الإنسانية، لقد كان لها تأثير كبير في نفوس الجميع، في نفوسنا، في نفوس تلامذتها، وفي نفوس الأجيال، وستظل مُلهمة لكل من عرفها.

انتقلت عائشة إلى جوار ربها بعد أن انشغل التاريخ وحتى اليوم برصد دقائق أخبارها وحياتها، فهي منذ أن كانت في السادسة من عمرها، والتاريخ يكتب ويُسجل، ويرصد الحركات والسكنات، والأحداث والكلمات لعائشة رضي الله تعالى عنها.

الكل يموت، لكن هكذا يموت الكبار! فشتان بين موت وموت؟! فموتها اهتزت له الدنيا بأسرها، نسأل الله أن يُحسن لنا ولكم الختام، أقول ما ذكرت والقلب - والله - خفاق يمور كأنه يريد أن يطير لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

ولحبيبها ﷺ، لكن العزاء: أن نرى عائشة أنموذجًا تطبيقيًا في عالمنا وعالم النساء.

أما أنا فلعل خير عزاء لي هو أمنية اللقاء، اللقاء بحبيبي رسول الله ﷺ، وبأمي عائشـــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا هناك، حيث وعْدُ الله ورحمته، فمن ثقتي وحسن ظنـــي بربي كأني والله جالس بينهما الآن بجنـــة الفردوس، وبين يديَّ هذا الكتاب شـــفيعًا لي عند ربي بحبهما، وبذل المستطاع للذب عن عرضهما، فاللهم آمين، ويارب استجب.

السؤال التطبيقي:

ما الدروس والعبر في موت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؟

الإجابة:

أولًا: ماتت عائشـــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، لكن ما زلنا على مدى أربعة عشر قرنًا من الزمن، نستضيء من مشعلها إلى اليوم، وما زلنا نجد في سيرتها الزكية القدوة والأنموذج، وما زالت عائشـــة تحدثنا، وما زالت عائشـــة تنصحنا، وما زالت وستظل عائشة في قلوبنا.

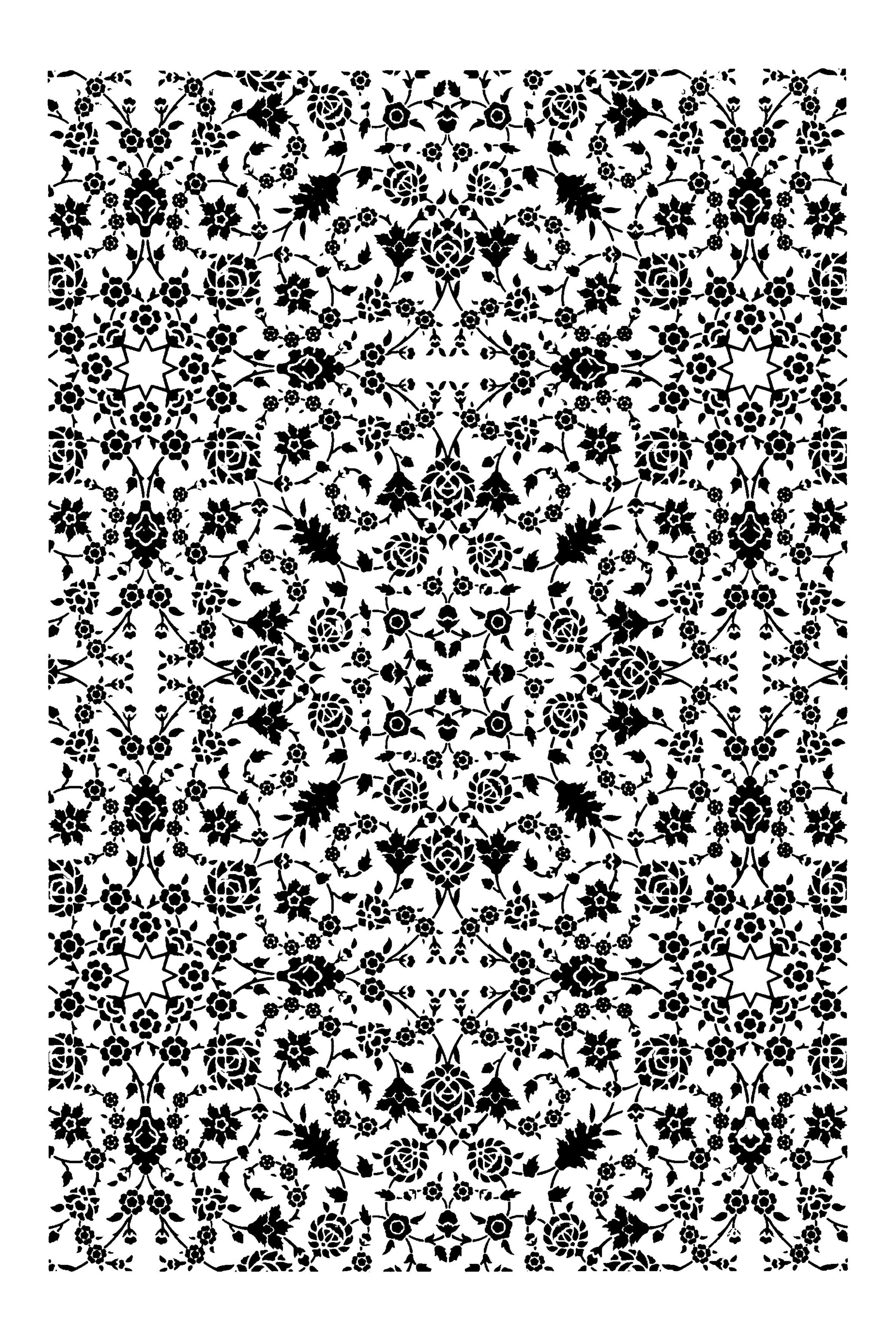
ثانيًا: في الناس جفاة لأمنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، لا وزن لهم ولا قيمة في عالم الإيمان، فما زالت عائشة في ســـورة النور تبرق كل حين في الشرق والغرب.

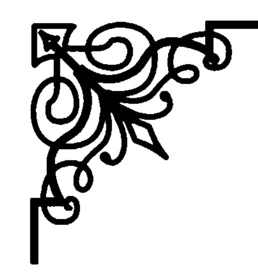
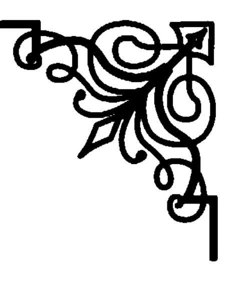
ثالثًا: أهم ما يلفت النظر في موت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها رغم شدة حبها

للحبيب ﷺ لم تدخر ثوبًا من ثياب رسول الله ﷺ، وتوصي أن تكفن فيه، بل كُفنت بما يكفن الناس به، لعلمها أن الحب ليس في الآثار والجمادات، ولا في الأزمنة والتواريخ، وإنما في دم ينبض في القلوب، تترجمه لأعمال صالحات، لسـان حال عائشـة يردد قول حبيبها ﷺ: «مَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»[1].

---

(١) رواه مسلم في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر (ح: ٢٦٩٩).



[٣٠]

قالوا عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

قبل ختام فصول هذا الكتاب ورحلتنـــا الممتعة مع أمنا أم المؤمنين عائشـــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ما الذي يُمكن أن يُقال في النهاية؟ ماذا ســنقول في حق عائشة في النهاية؟

وماذا عساه يُقال عنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ؟

وماذا عسانا نقول عن هذه السيرة التي عشناها بكل تفاصيلها الدقيقة؟

لقد قيل في حق عائشة من الثناء والمدح ما لم يُرو في حق غيرها من النساء على الإطلاق! ولا غرابة، فهي أعلم امرأة، وأذكى امرأة، وأفقه امرأة على الإطلاق، فحُق لها أن تفخر:

إِنِّي خُصِصْتُ على نِســاءِ مُحَمَّدٍ
بِـصِـفَــاتِ بِــرٍّ تَـحْـتَـهُـنَّ مَـعَـانِ
وَسَـــبَقْتُهُنَّ إلـــى الفَضَائِـلِ كُلِّها
فالسَّـــبْقُ سَـــبْقِي والعِنَـــانُ عِنَانِي

مَــرِضَ النَّبِيُّ وماتَ بيــنَ تَرَائِبِي
فـالْـيَـوْمُ يَـوْمِـي والـزَّمـانُ زَمـانِـي[1]

إنها أعظم امرأة عرفها التاريخ البشري، فيكفيها فخرًا أنها زوجة النبي محمـــد ﷺ في الدنيا والآخرة، ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ ﴾[الأحزاب: ٣٢]. يقول مقاتل: «في الآية إشارة إلى أنهن أشرف نساء العالمين»[2].

ولقد كان ﷺ يُظهر حبه لعائشة ولا يُخفيه، حتى قال الحافظ الذهبي: «وأحبها حبًّا شـــديدًا، كان يتظاهر به»[3] وقد قيـــل له ﷺ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «عَائِشَةُ»[4].

وبلغ من حبه ﷺ لعائشة، وخوفه عليها أنه كان يأمرها أن تسترقي من العين، كما في صحيح مسلم قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَأْمُرُنِي أَنْ أَسْتَرْقِيَ مِنَ الْعَيْنِ»[5].

---

(١) القصيدة الوضاحية في مدح السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، لابن بهيج الأندلسي (ص: ٤٢).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٤٢).

(٣) تفسير البغوي (٣/ ٦٣٥).

(٤) رواه البخاري في أصحاب النبـــي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذا خليلًا» (ح: ٣٦٦٢)، ومســـلم في فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه (ح: ٢٣٨٤).

(٥) رواه مســـلم في الســـلام، باب اســـتحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة (ح:٢١٩٥).

وقد وجعتْ يومًا فقالت: وَارَأْسَاهْ قَالَ النبي ﷺ: «بَلْ أَنَا وَارَأْسَاهْ..»[1]، يقول الزركشي: «ففيه إشـــارة للغاية في الموافقة؛ حتى تألَّم بألمها، فكأنه أخبرها بصدق محبتها حتى واساها في الألم»[2].

يا الله ما أجمل هذا الكلام!

ويقول ابن القيم كلامًا شـــبيهًا بالكلام السابق: «وهذا غاية الْمُوَافقَة من الْمُحب ومحبوبه، يتألم بتألمه، ويســـر بسروره، حتَّى إذا آلمه عضو من أعضائـــه آلم المحب ذلك العضو بعينه، وهـــذا من صدق الْمحبَّة، وصفاء المـــودَّة»[3]. انتهى كلام ابن القيـــم، ما أجمل وأروع هـــذا الكلام، وهذا الوصف! وهذا الحب!

إنها أفضل نســـاء العالمين، كما ذكر أبو مُوسَـــى الأَشْعَرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إن النَّبِيُّ ﷺ، قال: «**فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ**»[4].

يقول شيخنا الشـــيخ ابن عثيمين -رحمه الله-: وهذا يدل على أنها

(١) رواه البخـــاري في المرضى، باب بـــاب قول المريض: «إني وجع، أو وا رأســـاه، أو اشتد بي الوجع (ح: ٥٦٦٦).

(٢) الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة (ص: ٥٢-٥٣).

(٣) الروح (ص: ٢٥٩).

(٤) رواه البخـــاري في أصحـــاب النبي ﷺ، باب فضل عائشـــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ح: ٣٧٦٩)، ومسلم في فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ح: ٢٤٣١).

أفضل النســاء مطلقًا، وأن لها من الفضائل العظيمة ما لم يدركه أحد غيرها من النساء[1].

فالحديث عــن الحب الكبير الذي يكنــه ﷺ كان بمثابة قصة رائعة لا مثيل لها، لم يستطع أحد ممن عرفها إلا أن يعجب، بل يندهش -والله- منها.

فعن مصعب بن سعد قال: «فَرَضَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِأُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ عَشْــرَةَ آلَافٍ عَشْرَةَ آلَافٍ، وَزَادَ عَائِشَــةَ أَلْفَيْنِ، وَقَالَ: إِنَّهَا حَبِيبَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»[2].

ويقول علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لو كانت امرأة تكون خليفة لكانت عائشة»[3].

قالت أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لما سمعت بنبأ وفاتها: «يرحمها الله، والذي نفسي بيده لقد كانت أحب الناس كلهم إلى رسول الله ﷺ إلا أبوها»[4].

يقول حسان بن ثابت[5] في وصف عائشة:

---

(١) انظر: مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٨/ ٦١٤).

(٢) رواه الخرائطي في اعتلال القلوب (١/ ٢٣).

(٣) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢٧٦١).

(٤) رواه أبو داود الطيالسي (ح: ١٧١٨)، والحاكم في المستدرك (ح: ٦٧٤٦).

(٥) ضمن قصيدة طويلة، رواها الطبراني في المعجم الكبير (٢٣/ ١١٦)، وابن عســاكر في فضل أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ص: ٤١)، وعبد الغني المقدسي في حديث الإفك (ص:٣٧).

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تُزَنُّ بِرِيْبَةٍ
وَتُصْبِحُ غَرْثَى مِنْ لُحُومِ الغَوَافِلِ
مُهَذَّبَةٌ قَدْ طَيَّبَ اللهُ خِيْمَهَا
وَطَهَّرَهَا مِنْ كُلِّ سُوْءٍ وَبَاطِلِ

قال عبد الله بن عبيد: استأذن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، على عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في مرضها الذي ماتت فيه، فأبت أن تأذن له فلم يزل بها حتى أذنت له فسمعها وهي تقول: «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ» قال: يا أم المؤمنين: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَعَاذَكِ مِنَ النَّارِ، كُنْتِ أَوَّلَ امْرَأَةٍ نَزَلَ عُذْرُهَا مِنَ السَّمَاءِ»[1].

هذه شهادة من حبر الأمة وترجمان القرآن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حق المؤمنين عائشة، تظهر قدرها، وعظيم شأنها، ومدى مكانتها في أعين فقهاء الصحابة وعلمائهم.

ومن أسباب كثرة ثناء الناس على عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بعد كونها أحب أزواج النبي ﷺ أنها تبوأت مكانة علمية رفيعة جعلتها أعظم بل أكبر عالمات عصرها، بل كانت المرجع العلمي الأصيل الذي يرجع إليه كبار الصحابة خاصةً فيما يشكل عليهم، ويختلفون فيه؛ كما قال أبو موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا أَشْكَلَ عَلَيْنَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثٌ قَطُّ فَسَأَلْنَا عَائِشَةَ إِلَّا وَجَدْنَا عِنْدَهَا مِنْهُ عِلْمًا»[2] هكذا كانت منزلتها العلمية

(١) رواه أحمد في فضائل الصحابة (ح: ١٦٣٦)، وقال محققه: إسناده صحيح.

(٢) رواه الترمذي في المناقب عن رسول الله ﷺ، باب من فضل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ح:٣٨٨٣)، وصححه الألباني.

رضي الله تعالى عنها وأرضاها.

ويقول أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «جَزَاكِ اللَّهُ خَيْرًا، -يعني: عائشة- فَوَاللَّهِ مَا نَزَلَ بِكِ أَمْرٌ قَطُّ، إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ لَكِ مِنْهُ مَخْرَجًا، وَجَعَلَ لِلْمُسْلِمِينَ فِيهِ بَرَكَةً»(١).

وما زالت الأقـوال تتوالى في أعظم امرأة، وأفقه امرأة، وأحب امرأة عند حبيبنا ورسولنا ﷺ.

فيقول عَطَاءُ بنُ أَبِي رَبَاحٍ: «كَانَتْ عَائِشَةُ أَفْقَهَ النَّاسِ»(٢).

ويقول أبو سَـلَمَةَ بْـن عَبْدِ الرَّحْمَنِ: «مَـا رَأَيْتُ أَحَدًا أَعْلَمَ بِسُـنَنِ رَسُولِ اللَّهِ، وَلَا أَفْقَهَ فِي رَأْيٍ إِنِ احْتِيجَ إِلَى رَأْيِهِ، وَلَا أَعْلَمَ بِآيَةٍ فِيمَا نَزَلَتْ، وَلَا فَرِيضَةٍ مِنْ عَائِشَةَ»(٣).

ويقول مَحْمُودِبْنِ لَبِيدٍ: «كَانَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ يَحْفَظْنَ مِنْ حَدِيثِ النَّبِيِّ كَثِيرًا وَلَا مِثْلًا لِعَائِشَـةَ وَأُمِّ سَلَمَةَ، كانَتْ عَائِشَةُ تُفْتِي فِي عَهْدِ عُمَرَ وَعُثْمَانَ إِلَـى أَنْ مَاتَتْ يَرْحَمُهَا اللَّـهُ، وَكَانَ الْأَكَابِرُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُـولِ اللَّهِ عُمَرُ وَعُثْمَانُ بَعْدَهُ يُرْسِلَانِ إِلَيْهَا فَيَسْأَلَانِهَا عَنِ السُّنَنِ»(٤).

(١) رواه البخاري في التيمم (ح: ٣٣٤)، ومسلم في الحيض، باب التيمم (ح: ٣٦٧).
(٢) رواه الحاكم في المستدرك (ح: ٦٧٤٨).
(٣) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٢/ ٣٧٥).
(٤) المصدر السابق.

وقال أخبر الناس بعائشـة عروة بن الزبير مستفسرًا إيَّاها: «لَا أَعْجَبُ مِنْ فَهْمِكِ، أَقُولُ: زَوْجَةُ رَسُـولِ اللَّهِ ﷺ، وَبِنْتُ أَبِي بَكْرٍ، وَلَا أَعْجَبُ مِنْ عِلْمِكِ بِالشِّـعْرِ، وَأَيَّامِ النَّاسِ، أَقُولُ ابْنَةُ أَبِي بَكْرٍ، وَكَانَ أَعْلَمَ النَّاسِ أَوْ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَلَكِنْ أَعْجَبُ مِنْ عِلْمِكِ بِالطِّبِّ كَيْفَ هُوَ؟ وَمِنْ أَيْنَ هُوَ؟ فَضَرَبَتْ عَلَى مَنْكِبِهِ وَقَالَتْ: أَيْ عُرَيَّةُ، «إِنَّ رَسُـولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَسْقَمُ عِنْدَ آخِرِ عُمْرِهِ، أَوْ فِي آخِرِ عُمْرِهِ، فَكَانَـتْ تَقْدَمُ عَلَيْهِ وُفُودُ الْعَرَبِ مِنْ كُلِّ وَجْـهٍ، فَتَنْعَتُ لَهُ الْأَنْعَاتَ، وَكُنْتُ أُعَالِجُهَا لَـهُ، فَمِنْ ثَمَّ»[1]. يعني: من هنا تعلمتُ الطب.

ويقول أبو نُعيم: وَلِعَائِشَـةَ مِنَ الْفَضَائِلِ الَّتِي لَمْ يُشْرِكْهَا فِيهَا أَحَدٌ مَا يَكْثُرُ وَيَطُولُ، مِنْهُ تَنْزِيلُ الْقُرْآنِ بِبَرَاءَتِهَا سِـتَّ عَشْرَةَ آيَةً مُتَوَالِيَةً، وَمِنْهَا تَوَاتُرُ مِزَاحِ النَّبِيِّ ﷺ مَعَهَا بِأَشْـيَاءَ كَثِيرَةٍ. وَمِنْهَا تَدَلُّلُهَا بِـكَلَامٍ لَمْ يُفْصِحْ بِهِ أَحَدٌ لِرَسُـولِ اللَّهِ ﷺ. وَمِنْهَا أَجْمَعَ أَكْثَرُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهَا كَانَتْ مِنْ أَحَبِّ الْخَلْقِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَمِنْهُ سِبَاقُ النَّبِيِّ ﷺ لَهَا[2]. انتهى كلامه.

وكان الشعبي يذكرها فيتعجب من فقهها وعلمها ثم يقول: «ما ظنكم بأدب النبوة؟!»[3].

وقَالَ الزُّهْرِيُّ: «لَوْ جُمِعَ عِلْمُ عَائِشَـةَ إِلَى عِلْمِ جَمِيعِ النِّسَـاءِ، لَكَانَ

(١) رواه أحمد (ح: ٢٤٣٨٠).

(٢) انظر: فضائل الخلفاء الراشدين (ص: ١٣٤).

(٣) رواه البلاذري في أنساب الأشراف (١/ ٤١٦).

عِلْمُ عَائِشَةَ أَفْضَلَ»[1].

وفي رواية له: «لو جُمع علم نســاء هذه الأمة فيهن أزواج النبي ﷺ كان علم عائشة أكثر من علمهن رضي الله تعالى عنهن أجمعين»[2].

وقال ابن عبد البر: «إنهــا كانت وحيدة عصرها في ثلاثة علوم: علم الفقه، وعلم الطب، وعلم الشعر»[3].

ويقول الذهبي: «لا أعلم في أمة محمد ﷺ بل ولا في النســاء مطلقًا امرأة أعلم منها»[4].

وقال ابن كثير صاحب التفســير: «لم يَكُن في الأُممِ مثلُ عائشـــةَ في حِفْظها وعِلْمها، وفصاحتِها وعَقْلِها»[5].

ويقول شــيخنا ابــن العثيمين - رحمه الله - عن عائشـــة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: «أمــا كونها صديقة، فلكمال تصديقها لرســول اللــه ﷺ، وكمال صدقها فــي معاملته، وصبرها على ما حصل مــن الأذى في قصة الإفك، ويدلك

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٨٨٣)، البداية والنهاية (٨/ ٩٩).

(٢) رواه الخــلال في الســنة (٢/ ٤٧٦، رقــم: ٧٥٣)، والطبراني فــي المعجم الكبير (٢٣/ ١٨٤، رقــم: ٢٩٩)، والحاكــم في المســتدرك (٤/ ١٢). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٢٤٣): «رواه الطبراني مرسلًا، ورجاله ثقات».

(٣) الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة (ص: ٣٤).

(٤) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٤٠).

(٥) البداية والنهاية (٤/ ٣٢٢)، والسيرة النبوية (٢/ ١٣٧).

على صدقها وصدق إيمانها بالله أنه لما نزلت براءتها، قالت: إني لا أحمد غير الله. - يقول الشيخ -: وهذا يدل على كمال إيمانها وصدقها»[1].

وقال ابن كثير: «وَلَمَّا تَكَلَّمَ فِيهَا أَهْلُ الإِفْكِ بِالزُّورِ وَالْبُهْتَانِ غَارَ اللَّهُ لَهَا، فَأَنْزَلَ لَهَا بَرَاءَتَهَا فِي عَشْرِ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ تُتْلَى عَلَى تَعَاقُبِ الْأَزْمَانِ»[2].

فتأمل قول ابن كثير: «غار الله لها» وما في هذه العبارة من إظهارٍ لمكانة عائشة المرموقة عند ربها، حتى غار سبحانه لأجلها!

ويقول المؤرخ المستشرق بودلي: «منذ وطئت قدمها بيت محمد ﷺ، كان الجميع يحسون وجودها. ولو أن هناك شابةً عرفت ما هي مقبلة عليه، لكانت عائشة بنت أبي بكر..، فلقد كونت شخصيتها منذ اليوم الأول الذي دخلت فيه دور النبي الملحقة بالمسجد».

هذه شهادة غربيّة في حق عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهي تستحقها وأكثر.

هكذا هي عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في عيون من عايشوها، ومن خالطوها وعرفوا مكانتها وفضلها.

وهكذا عشت وإياكم في رحاب هذه الطاهرة المطهرة عائشة أم المؤمنين بنت أبي بكر الصديق زوجة رسول الله ﷺ، عشنا سويًّا هذه السيرة بكل تفاصيلها كما روتها مصادر السنة، وكما شهد به التاريخ،

(١) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٨/ ٦١٣).

(٢) البداية والنهاية (١١/ ٣٣٧).

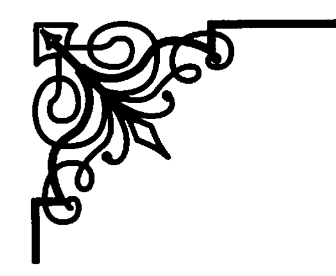
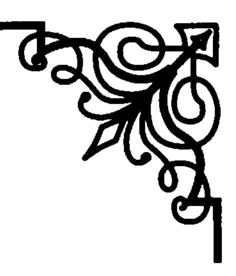
عشــناها في جو روحاني ولحظات إيمانية..، تعلمنــا وتأثرنا، وضحكنا في موضع ضَحكها، وبكينا حيــن بَكت وتَألمت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرضاها.. لقد تعلمنا من علمها، ونهلنا من معين فضلها.

تأثرنا -والله- بحبها لرسوله ﷺ، وقربها منه، غبطناها بهذه المكانة.

فســلامٌ -يا عائشة- ســلام عليك من الله ورحمات وبركات تترى عليك يا أم المؤمنين، رضي الله عن عائشة وأرضاها.

وأختم، فأقول: إنها عائشة.. وكفى!

(تم الكتاب بفضل الله، فالحمد لله)

ثبت المصادر والمراجع

١- الآحاد والمثاني، أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفى: ٢٨٧هـ)، المحقق: د. باسم فيصل أحمد الجوابرة، الناشر: دار الراية - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٢- آداب الزفاف في السنة المطهرة، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: دار السلام، سنة ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ مـ.

٣- إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان البوصيري الكناني الشافعي (المتوفى: ٨٤٠هـ)، تقديم: فضيلة الشيخ الدكتور أحمد معبد عبد الكريم، المحقق: دار المشكاة للبحث العلمي بإشراف أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى، سنة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٤- الإجابة لما استدركت عائشة على الصحابة، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، تحقيق وتخريج: د. رفعت فوزي عبد المطلب، أستاذ الشريعة بجامعة القاهرة، الناشر: مكتبة الخانجي - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٥- **اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى**، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، المحقق: جسم الفهيد الدوسري، الناشر: مكتبة دار الأقصى - الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م.

٦- **أخلاق أهل القرآن**، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري البغدادي (المتوفى: ٣٦٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: الشيخ محمد عمرو عبد اللطيف بإشراف المكتب السلفي لتحقيق التراث، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٧- **أدب الدنيا والدين**، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، الناشر: دار مكتبة الحياة، تاريخ النشر: ١٩٨٦م.

٨- **الأدب المفرد**، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار البشائر الإسلامية - بيروت، الطبعة: الثالثة، سنة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٩- **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**، محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، إشراف: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثانية، سنة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.

١٠- **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار الجيل، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

١١- **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشـيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)، المحقق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، سنة النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٤ م.

١٢- **الأسرار المرفوعـة في الأخبـار الموضوعـة المعـروف بالموضوعـات الكبرى**، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، المحقق: محمد الصباغ، الناشر: دار الأمانة / مؤسسـة الرسالة - بيروت.

١٣- **الإصابة في تمييـز الصحابة**، أبو الفضل أحمد بن علي بـن محمد بن أحمد بن حجر العسـقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، النـاشر: دار الكتب العلمية- بيروت، لبنان، الطبعة:الأولى، سنة١٤١٥هـ.

١٤- **أصـل صفة صلاة النبي ﷺ**، أبو عبد الرحمن محمـد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشـقودري الألباني (المتـوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبـة المعارف للنشر والتوزيـع - الرياض، الطبعـة: الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

١٥- **اعتلال القلوب**، أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر الخرائطي السامري (المتوفى: ٣٢٧هـ)، تحقيق: حمدي الدمرداش، الناشر: نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة-الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

١٦- **اقتضـاء العلم العمل**، أبو بكـر أحمد بن علي بن ثابت بـن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هــ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الرابعة، سنة ١٣٩٧هـ.

١٧- **الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل،** موســى بن أحمد بن موسى بن سالم بن عيســى بن ســالم الحجاوي المقدسي، ثم الصالحي، شرف الدين، أبو النجا (المتوفى: ٩٦٨هـ)، المحقق: عبد اللطيف محمد موسى السبكي، الناشر: دار المعرفة بيروت - لبنان.

١٨- **إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال،** مغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجري المصري الحكــري الحنفي، أبو عبــد الله، علاء الدين (المتــوفى: ٧٦٢هـ)، المحقق: أبو عبد الرحمن عادل بن محمد - أبو محمد أسامة بن إبراهيم، الناشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١ م.

١٩- **الإمتاع والمؤانســة،** أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (المتوفى: نحو ٤٠٠هـ)، الناشر: المكتبة العنصرية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ.

٢٠- **أنســاب الأشراف،** أحمــد بن يحيى بن جابــر بن داود البــلاذري (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.

٢١- **أيسر التفاســير لكلام العلي الكبير،** جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائــري، الناشر: مكتبة العلوم والحكــم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٢٢- **البداية والنهاية،** أبو الفداء إســماعيل بن عمر بــن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى، سنة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٢٣- **البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير،** لسراج الدين عمر بــن علي بن الملقن، تحقيق/ مصطفى أبو الغيط وعبد الله ســليمان، دار هجر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

٢٤- **تاج العروس من جواهر القاموس**، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

٢٥- **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى،سنة ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

٢٦- **التاريخ الأوسط**، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، المحقق: محمود إبراهيم زايد، الناشر: دار الوعي، مكتبة دار التراث - حلب، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧م.

٢٧- **تاريخ الثقات**، أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلى الكوفى (المتوفى: ٢٦١هـ)، الناشر: دار الباز، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م.

٢٨- **تاريخ الرسل والملوك**، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، الناشر: دار التراث - بيروت، الطبعة: الثانية - ١٣٨٧ هـ.

٢٩- **التاريخ الكبير**، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، الطبعة: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان.

٣٠- **تاريخ المدينة لابن شبة**، عمر بن شبة (واسمه زيد) بن عبيدة بن ريطة النميري البصري، أبو زيد (المتوفى: ٢٦٢هـ)، حققه: فهيم محمد شلتوت،طبع على نفقة: السيد حبيب محمود أحمد - جدة، عام النشر: ١٣٩٩ هـ.

٣١- **تغليق التعليق على صحيح البخاري**، المؤلـف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمـد بن أحمد بن حجر العسـقلاني (المتـوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: سـعيد عبد الرحمن موسى القزقي، الناشر: المكتب الإسلامي، دار عمار - بيروت، عمان - الأردن، الطبعة: الأولى، سنة ١٤٠٥ هـ.

٣٢- **تهذيـب التهذيب**، أبـو الفضل أحمد بـن علي بن محمد بـن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة: الطبعة الأولى، سنة ١٣٢٦هـ.

٣٣- **تهذيب الكمال في أسـماء الرجال**، يوسـف بـن عبد الرحمن بن يوسـف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي (المتوفى: ٧٤٢هـ)، المحقق: د. بشـار عواد معروف، الناشر: مؤسسـة الرسـالة - بيروت، الطبعة: الأولى، سنة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.

٣٤- **تهذيـب اللغة**، محمد بن أحمـد بن الأزهري الهروي، أبـو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، سنة ٢٠٠١م.

٣٥- **الثقات**، محمـد بن حبان بن أحمد بـن حبان بن معاذ بن معبـد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البسـتي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، تحت مراقبـة: الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعـارف العثمانية، الناشر: دائرة المعـارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، الطبعة: الأولى، سنة ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م.

٣٦- **الجامع**، معمر بن أبي عمرو راشـد الأزدي مولاهم، أبـو عروة البصري، نزيل اليمن (المتوفى: ١٥٣هـ)، المحقـق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي بباكسـتان، وتوزيع المكتب الإسـلامي ببيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ.

٣٧- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: السابعة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٣٨- جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٣٩- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

٤٠- جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.

٤١- جوامع السيرة النبوية، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.

٤٢- الحاوي الكبير، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، تحقيق/ علي معوض وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

٤٣- حديث الإفك، عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي الجماعيلي الدمشقي الحنبلي، أبو محمد، تقي الدين (المتوفى: ٦٠٠هـ)، المحقق: إبراهيم صالح، الناشر: دار البشائر، الطبعة: الأولى ١٩٩٤ م.

٤٤- **حليـــة الأولياء وطبقـــات الأصفياء**، أبو نعيم أحمد بن عبـــد الله بن أحمد بن إسحاق بن موســـى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، الناشر: مطبعة السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

٤٥- **خلاصة الأحكام في مهمات الســـنن وقواعد الإسلام**، أبو زكريا محيي الدين يحيـــى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حســـين إسماعيل الجمل، الناشر: مؤسسة الرسالة - لبنان - بيروت، الطبعة: الاولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٤٦- **دلائل النبوة**، أحمد بن الحســـين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـــ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، سنة ١٤٠٥هـ.

٤٧- **الـــروح في الكلام عـــلى أرواح الأمـــوات والأحياء بالدلائل مـــن الكتاب والســـنة**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.

٤٨- **روضة العقلاء ونزهة الفضلاء**، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبـــد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البســـتي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.

٤٩- **زاد المعاد في هدي خير العباد**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن ســـعد شـــمس الدين ابـــن قيم الجوزيـــة (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: مؤسســـة الرســـالة، بيروت - مكتبة المنار الإســـلامية، الكويت، الطبعة: الســـابعة والعشرون، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

٥٠- **الزهد**، أبو السري هناد بن السري بن مصعب بن أبي بكر التميمي الدارمي الكوفي (المتوفى: ٢٤٣هـ)، المحقق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، الناشر: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ.

٥١- الزهد، أبـــو عبـــد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أســـد الشـــيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، وضع حواشـــيه: محمد عبد السلام شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

٥٢- سبل الســـلام، محمد بن إســـماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعـــاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأســـلافه بالأمير (المتوفى: ١١٨٢هـ)، الناشر: دار الحديث، بدون طبعة وبدون تاريخ.

٥٣- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي (المتوفى: ٩٤٢هـ)، تحقيق وتعليق: الشـــيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، النـــاشر: دار الكتب العلمية بـــيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٥٤- السراج المنير في ترتيب أحاديث صحيـــح الجامع الصغير، رتبه وعلق عليه: عصام موسى هادي، الناشر: دار الصديق - توزيع مؤسسة الريان، الطبعة: الثالثة، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

٥٥- سلســـلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الديـــن، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشـــقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، النـــاشر: مكتبة المعارف للنـــشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

٥٦- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الديـــن، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشـــقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـــ)، دار النشر: دار المعارف، الريـــاض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢ م.

٥٧- ســـمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، عبد الملك بن حســين بن عبد الملــك العصامي المكــي (المتــوفى: ١١١١هـ)، المحقــق: عادل أحمد عبد الموجــود- علي محمد معوض، الناشر: دار الكتــب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

٥٨- الســـنة، أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بـــن يزيد الخلال البغدادي الحنبلي (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: د. عطية الزهراني، الناشر: دار الراية - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

٥٩- ســـنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بـــن يزيد ابن ماجـــة القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.

٦٠- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجســـتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، تحقيـــق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.

٦١- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيســـى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق أحمد محمد شـــاكر وآخرون، الناشر: شركـــة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة: الثانية، ســـنة ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

٦٢- الســـنن الصغرى للنســـائي، أبو عبد الرحمـــن أحمد بن شـــعيب بن علي الخراســـاني، النســـائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتـــاح أبو غدة، الناشر: مكتـــب المطبوعات الإســـلامية - حلب، الطبعة: الثانية، ســـنة ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.

٦٣- السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنات، الطبعة: الثالثة، سنة ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٦٤- السـنن الكبرى، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شـعيب النسائي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.

٦٥- السـنن، لأبي الحسـن علي بن عمر الدارقطني، تحقيق/ شعيب الأرنؤوط وحسـن عبد المنعم شـلبي وعبد اللطيف حرز الله وأحمد برهوم، مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م.

٦٦- السنن، لأبي داود سليمان بن الأشعث، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، بدون طبعة.

٦٧- سـير أعلام النبلاء، شـمس الدين أبو عبد الله محمد بـن أحمد بن عثمان بن قايـماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: مجموعـة من المحققين بإشراف الشـيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسـالة، الطبعة: الثالثة، سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٦٨- السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السـقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م.

٦٩- السـيرة النبوية وأخبار الخلفاء، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البسـتي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، صححه، وعلق عليه الحافظ السـيد عزيـز بك وجماعة من العلـماء، الناشر: الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٧ هـ.

٧٠- **شرح أصول اعتقاد أهل السـنة والجماعة**، أبو القاسـم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (المتوفى: ٤١٨هـ)، تحقيق: أحمد بن سـعد الغامدي، الناشر: دار طيبة - السعودية، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

٧١- **شرح النـووي على صحيح مسـلم**، أبو زكريا محيـي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء الـتراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، سنة ١٣٩٢ هـ.

٧٢- **شرح ديـوان المتنبي**، أبو البقاء عبد الله بن الحسـين بن عبـد الله العكبري البغدادي محب الدين (المتوفى: ٦١٦هـ)، المحقق: مصطفى السـقا/ إبراهيم الأبياري/ عبد الحفيظ شلبي، الناشر: دار المعرفة - بيروت.

٧٣- **شرح معـاني الآثار**، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سـلامة بـن عبد الملك بن سـلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحـاوي (المتوفى: ٣٢١هـ)، حققـه وقدم له: (محمد زهري النجار - محمد سـيد جـاد الحق) من علماء الأزهر الشريف، راجعه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: د يوسف عبد الرحمن المرعشلي - الباحث بمركز خدمة السنة بالمدينة النبوية، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م.

٧٤- **الشريعة**، أبو بكر محمد بن الحسـين بن عبد الله الآجري البغدادي (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سـليمان الدميجي، الناشر: دار الوطن - الرياض / السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

٧٥- **شعب الإيمان**، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامـد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السـلفية ببومباي - الهند، الناشر: مكتبة

الرشـــد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، سنة ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

٧٦- **صحيـــح ابن حبان** بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبـــان بن أحمد بن حبان بن معاذ بـــن معبد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البســـتي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، المحقق: شـــعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرســـالة - بيروت، الطبعة: الثانية، سنة ١٤١٤هـ - ١٩٩٣ م.

٧٧- **صحيح البخاري**، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ســـنة ١٤٢٢هـ.

٧٨- **صحيح الترغيب والترهيب**، أبـــو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشـــقودري الألبـــاني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعـــارف للنشر والتوزيع، الريـــاض - المملكة العربية الســـعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

٧٩- **صحيح الجامع الصغـــير وزياداته**، أبو عبد الرحمن محمـــد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشـــقودري الألبـــاني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي.

٨٠- **صحيح مسلم**، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٨١- **صفة الصفوة**، جمال الدين أبـــو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـــ)، المحقق: أحمد بن علي، النـــاشر: دار الحديث، القاهرة، مصر، الطبعة: ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٨٢- **طبقات الشـــافعية الكبرى،** تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ)، المحقق: الدكتور/ محمـــود محمد الطناحي، والدكتور/ عبد الفتـــاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنـــشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، سنة ١٤١٣هـ.

٨٣- **طبقات الفقهاء،** أبو اســـحاق إبراهيم بن علي الشيرازي (المتوفى: ٤٧٦هـ)، هذبه: محمد بن مكرم ابن منظور (المتوفى: ٧١١هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار الرائد العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، سنة ١٩٧٠م.

٨٤- **الطبقـــات الكبرى،** أبو عبد الله محمد بن ســـعد بن منيع الهاشـــمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الأولى، سنة ١٩٦٨ م.

٨٥- **الطهور،** أبو عبيد القاسم بن ســـلام بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤هـ)، حققه وخرج أحاديثه: مشهور حسن محمود سلمان، الناشر: مكتبة الصحابة، جدة - الشرفية، مكتبة التابعين، سليم الأول - الزيتون، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.

٨٦- **العقد الفريد،** أبو عمر، شـــهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن ســـالم المعروف بابـــن عبد ربه الأندلسي (المتـــوفى: ٣٢٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ.

٨٧- **عمدة القاري شرح صحيح البخاري،** أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٨٨- **عون المعبود شرح ســـنن أبي داود،** محمد أشرف بـــن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (المتوفى: ١٣٢٩هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٥ هـ.

٨٩- عيــون الأخبار، أبو محمد عبد الله بن مســلم بن قتيبة الدينــوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية -بيروت، تاريخ النشر: ١٤١٨ هـ.

٩٠- غرر الخصائص الواضحة، وعرر النقائض الفاضحة، أبو إســحاق برهان الديــن محمد بن إبراهيــم بن يحيى بن عــلي المعروف بالوطــواط (المتوفى: ٧١٨هــ)، ضبطه وصححــه وعلق حواشــيه ووضع فهارســه: ابراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨ م.

٩١- الفاضل، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد (المتوفى: ٢٨٥هــ)، الناشر: دار الكتب المصريــة، القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٤٢١ هـ.

٩٢- فتح البــاري شرح صحيــح البخاري، أحمد بن علي بن حجــر أبو الفضل العسقلاني الشــافعي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب.

٩٣- الفتح الرباني لترتيب مســند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ومعه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني، أحمد بن عبد الرحمن بن محمد البنا الساعاتي (المتوفى: ١٣٧٨ هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الثانية.

٩٤- الفتنة ووقعة الجمل، سيف بن عمر الأســدي التميمي (المتوفى: ٢٠٠هـ)، المحقــق: أحمد راتب عرمــوش، النــاشر: دار النفائس، الطبعة: الســابعة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣مـ.

٩٥- فضائــل الصحابة، أبو عبــد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أســد الشــيباني (المتوفى: ٢٤١هــ)، المحقق: د. وصي الله محمــد عباس، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ - ١٩٨٣.

٩٦- **فضل أم المؤمنين عائشـــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**، ثقة الدين، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عســاكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، تحقيق: الحســين بن محمد الحدادي، الناشر: دار البشــائر الإســلامية، الطبعــة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٩٧- **القصيدة الوضاحية في مدح السـيدة عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**، أبو عمران الفليشي موســى بن محمد بن عبد الله الكفيف المربي الأندلسي المعروف بابن بهيج (المتوفى: بعد ٤٩٦ هـ)، اعتنــى به: نظام محمد صالح يعقوبي، الناشر: دار البشائر الإســلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

٩٨- **الكامــل في التاريخ**، أبــو الحســن علي بــن أبي الكرم محمد بــن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشــيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)، تحقيق: عمر عبد الســلام تدمري، النــاشر: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٩٩- **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ.

١٠٠- **الكشــف والبيان عن تفســير القرآن**، أحمد بن محمد بــن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م.

١٠١- **الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري**، أحمد بن إسماعيل بن عثمان بن محمد الكوراني الشافعي ثم الحنفي المتوفى ٨٩٣ هـ، المحقق: الشيخ أحمد عزو

عنايـــة، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بـــيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

١٠٢- لســـان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعـــي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، النـــاشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة، سنة ١٤١٤هـ.

١٠٣- لسان الميزان، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: دائرة المعرف النظامية - الهند، الناشر: مؤسســـة الأعلمي للمطبوعات بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م.

١٠٤- المجروحين مـــن المحدثين والضعفاء والمتروكين، محمد بن حبان بن أحمد بن حبـــان بن معاذ بن معبـــد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البســـتي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، المحقق: محمود إبراهيم زايد، الناشر: دار الوعي - حلب، الطبعة: الأولى، ١٣٩٦هـ.

١٠٥- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، المحقق: حســـام الديـــن القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

١٠٦- مجمع بحار الأنوار في غرائـــب التنزيل ولطائف الأخبار، جمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفتني الكجراتي (المتوفى: ٩٨٦هـ)، الناشر: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة: الثالثة، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧م.

١٠٧- مجمـــل اللغة لابن فارس، أحمـــد بن فارس بن زكريـــاء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، دار النشر: مؤسســـة الرســـالة - بـــيروت، الطبعة الثانيـــة - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١٠٨- المجمـــوع شرح المهذب، أبو زكريا محيـــي الدين يحيى بـــن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار الفكر.

١٠٩- مجموع فتاوى ورســـائل فضيلة الشـــيخ محمد بن صالـــح العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم الســـليمان، الناشر: دار الوطن - دار الثريا، سنة ١٤١٣ هـ.

١١٠- مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الانصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، المحقق: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع، دار النشر: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق - ســـوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٤م.

١١١- المـــراح في المزاح، محمد بن محمـــد بن محمد الغـــزي العامري الدمشـــقي، أبو البركات، بدر الدين ابن رضي الدين (المتوفى: ٩٨٤هـ)، المحقق: بســـام عبد الوهـــاب الجـــابي، الناشر: دار ابن حـــزم - بـــيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ ١٩٧٧م.

١١٢- مرقاة المفاتيح شرح مشـــكاة المصابيح، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نـــور الدين الملا الهروي القـــاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، النـــاشر: دار الفكر، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

١١٣- مرويات غـــزوة بني المصطلق وهي غـــزوة المريســـيع، إبراهيم بن إبراهيم قريبـــي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإســـلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

١١٤- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيســـابوري المعروف بابن البيع

الموضوع | رقم الصفحة



(المتــوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطـــا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، سنة ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.

١١٥- المســتطرف في كل فن مستطرف، شــهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور الأبشــيهي أبو الفتح (المتــوفى: ٨٥٢هـ)، الناشر: عــالم الكتب - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ.

١١٦- المسند، أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم الحنظلي المروزي المعــروف بـ ابــن راهويه (المتــوفى: ٢٣٨هـ)، المحقــق: د. عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، الناشر: مكتبة الإيـــمان - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ- ١٩٩١م.

١١٧- مســـند أبي داود الطيالسي، أبو داود ســـليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى (المتوفى: ٢٠٤هـ)، المحقق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر - مصر، الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.

١١٨- مسند أبي يعلى الموصلي، أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (المتوفى: ٣٠٧هـ)، المحقق: حســين ســليم أسد، النــاشر: دار المأمون للتراث - دمشــق، الطبعة: الأولى، ســنة ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م.

١١٩- مسند أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م.

١٢٠- مسند الإمام أحمد بحاشية السندي، محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي (المتوفى: ١١٣٨هـ).

١٢١- **مسـند الدارمـي المعـروف بـ (سـنن الدارمي)**، أبو محمد عبـد الله بن عبد الرحمن بـن الفضـل بن بهرام بـن عبد الصمـد الدارمـي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، الناشر: دار المغني للنـشر والتوزيع، المملكـة العربية السـعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ٢٠٠٠م.

١٢٢- **المسـند الصحيح**، لمسـلم بن الحجـاج النيسـابوري، تحقيـق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.

١٢٣- **المسـند**، أبو عبد الله محمد بن إدريـس بن العباس بن عثمان بن شـافع بن عبد المطلب بن عبد مناف الشافعي المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، عام النشر: ١٤٠٠ هـ.

١٢٤- **مشـاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار**، محمد بن حبان بن أحمد بن حبـان بن معاذ بن معبـد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البسـتي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، حققه ووثقه وعلق عليه: مرزوق على ابراهيم، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة، الطبعة: الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩١م.

١٢٥- **مشكاة المصابيح**، محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريـزي (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: محمد نـاصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٩٨٥ م.

١٢٦- **مصباح الزجاجـة في زوائد ابن ماجه**، أبو العباس شـهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان البوصيري الكناني الشافعي (المتوفى: ٨٤٠هـ)، المحقق: محمد المنتقى الكشـناوي، الناشر: دار العربية - بيروت، الطبعة: الثانية، سنة ١٤٠٣ هـ.

١٢٧- مصنف ابن أبي شـــيبة، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الأولى، سنة ١٤٠٩ هـ.

١٢٨- المصنف، أبو بكـــر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحمـــيري اليماني الصنعاني (المتـــوفى: ٢١١هـ)، المحقـــق: حبيب الرحمن الأعظمـــي، الناشر: المجلس العلمي- الهند، الطبعة: الثانية، سنة ١٤٠٣ هـ.

١٢٩- مطالع الأنوار عـــلى صحاح الآثار، إبراهيم بن يوســـف بن أدهم الوهراني الحمزي، أبو إســـحاق ابن قرقول (المتوفى: ٥٦٩هـــ)، تحقيق: دار الفلاح للبحـــث العلمـــي وتحقيق الـــتراث، النـــاشر: وزارة الأوقاف والشـــؤون الإسلامية - دولة قطر، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.

١٣٠- المعالم الأثيرة في الســـنة والســـيرة، محمد بن محمد حسن شراب، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق- بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١١ هـ.

١٣١- معالم التنزيل في تفســـير القرآن، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشـــافعي (المتوفى: ٥١٠هـــ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، النـــاشر: دار إحيـــاء التراث العـــربي -بيروت، الطبعـــة: الأولى، ١٤٢٠هـ.

١٣٢- المعجم الأوسط، ســـليمان بن أحمـــد بن أيوب بن مطير اللخمي الشـــامي، أبو القاســـم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: طـــارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين - القاهرة.

١٣٣- المعجم الكبير، ســـليمان بـــن أحمد بن أيـــوب بن مطير اللخمي الشـــامي، أبو القاســـم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـــ)، المحقق: حمدي بـــن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة، الطبعة: الثانية.

١٣٤- **المعجــم الوســيط**، إبراهيم مصطفى أحمد الزيات حامــد عبد القادر محمد النجار، تحقيق / مجمع اللغة العربية، دار النشر: دار الدعوة.

١٣٥- **المغني عن حمل الأســفار في الأســفار**، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيــم العراقي (المتوفى: ٨٠٦هـ)، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

١٣٦- **مفاتيــح الغيب**، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحســن بن الحســين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.

١٣٧- **المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة**، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (المتوفى: ٩٠٢هـ)، المحقق: محمد عثمان الخشــت، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.

١٣٨- **مــكارم الأخلاق**، أبو بكر عبــد الله بن محمد بن عبيد بن ســفيان بن قيس البغدادي الأمــوي القرشي المعروف بابــن أبي الدنيا (المتــوفى: ٢٨١هـ)، المحقق: مجدي السيد إبراهيم، الناشر: مكتبة القرآن - القاهرة.

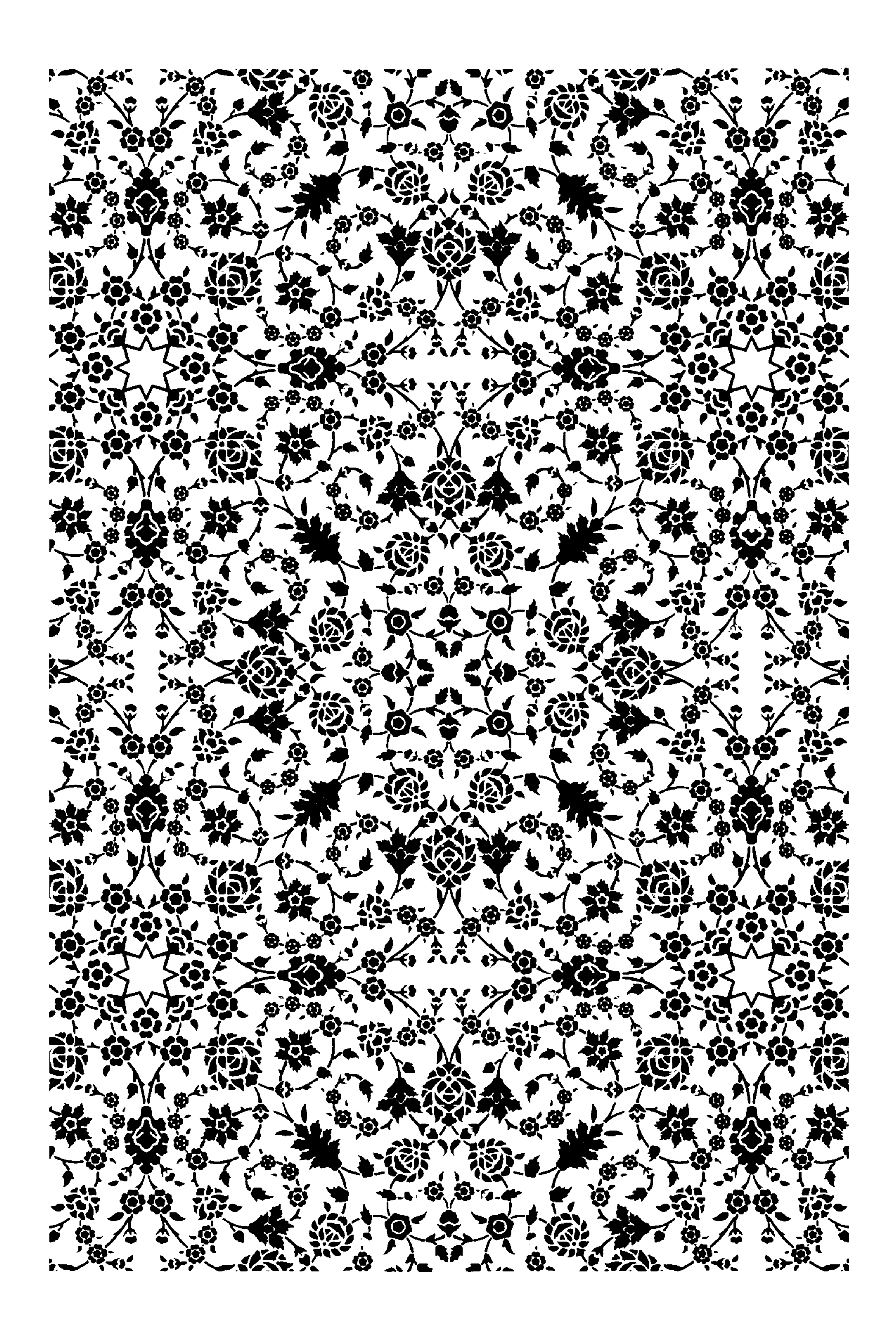
١٣٩- **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشــيعة القدرية**، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد الســلام بن عبد الله بن أبي القاســم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

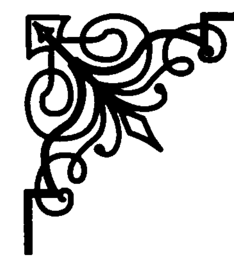
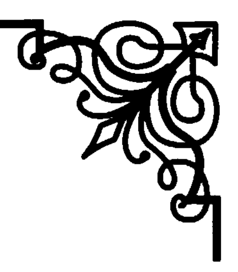
١٤٠- **موسوعة الشعر العربي**، معهد البحوث العلمية بجامعة أم القرى.

١٤١- الموضوعات، جمـــال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمـــد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، ضبـــط وتقديم وتحقيق: عبد الرحمن محمـــد عثمان، الناشر: محمد عبد المحسن صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، الطبعة: الأولى.

١٤٢- الموطأ، لمالـــك بن أنس بن مالك بن عامـــر الأصبحي المدني، رواية يحيى بن يحيى، تحقيق/ محمد مصطفى الأعظمي، مؤسســـة زايد بن سلطان آل نهيان للأعـــمال الخيريـــة والإنســـانية - أبو ظبـــي - الإمارات، الطبعـــة الأولى، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

١٤٣- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.



فهرس الموضوعات

الموضوع رقم الصفحة